# شهرزاد



عنوان

Bibliotheca Alexandrina
0111971

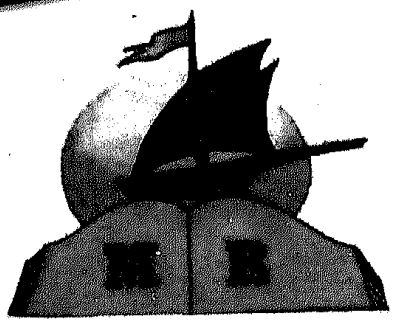

مركز الراية للنشر والإعلام

- مركز الراية هو دار نشر حرة مستقلة تتبنى قضايا جادة وهادفة .

- وقد تم تأسيس هذا المركز من وحى احساسنا بدور الكلمة المطبوعة فى التعبير عن قضايانا المصيرية . وكشف أوجه القصور . وتصحيح الأوضاع المقلوبة . أو المفاهيم الخاطئة . وإثراء حياتنا الفكرية والثقافية .

- ورغم أن المركز لا يزال فى بداياته الأولى إلا أن حسن استقبال القارئ العربى من المحيط الى الخليج لمطبوعاتنا جعلنا ندرك حجم المسئولية الملقاة على عاتقنا . ونحاول قدر جهدنا تقديم كل جديد وجاد وهادف .

الناشر

محمد فكرى

الهيئة العامة لمكتبة الأسكندرية
رقم التصنيف
رقم التسجيل

محمد رضوان

# شعراء الحب

مركز الراية للنشر والإعلام

# كلمة الناشر

هناك شعراء وقفوا حياتهم على التغنى ببدائع الحسن وروائع الجمال ، وعاشوا تجارب الحب بكل ألوانه من وصال وهجر ، وفراق وحنين ، ودموع وضحكات ، وعبروا عن مشاعرهم وأحاسيسهم الوجدانية بكل صدق وحرارة وأمانة .

وكان أكثر شعراء الحب الذين اتسموا بالصدق هم شعراء الرومانسية الذين اشتعل وجدانهم حباً وعشقاً ، فملأوا الدنيا غناء وتشبيباً ، ومن بينهم نخبة من الشعراء الذين ظهروا مع جماعة أبوللو ، ونشروا بمجلة أبوللو قصائدهم ومن أبرزهم على محمود طه ، وإبراهيم ناجى ، وصالح جودت ، وأحمد فتحى ، والهمشرى .

وفى هذا الكتاب الجديد للكاتب الصحفى محمد رضوان دراسة موسعة شاملة عن المؤثرات التى لعبت دوراً عميقاً فى حياة شعراء الوجدان وشعرهم ، ودور الحب فى حياتهم ، فجاء شعرهم تسجيلاً أميناً لقصص حبهم ، وصدى لذكريات ليالى الحب والغرام التى عاشوها .

**أحمد فكرى**

**مدير مركز الراية**

رقم الإيداع ٩٩/٤٨٤٥

# منهج محمد رضوان
# فى أدب السير والتراجم

بقلم السفير الشاعر :
أحمد عبدالمجيد

مركز الراية للنشر والإعلام
أسسه أحمد فكرى عام ١٩٩٩

اسم الكتاب : شعراء الحب
المؤلف : محمد رضوان
تصميم الغلاف : أحمد فكرى
الطبعة الأولى : ١٩٩٩

كافة حقوق الطبع والنشر والتوزيع
هى حق من حقوق الناشر لا يجوز
اقتباسها أو نقلها إلا بإذن كتابى منه

يطيب لي وانا مستريح في برجي العاجي الذي يرتفع فوق محطات من السنوات العديدة التي قطعتها من عمري ، أن أشاهد بمنظاري أدباء من الشباب اتخذوا من الأدب حرفة وتنوعت ميولهم واتجاهاتهم في القراءة والانتاج ، لفروع هذا الأدب وألوانه .

ولاتختلف نظراتي الى هؤلاء الأدباء الشبان العشابرين ، عن نظرتي الى زهور حديقة النمو ، في حديقة ، تقاوم عوامل الطبيعة وتمتص مما حولها مقومات الحياة ، حتى يشتد عودها ، وتتفتح زهورها ، وتؤتي عطرها وثمارها فواحا ذكيا ، أو تهم بها ريح هوجاء ، تقتلعها من جذورها وتحرمها من مناعم الحياة .

والشبان من أدباء عصرنا الحالي ، يختارون من فروع الأدب ، ماتنزع اليه نفوسهم مايتفق مع ميولهم ورغباتهم . ولكل فرع من فنون الأدب ، مناهج تتباين بتباين طالبي هذا الفرع وتكوينهم وتأثرهم بما حولهم وبما حملوه وماهضموه من هذا التحصيل .

والمنهج ، كما نعلم ، هو المسلك والمسار والسبيل الذي يسلكه طالب البحث حتى يصل الى مبتغاه .

وتختلف المناهج باختلاف الطبائع والأذواق لدى أصحاب البحث ومواضيع البحث .

ونحن اذا نظرنا الى مجموعة من المسافرين على طائرة تقطع بهم فيافي الأجواء حتى تصل الى غايتها النائية ، وجدنا أن كل مسافر قد نهج منهجا مستقلا عن غيره من المصاحبين له في السفر، في طريقة قطعه للوقت ، دفعا للملل ورتابة المنظر المحيط .

فبينما تجد أحدهم قد عكف على قراءة صحيفة أو كتاب ، اذا بك ترى غيره قد أخذ يكتب أو يرسم أو يلعب الورق أو يتحدث أو يعمل عملا يدويا للتسلية وازجاء الوقت .

وهناك من يستعد لهذه الرحلة بتهيئة أسباب النوم ، حتى لايحس وطأة طول الساعات ومخاطر المجهول ..

xxxxxxxxxxx

* أحمد عبد الحميد ( ١٩٠٥ - ١٩٨١ ) شاعر مصري معاصر . عمل بالسلك الدبلوماسي المصري أكثر من ثلاثين عاما تنقل خلالها في الكثير من بلاد العالم ، من مؤلفاته " لكل أغنية قمة " و " سندباد دبلوماسي " و " أضواء على الدبلوماسية " وله ديوان شعر بعنوان " همسات " وكتب هذه المقدمة عام ١٩٧١

وكتابة السيرة أو الترجمة ، تعتبر فى يقينى عملا جليلا ينطوى على مناحى الخير والصدق والجمال .

فهذا العمل ، يعهد الى تسجيل أعمال فنان ، كيفما كان فنه الذى ولع به ، واتخذه غاية ومأربا .

ثم لايلبث أن يجد القارىء الى جانب تسجيل أعمال الفنان ، أن كاتب سيرته يعيد خلق شخصيته فى سيرة أخرى ، غير التى كان يحياها كحياة فردية .

ذلك أن كاتب السيرة أو الترجمة ينصرف همه الى الاخلاص للواقع الفنى ولذلك كانت أعظم التراجم فى العالم ، هى التى تقدم موضوع الفن على حقيقة وواقع الفنان ، ثم تتعدى ذلك الى خلق صورة حية للفنان فى اطار أعماله وفى ضوء ما أفاء به على انتاجه من قدرة وتفرد واحسان .

والترجمة لفنان من الفنانين ، لاتكون صادقة الا اذا احتوت على تحليل عميق للمشاعر البشرية ، وتكشفت لها الدوافع والغايات الانسانية التى تكون هاديا لكاتب السيرة ومنارا يقيه العثرات ..

xxxxxxxxxx

ويختلف كاتب الترجمة أو السيرة عن الناقد فى أن الأول يكشف عن خير مافى أعمال المترجم له من نواحى الكمال والجمال ، لأنه تأثر به وملأت عينه أعماله ، وأكبر فيه ماأنتجه من آثار ، فى حين أن الثانى ، لايحرص ، اذا كان مايكتبه عن الفنان الذى يتناول فنه بالنقد ، يفضى الى هدم صاحبه ، مادام هو فى صدق واخلاص ، قد أرضى ضميره ، وارتاح الى حكمه ، واتبع مسلكا لاشبهة فيه لميل أو هوى .

وكتابة السيرة أو الترجمة لفنان من أهل الفن ، أمانة كبرى ، تستبد بالمخاطر ، ولاتترك له مخرجا للراحة الا أن يكون ذلك عن طريق التنفيذ الكامل لما حمل من أمانة ، وما آلى على نفسه من الوفاء بها .

ولقد من للأديب الناقد محمد رضوان أن يحمل على عاتقه هذه الأمانة .

وقد تهيأ لى الاطلاع على كتاب ، توفر على وضعه الأديب محمد رضوان عن الكاتب

والشاعر والناشر الدكتور زكى مبارك هو " صفحات مجهولة من حياة زكى مبارك " والذى كان من فرط تنوع انتاجه بين نشر وتقد ونظم وتحليل بالاضافة الى حصوله على ثلاث شهادات للدكتوراة يتندرون بقولهم عنه :

" الدكاترة زكى مبارك " ..

كما سنحت لى سانحة أخرى بالإطلاع على كتاب أعده الأديب محمد رضوان عن الشاعر الرقيق أحمد فتحى ، أحسن اختيار عنوانه " اعترافات شاعر الكرنك " كما اطلعت على مسودات دراسات شاملة له عن الشاعر على محمود طه والشاعر ابراهيم ناجى والشاعر صالح جودت والشاعر عبد الحميد الديب والشاعر كامل الشناوى .

ويجمل لى أن أرجىء الحديث عن العملين الكاملين اللذين أشرت اليهما إلى حين تناول وضع الأديب الناقد محمد رضوان من أدب السير والتراجم ومنهجه فيه.

xxxxxxxxxxxx

لقد اختار الأديب الناقد محمد رضوان هذا اللون من الأدب بعد أن قر فى ذهنه أنه مولع به ومتفان فيه ومخلص فى الكشف عن خوافيه مهما كلفه البحث من جهد وعنت .

وانك لتراه عندما يختار تمثاله الذى يريد أن يلقى عليه الضوء ، قد ملأ يديه وقلبه وعينيه وذهنه بكل ماكان يحيط بالمترجم له فى حياته ان كان قد قضى ، أو مايزال يضطرب فيه ان كان من الأحياء .

ولست أغلو اذا أنا قلت أنه يكاد يتنسم نسيمه ويشاركه نبض قلبه وطرفة عينه ..

وهذا ضرب من الاخلاص فى العمل يحس أن يخدو خدوه كل كاتب للترجمة عن فنان ، حتى تجىء كتابته نابضة بالحياة والصدق .

ولدى أسباب تحملنى على هذا القول ، أوجزها فيما يلى من سطور :

١ - ان محمد رضوان مخلص فى مسلكه لهذا الفن الذى تعلقت به نفسه ، والذى لم يبزه

كطيف خيـــال فى الكرى أو كحلم من أحلام الرغبات المكبوتة التى تغادره عنـــد الصباح ، وكأن شيئا لم يكن ، بل أنه ليصبح ويمسى ولاشاغل له الا هذا اللـــون من الكتابة ، ولابديل له عنده مهما تنوعت الفنون والآداب من حوله أو فيمـــا يقرأ أو يشاهـــد أو يطلـــع .

٢ - انه صادق فى رغبتـــه من اتخاذ الشعراء الرومانسيين مسرحا لأعماله ، بعـــد أن شغلته أعمالهم وأحب فيهم نزعاتهم وامتلأ قلبـه اعجابا واكبارا لفنهم .

وهو يريد مخلصا أن يخرج أعمالهم على مسرحه الذى أقامه لهم وحشد لـــه بجهد وتفان ومشقة ، كل مايضمن لعمله النجاح ، ويلقى من المشاهديـــن التصفيق والاستحســـان ..

٣ - انه اختـار " المنهج النفسى " فى كتابة التراجم ، بعد أن أيقن من حســن معالجته لهذا اللون الذى يتطلب خصائص ذاتية ، يتعين توفرها فى أول الطريـق ، ثم لايلبث أن يصقلها المران من حول المعاناة والسهر على هذا اللون فـــى سبيل الاجادة والاحســـان .

على أن هذا اللون من أدب التراجم شاق المأخذ ، وعر المسالك ، عميـــق الغور ، فان على من يختاره أن تكون عدتـه من الاطلاع على خوافى شعـــر المترجـم له وافيـة ، ونفوذه الى أسرار صناعته سليم المأخذ واضح الجادة .

والعثور على مفتاح شخصية الفنان أمر عسير المأرب ، ولايستجيب الا لقلـة من الكتـــاب .

وهذا المفتاح كالشفرة السرية التى تكتب بها البرقيات الخطيرة فـــى السياسة أو فى الحـــرب .

وعلى طالب هذا اللون أن يزود نفسه الى جانب مطالعاته العديدة فـــى أدب المترجم لـه ، أقول أن يزود نفسه بقراءات مستفيضة فى علـــم النفس ، حتى يكون حكمه مستندا الى قواعد من العلم ، الى جانب مايسوقـــه فى بحثه من شواهـد من الفـــن .

وهو فى هذا الشأن كالطبيب الباطنى المعالج ، على سبيل المثال ، الذى ينجح فى الوصول الى سلامة تشخيصه ، كلما كان إلمامه بعلم النفس واسعا ومحيطا ، ودرايته بأساليب التعليل والتحليل وافية وسليمة .

٤ - كما أنه أحب أن يتخصص فى الترجمة النفسية لشعراء لم ينصفهم زمانهم ، لا لعلة فى أعمالهم ، ولكن لعلة فى زمانهم وفى أهل زمانهم .

وهذا وفاء أقطع بأنه نادر المثال فى وقت وزمن وحين تذهل كل مرضعة عمن أرضعت من فرط اللهفة على تحصيل ماتصل اليه اليد من مادة ، وليذهب الى الجحيم غيرها من الأيادى ، ولأم الواهن الهبل !

ومن الصعوبات التى تواجه كتاب هذا اللون من التراجم ، ما أسوقه فيما يلى كمثال :

فقد قفت محكمة استئناف باريس فى شهر مايو ١٩٧٠م بتعويض على جريدة " فرانس ديمانش " لأن أحد محرريها نشر عنوان " مغنى " كان يؤثر أن يبقى فى الظل بعد أن عشى بصره من ضوء الشهرة ، كما نشر رقم تليفونه وعنوان منزله الريفى واسمه الحقيقى قبل مزاولة فنه ، وذلك وهو بسبيل عرض بعض أعمال الفنان وذكر ماضيه الفنى .

وكان الحلم يستهدف انقاذ الحياة الخاصة من ادعاء الحق فى حرية التعبير التى لايجوز أن تكون بمقدار .

فمن حق المرء أن يكون فى مأمن من أى تعد على حريته أو سمعته أو خصوصيته أو رغبته فى النسيان .

ذلك أن كاتب الترجمة النفسية ، حرصا منه على استكمال الصورة لمن يترجم له ، يغوص وراء مايمكن أن يصل به الى الكمال ، مهما كشف خلال بحثه عن جوانب لها خصوصيتها ، ولها احترامها وقداستها .

xxxxxxxxxx

وأعود لأتحدث عن عمل الكاتب الصحفى محمد رضوان الذى تجسد بدايته فى

الكتابة عن الأديب الشاعر الناقد الدكتور زكى مبارك ، والشاعر والأديب الرقيق أحمد فتحى .

وقد أغراه بالكتابة عنها ، انتماؤهما للمدرسة الرومانسية التى جلبت لب المترجم واستأثرت باهتمامه .

واذا تركنا أمر الوفاء لفنانين لم ينالا حظهما من الشهرة فى حياتهما ، وبعد وفاتهما ، حتى لانستجدى الاستحسان ، ونبتز عواطف الرضا عن فن الأديب رضوان ، بعرض هذه الواجهة الخلقية النادرة الكريمة ، فانه يبقى أمامنا عمل الفنان خالصا لوجه الفن .

فهو حين يتولى ترجمة حياة الشاعر أحمد فتحى فى كتابه " اعترافات شاعر الكرنك " ، نراه يدلف الى روح هذا الشاعر ، ويتسرب الى حياته ، وما اضطرب فيها من حال الى حال ، ويتشح برداء عصره الذى عاشه ،ويتنسم ماكان يستنشقه فجاءت ترجمته كظل الغصن أو رجع الصدى .

وقد حشد الأديب رضوان لبحثه كل مايطمئن له من شتى المصادر والمراجع والمظان، وقد لمست من لهفته على رد الاعتبار لشاعر قضى دون أن يذكر له أحد فضلا ، ما أشاع فى نفسى اليقين من قدرته على ما أخذ نفسه به .

والشاعر أحمد فتحى جدير بأن تتناول شعره أقلام عديدة ، وبحوث فريدة ، يقود هو وشعره هذه الأقلام والبحوث الى ماينبغى من وضوح وابانة .

xxxxxxxxxxx

لقد لمست الجهد الصادق والمشقة البالغة ، والتفانى فى احاطة بحثه بكل مايعين القارىء على استيعاب ما أراده المترجم من الكشف عن المترجم له ، والأخذ بيد القارىء نحو مسالك ممهدة ، لايلمس قاطعها كم من جهد بذله الكاتب فى تمهيد هذه المسالك ، كالذى يعمل فى صقل الماس ، حتى يراه الناظرون فى ثوبه الناصع اللألاء ، مبرءا من كل شائبة ، دون أن يعيروا بالا لمعاناة من صقل هذا الماس الذى أخرجه فتنة للعيون .

ولعل اطمئنانى إلى عمل محمد رضوان مرده إلى إخلاصه فيه وصدقه فيما يروى، وتكالبه على جمع مواده من أصدق المظان ، وهذا فى يقينى سبيل قويم ، يتعين عليه أن يستزيد منه ، ويعتمد عليه ، ويمضى على بركة الله .

والأديب الناقد محمد رضوان رغم أنه لم يتخطى عتبة الشباب بعد ، فأنه فى أدب التراجم النفسية الذى اختاره واختار التخصص فيه ، قد جاوز مرحلة الشباب ودلف الى رجولة تتنسم منها وضوح العبارة ، وحسن التبويب ، وبراعة العرض ، وصدق الاستنتاج ، الى جانب الغنى والثراء فى المادة التى يصنع منها تمثال عمله .

وانى أطالبه كأمل يبشر بأوفر المحاصيل الفنية ، بأن يداوم على اطلاعه ، وأن يستزيد من معارفه ، وأن يقرأ فى كل علم أو فن يجده معوانا له فى بحثه ، وأن يتابع ثمرات المطابع والأقلام ، وأن يغم الى كل ذلك بعدا عن الميل والهوى ، حتى يجىء عمله مبرءا من كل شبهة لتحيز أو انفعال .

أحمد عبد المجيد "

## مقدمة المؤلف

حرصت على تناول سيرة هؤلاء الشعراء الخمسة الذين فنوا أجمل أفاريد الحب والجمال والقاء الأضوء على شعرهم مستخدما فى ذلك " المنهج النفسى " فى الربط بين حياة الشاعر وانتاجه .

وقد تناولت هؤلاء الشعراء الخمسة لأنهم تجمعهم أواصر الشعر الرومانسى الوجدنى ووشائج الرقة العاطفية وعبادة الحسن والجمال والثورة على القديم كما أنهم يكونون مدرسة شعرية لها سماتها الخاصة المتفردة أستطيع تسميتها بمدرسة " الشعر الوجدانى الغنائى " .

والظاهرة التى نلمحها هى هذا الكتاب أن هؤلاء الشعراء ظهر انتاجهم ولمعوا على صفحات مجلة أبوللو التى ضمت شتى التيارات والمدارس ، وان كان يغلب على شعرائها ذلك الطابع الرومانسى الوجدانى الغنائى .

ولكن هل كان هؤلاء الشعراء لاهم لهم الا التغنى بالحسن والجمال والعيش فى برج عاجى بعيدا عن هموم الوطن ومشاكله ؟

ان هذا الكتاب يظهر عدم دقة هذا الاتهام ، فلقد فندت دعوى من بعض النقاد اللذين يصفون شعر هذه المدرسة بأنه كان ينمو منحى دعوة الفن للفن Art For Art's Sake .

وكان هذا غير صحيح لأنهم خاضوا فى عذابات المجتمع وهمومه ولم يخاطبوا الجمهور من برج عاجى ، ولكنهم عاشوا فى فترة قاسية مظلمة أثرت فى حياتهم وبالتالى فى انتاجهم فى فترة سادت فيها الرومانسية المجنحة الحالمة ، ولكنهم ناضلوا فى سبيل حرية مصر واستقلالها ومن أجل العدل الاجتماعى .

لقد كان هؤلاء الشعراء الخمسة أصحاب قضايا اجتماعية وسياسية واضحة ، فنادوا بحرية الانسان وتحرره من قيود الاستعباد والتحكم ، كما نادوا بمجتمع جديد يسوده الحب والصفاء الانسانى والعدل .

وأثرى هؤلاء الشعراء شعرنا العربى بثروة نفيسة من المعانى الوجدانية الفياضة وجددوا فى القصيدة العربية شكلا ومضمونا واستحدثوا لونا جديدا فى شعرنا المعاصر يتميز بسمات خاصة متفردة .

xxxxxxxxxxxxx

ولكن كيف كان منهجي في هذا الكتـــــاب ؟

وكيف تناولت سيرة الشعراء الخمسة ونتاجهـــم ؟

لقد استخدمت منهج التحليل النفسي Psychoanalytic فـــي أدب التراجم والسير ، فدرست شعر هؤلاء الشعراء من خلال سيرة حياتهم وتتبع الأطـوار المختلفة التي مروا بهـا وانعكاس ذلك في نتاجهـم في كل حقبـة من فتـــرات حياتهم وربطت بين حياة الشاعر وآثاره ، لنخرج بصورة متكاملـة لملامح الشاعـــر الذوقيـة والنفسية والروحيـــة .

انني رسمت للشاعر الذي تناولتـه بالترجمة صورة نفسية مستمدة من حياتـــه وبيئتـه ثم أظهـرت وبينت العوامل التي أثرت في أدبـه ولونت فنـه .

وبذلك وضعت في يد القارئ مفتاح شخصية المترجم له ومن ثم مفتاح أدبـه .

xxxxxxxxxxxxx

وبعد ، فليكن هذا الكتاب تأريخا ودراسة لشعراء أثروا وجداننا بنتاجهـــم وأدوا دورا كبيرا في نهضة شعرنا المعاصر وتطوره ، فكان حقا علينا أن نذكـرهم بالوفاء والعرفـــان لما أدوه لحياتنا الأدبية من ذوب أرواحهم ووجدانهـــم .

" محمد رضـــوان "

# مع شعراء الحب والجمال

## " جماعة أبوللـــــو "

أصدر الدكتور أحمد زكى أبو شادى مجلة أبوللو فى سبتمبر عام ١٩٣٢م وكانـــت تضم نخبة كبيرة من الشعراء القدامى والناشئين منهم : أحمد شوقى وخليل مطـــران وابراهيم ناجى وعلى محمود طه وحسن كامل الصيرفى وأحمد فتحى وكامل الشنبـــاوى وأحمد محرم ومصطفى الرافعى وكامل الكيلانى ، وكانت أغراض جماعة " أبوللـــــو " كما يلـــــى :

١ - السمو بالشعر العربى وتوجيه جهود الشعراء توجيها شريفـــا .

٢ - مناصرة النهضات الفنية فى عالم الشعـــــر .

٣ - ترقية مستوى الشعراء أدبيا واجتماعيا وماديا والدفاع عن كرامتهم .

وقد حيا شوقى مولد جماعة أبوللو بقصيدة مطلعهـــــا :

أبوللو مرحبا بك يا أبوللـــو فانك من عكاظ الشعر ظـــل
عكاظ وأنت للبلغاء ســـوق على جنباتها رحلوا وحلـــوا
وينبوع من الانشـــاد صـــاف مدى المتأدبين به يبـــل

ونستطيع من خلال مراجعة الأسماء التى لمعت على صفحاتها أن نقول أنهـــا لم تكن مدرسة بل كانت مجرد جماعة تضم بعض الشعراء المجددين والتقليديـــن من أجل رسالة شعرية سامية وان كانت الأسماء التى لمعت على صفحاتها وأظهرتهـــا المجلة يغلب عليها الطابع الرومانسى الحالم وقد استحدثوا ثورة جديـــــدة فى شعرنا العربـــى المعاصـــر .

ويقول أحد أعضائها من الذين لمعت أسماؤهم على صفحاتها وهو الأستاذ صالـح جودت عن هذه الجماعـــة (١) :

" استطاعت هذه الجمعية ، التى أسندت رئاستها الى أمير الشعراء ، ثـــم

---

(١) صالح جودت / بلابل من الشـــرق / ط ١ / ص ٥٧ .

بعده الى شاعر الأقطار العربية خليل مطران ، أن تستحدث ثورة فى عالم النقد ، وأن تنشىء مدرسة جديدة فى الشعر العربى الحديث ، تسمو برسالة الشعر عن أن يكون أداة للمدح أو للقدح أو للمناسبات ، وتجرده من التقليد ، وتنادى بوحدة القصيد ، وتحلق فوق الذرا العالية " .

واذا كانت جماعة " أبوللو " تضم بعض التيارات والاتجاهات المتباينة فاننا سوف نأخذ نماذج منها ممثلة فى هؤلاء الشعراء الخمسة ( ناجى وعلى محمود طه وصالح جودت والهمشرى وأحمد فتحى ) الذين يكونون مدرسة واحدة قوامها الرومانسية الحالمة والتجديد فى الشعر شكلا ومضمونا وعبادة الجمال الى غير ذلك من أوجه الشبه التى تجعلهم فى مدرسة واحدة تسمى " مدرسة الحب والجمال " .

xxxxxxxxxxx

ولقد شهدت صفحات " أبوللو " انتاج هؤلاء الشعراء الخمسة الخصب فقد صدر عن المجلة الديوان الأول لناجى " وراء الغمام " عام ١٩٣٤م وديوان صالح جودت عام ١٩٣٤م وأصدر على محمود طه ديوانه الأول " الملاح التائه " عام ١٩٣٤م ، أى صدرت الدواوين الثلاثة فى عام واحد ، أما الهمشرى فقد مات عام ١٩٣٨م ، دون أن يصدر له ديوان مطبوع وصدر ديوان أحمد فتحى الأول والأخير " قال الشاعر " عام ١٩٤٩م ، وقد ثارت عدة معارك ومساجلات عنيفة حول الدواوين الثلاثة التى صدرت عام ١٩٣٤م بين جماعة " أبوللو " وخصومها .

## " شعـراء الرومانسية "

بعد الحرب العالمية الأولى ( ١٩١٤ - ١٩١٨ ) سادت مصر موجة من الرومانسيـــة الحالمة نتيجة لظروف المجتمع وقتئـــذ ....

كانت ظروف المجتمع السياسية والثقافية والاجتماعية سيئة فى مصر فـى تلـــك الحقبـة وكان الشباب الطامح يرى هذه الأوضاع ، ويرى نفسه عاجزا عن تغييرها بسبـب قهر الاستعمار وجبروتـه ، فيشعـر بالحزن والأسـى والمرارة .

وسادت الرومانسية مصر فى العشرينات والثلاثينات واتخذ الأدباء الرومانسيـة ملجأ وملاذا يهربون اليها من هجير الحياة ومرارة الواقع الذى كانوا يعيشونـه فى تلك الحقبـة ويقاسون منه .

فالنظرية الرومانسية Romanticisme ترى أن الشعر هو تعبير عن المشاعـر وتركز على العالم الداخلى للشاعر .

" ان عالم الشاعر الداخلى عالم واسع ، فهو يشمل الحالة الذهنية لديـه ، كما يشمل المشاعر والأفكار ، وطاقات الحدس والادراك .

" وقوة الخيال الخالق هى البوتقة التى تنصهر فيها كل عناصر هذا العالـم من ذهنية وشعورية ، وهذه القوة هى التى تعدل من هذه المشاعر ، وتنظمها ، وتجمـع أشتاتها ، وتصنعها فى النهاية فى قالب متلاحم متجانس هو العمل الشعرى ، والشعـر اذن تعبير عن العالم الداخلى أو لنقل العالم الخارجى كما ينعكس فى نفـس الشاعر ، وذلك بعد أن تنظمـه قوة الخيال الخالق عنده تنظيما فنيا " (١) .

xxxxxxxxxx

ان من أبرز سمات الرومانسية كما تجلت فى شعر الشعراء الخمسة التركيز علـى الأسطورة والرمز فى التعبير الشعرى والذاتية والهرب من الحياة وعبادة الحسـن

---

(١) الدكتور محمود الربيعى / فى نقد الشعر ١٩٧٤م / ص : ٩٠ .

وتقديس الجمال واللجوء الى الطبيعة باعتبارها كائنا حيا ، هربا من هجير الحياة ومرارة الواقع .

وقد انعكست كل هذه السمات فى شعر شعرائنا الخمسة وتمثلت فى مجموعة من الاتجاهات الفنية الجديدة .

* الاتجاه العاطفى :

وهذا الاتجاه يدور حول الحب والحنين واللهفة العاطفية والعتاب والغزل الحسى والعذرى وأبدع هؤلاء فى شعر الحب Love Poetry

يناجى صالح جودت محبوبته الهاجرة فيقول لها هامسا :

أيها الهاجر من غير سبب
لو تجافى أنا راض بهواك
العيون الزرق والشعر الذهب
ألجأنى ياحبيبى لهواك

ويستلهم ناجى من عينى محبوبته الزرقاوين أجمل الظلال والأضواء فى شعره ويسبح فى بحارهما قائلا :

قربى روحك منى قربى ظللينى واغمرينى برضاها
وتعالى حدثينى .. حدثى أنت مرآة شجونى وصداها
فهبينى ساعة العفو التى تقسم الأيام مافيها سواها

ويبدع شعراؤنا فى غزلهم ....

يناجى الهمشرى محبوبته فى قصيدة تجمع بين العاطفة والرمز الشعرى وهى لون من ألوان الغزل العذرى العفيف :

أنت حلم منور ذهبى
طاف فى أفق عالم مسحور
وتحلى على غياهب روحى
بجناح من الضياء البشير

ونجد على محمود طه تتسامى روحه ويكتفى من الزهرة بعبيرها كبلبل يتغنى فى رياض الحسن والجمال :

قلت حسبى من الربيع شذاه ... ولعينى زهره اللماح
نحن طير الخيال والحسن روض ... كلنا فيه بلبل صداح

ونجد الغزل الحسى العنيف فى قصيدة " ظمآن " لصالح جودت :

أجل ظمآن ياليلى وماء الحب فى نهرك
خذينى فى ذراعيك وضمينى الى صدرك
دعينى أشرب النور الذى ينساب من شعرك
وروى لهفة الظمآن بالقبلة من ثغرك
هبى لى ليلة أشمل بالياذى من خمرك

■ الاتجاه الانسانى :

كان من أبرز صفات شعرائنا التسامى الروحى والرحمة الانسانية وصفاء القلب .

يقول الشاعر ابراهيم ناجى :

سموت ودق احساسى ... وجزت عوالم البشر
نسيت صفائر الناس ... غفرت اساءة القدر

ويرى هؤلاء الشعراء أن التغنى بالحب والجمال من عوامل الصفاء والحب والرحمة ، ويعبر على محمود طه عن هذه المعانى فى قصيدته " ميلاد شاعر " فيقول :

أيها الشاعر اعتمد قيثارك ... واعزف الآن منشدا أشعارك
واجعل الحب والجمال شعارك ... وادع ربا رعى الوجود وبارك

وهذا الاتجاه الانسانى يتجلى بأظهر خصائصه فى الرحمة للنفوس الشقية الخاطئة وهذا الاتجاه نجده عند الشعراء الرومانسيين وذلك بالتخفيف عن تلك النفوس والمسح بيد الرحمة من أحزانها وآلامها فى قصيدة صالح جودت " الهيكل المستباح " يعالج قضيتها ويواسيها وقد جسد مأساتها قائلا :

وقفت بالباب فى ثوب رقيـــق
تفتح الباب لقطاع الطريـــق
كم سروق نال منها جانبـــا
ومضى ما أعجب اللص الطليـــق

ثم يتعاطف مع تلك المأساة الانسانية ويتساءل بمـــرارة وألـــم :

يا الهى كيـــف أعددت لهـــا
بعد دنياها عذابا هل تطيـــق
أشقى الدهر يشقى بعـــده
وهو الرحمة فى الأخرى خليـــق

وفى نفس الاتجاه نرى ناجى فى قصيدته " قلب راقصة " يعالج تلك المأســـاة ويتعاطف معها ويواسيهـــا :

لاتكتمى فى الصدر أســـرارا
وتحدثى كيف الأسى شـــاء
أنا لاأرى اثما ولامـــارا
ولكن أرى امرأة وبأســـاء

* الاتجـــاه الوصفـــى :

كانت الطبيعة هى ملجأ الرومانسيين باعتبارها كائنا حيـــا .

وقد كثرت الصور الشعرية عند شعرائنا المستوحاة من الطبيعة . وقد أكثـــروا من التشخيص Pessonification المظاهر الطبيعيـــة .

يناجى الهمشرى " النارنجة الذابلة " فى تشخيص مبدع هربا من أحزانـــه وحنينا لأيـــام تسلفـــت :

قد كنت أرجو أن تكون نهايتـــى
فى ظل هذا السور حيـــث أراك

ويكون آخر مايخدر مسمعـــــى
زرزورك الهتاف فـــــوق زراك
كانت لنا ياليتها دامت لنـــا
أو دام يهتف فوقها الـــزرزور

وقد تجلى فى هذا الاتجاه التصوير الشعرى Poetic imagery عند الشعـــــراء الخمسة فرسموا لوحات شعرية رائعـــــة ..

فى قصيدة " صوت السنين " يرسم أحمد فتحى هذه اللوحة الجميلـــــة :

أى سحر بعثت شمس الأصيـــــل
فى ضياء شاحب الخطو نحيـــــل
ونسيم واهن الخطـــو عليـــــل
راح يلتف بأعناق النخيـــــل

ويناجى شاعر الأطلال ، ناجى البحر فى " خواطر الغروب " قائـــــــلا :

قلت للبحر اذ وقفت مســـــاء
كم أطلت الوقوف والاصغـــــاء
وجعلت النسيم زادا لروحـــــى
وشربت الظلال والأضـــــــواء

ويغلب على هذا الاتجاه أنه شعر غنائى Lyric poetry يتسم بالرقة والعذوبة .

* الاتجـــــاه القومـــــى :

يجمع بين هؤلاء الشعراء الخمسة حب الوطن والدفاع عن قضيته . ولكن حبهم فى أكثـــــر الأحيان يأخذ صورة الاشادة بمواطن الحسن والجمال فى ربوعه والتغنى بها والاشـــــادة بمجد مصر التليد وتاريخها المجيـــــد ..

يقول على محمود طه فى قصيدتـــــه " مصـــــر " :

هوى لك فيه كل ردى يحـــــب

فديتك ،هل وراء الموت حـــــب ؟
فديتك مصر ، كل فتى مشـــــوق
اليك ، وكـل شيـخ صـــــــب
ويحلـم بالفدى طفـل فطيـــــم
وكل رضيعـة فى المهد تحبـــــو
أراك أينما وليـت وجهـــــى
أرى مهجـا لوجهـك تشرئـــــب
وأرواحـا عليـك محومـــــات
لـها فوق الضفاف خطى ووثـــــب
عليها من دم الغادين غـــــار
له بيديـك تغطيـــر وعصـــــب
حمتك صدروها يوم التنـــــادى
ووقتك الليالى وهـى حـــــرب

ولناجى قصيدة بعنوان " مصر " أيضا يقول فيهـــا :

أجل ان ذا يوم لمن يفتدى مصـــرا
فمصر هى المحراب والجنة الكبـرى
حلفنا نولى وجهنا شطر حبهـــا
وننفذ فيه الصبر والجهد والعمرا
نحطم أغلالا ونمحو حوائـــــلا
ونخلق فيها الفكر والعمل الحـرا

ولأحمد فتحى عدة قصائد تصور حضارة مصر التليدة ، وأمجادها العريقـة أظهرهـــا قصيـــدة " الكرنـــك " .

كما أن لصالح جودت قصائد كثيرة فى هذا المجال .

أما الهمشرى فقد قصر شعره على المناداة برسالة اجتماعية هامة وهى الدعـــوة الى الحضارة الريفيـــة .

وقد عبروا جميعا عن مشاعرهم الفياضة نحو وطنهم ، والاشادة به ، والدفاع عن فضايله ، والتغنى بجماله وتاريخه وعظمتـــه .

## ثقافتهـــــــم

كانت ثقافة هؤلاء الشعراء الخمسة ثقافة عربية وغربية ، فقد قرأوا التـــــراث العربى واستوعبوه وأفادوا منه وكانت الآثار التى تأثروا بها هى : دواوين المتنبى والبحترى والشريف الرضى من القدامى وأحمد شوقى من المحدثيـن ٠

واستقوا ثقافتهم الغربية من قراءتهم لشعر شعراء الرومانسية الانجليز الخمسة الكبار وهم : وليم بليك w.blake ووردزورث wardswarth وكوليردج coleridge وكيتس Keets وكان هؤلاء الشعراء الانجليز يكونون وحدة منسجمة ، ويمثلـون وجهة نظر موحدة فى معنى الشعر ، وفى وظيفة الخيـال ، كما يكونون وحدة فى استعمـال الصورة الشعرية ، والرمز الشعرى ، والأسطورة ثم ظهرت آثار هذا التأثر فى نتـــاج شعرائنا الرومانسى بصورة جديدة بعد أن استوعبوا التراث الشعرى العربى والشعـــر الغربـى الرومانســـى ٠

xxxxxxxxxxxx

وكانت الحقبة التى أمضاها الشعراء الأربعة بالمنصورة ١٩٢٧- ١٩٣١م ( ناجى وجودت وعلى طه والهمشرى ) ذات آثار بعيدة فى شعرهم ، فقد استوعبوا التراث العربـــى الكلاسيكى والشعر الانجليزى الرومانسى وساعدهم على ذلك اجادتهم للانجليزية وقـــد جمعهم أواصر الشعر الرومانسى ووشائج الشباب وعبادة الجمال وروح الثورة على القديم وأصبح لهذه المدرسة لون جديد وفريد فى شعرنا المعاصر وكانت كما يصفها صالح جودت " كانت هذه الصحبة مدرسة جديدة فى الشعر تقاربت خطوطها فى ذلك العهد الى حـــد ان اختلط شعر الأربعة على الأدباء فى كثير من الأحيان " (١) ولايختلف شاعر الكرنك ، أحمد فتحى عنهم فى منابع ثقافته واتجاهاته الفنيـــة ٠

لقد طرق شعراؤنا الخمسة موضوعات جديدة وابتكروا الكثير من التعبيـــرات والتراكيب الجديدة التى أضافت ثروة نفيسة فى شعر الوجـــدان ٠٠٠٠

وقد أبدعوا بصفة خاصة فى شعر الوصف الغنائى وقصائـد الحب والغزل بشقيـــه

---

(١) بلابـل من الشـــرق / ١٩٦٠ / ط ١ ٠

العذرى والحسى كما أنهم ندموا الكثير من الصور الشعرية الطريفة فى شعرهم .

وقد اشترك هؤلاء جميعا فى صفة واحدة خاصة فى المراحل الأولى من حياتهم وهى : الاغتراب الروحى .

ويرجع ذلك الى ظروف سياسية واجتماعية ونفسية فى مطالع هذا القرن مما جعلهم يلوذون بالرومانسية هربا من هجير الحياة ومرارة الواقع وقسوته ولقد جددوا فى الشكل والمضمون وان غلبت على شعرهم صفة الذاتية Subjectivity

لقد اتصف شعر هذه المجموعة من الشعراء المبدعين بالأصالة Originality والصدق الفنى لأن شعرهم كان تعبيرا أمينا وصادقا عن أحاسيسهم وعواطفهم وليس شعر الصنعة والتكلف ورص الكلمات الجوفاء .

## " أغاريـــد الحـــب "

ان هؤلاء الشعـــراء الذيـــن غنـــوا للحـــب أجمل الأغاريـــد وأعذبها علـــى قيثارهـــم الشجـى الحالـــم ،لجديرون بدراســات موسعـــة شاملـــة .

لقد غنوا للمرأة واستوحـــوا من حسنهـــا واستلهمـــوا من روحها أجمل الصور وأرق التعبيـــرات الغزليـــة فى شعرنـــا المعاصـــر .

ووقفـــوا أمـــام صور الحســـن وبدائـــع الجمال يستلهمونهـــا حتـــى جـــاءت آثارهـــم غنيـــة بالجمـــال ثريـــة بالرقـــة ، ولســـوف يظل نتاجهـــم أنشـــودة خالـــدة على ألسنـــة العشـــاق ماعـــاش الحـــب ومابقـــت الحيـــاة .

# إبراهيم ناجي

## شاعر الأطلال

(١٨٩٨ - ١٩٥٣)

انى امرؤ عشت زمانى
حائرا معذبا
فراشة حائمة
على الجمال والصبا
تعرضت فاحترقت
أغنية على الربا

ناجي

## " فى مدينة الأحـــلام "

عاش الدكتور ابراهيم ناجى للحب وبالحب ... تغنى به وله ... وكان قلبا محبا رقيقا ونفسا مرهفة حساسة .

كانت حياته قصيدة حب حالمة تتمازج فيها أنغام الهجر والوصال والحب والبغض والرضا والألم .. وقد أفصح عن أسرار قلبه وسرائر روحه فى قصائده الرقيقة الحالمة بصدق وحرارة وأمانة وهو يعد بحق " شاعر الحب " واللهفة العاطفية بعد أن عكس فى شعره معاناته وتجاربه العنيفة مع المرأة التى أوحت اليه بأجمل أناشيد الحب والجمال .

xxxxxxxxxxx

ولد ابراهيم ناجى فى ٣١ ديسمبر ١٨٩٨م فى بقعة شاعرية جميلة سماها جماعة من الوجهاء " مدينة الأحلام " بحى شبرا ... وكانت يومئذ تجرى من تحتها نهيرات الترعة البولاقية ، وتتفرع منها قنوات تنساب فى شاعرية وجمال تحيط بها الخضرة اليانعة وكان يقطن فى هذا الحى جماعة من محبى الأدب والفن . وكان والد شاعرنا ميسرا يعشق الفن والأدب ويقرأ مختلف فنون الأدب قديمة وحديثة وكثيرا ماشهدت الدار ندوات أدبية عامرة .

وهكذا شب شاعرنا بين جمال الطبيعة الحالمة وبين وسط ثقافى رفيع أفاد منه أفضل افادة وأعمقها .. .

وكان والده يحرص على أن يجمع أولاده كل ليلة عندما شبوا عن الطوق ويلخص لهم ماقرأ من أمهات الكتب فى التراث العربى وروائع الأدب العالمى . وكان ابراهيم يسمع بلهفة وحب الى هذه الأحاديث الخصبة ثم مالبث أن امتدت يداه الى مكتبة أبيه وبدأ يقرأ منها روائع القصص والشعر ، واستهواه أدب تشارلز ديكنز القصصى وشدته بصفة خاصة قصة " دافيد كوبرفيلد " ثم سعى الى قراءة دواوين الشعر فبدأ يقرأ الشعر القديم واستوقفه شعر الشريف الرضى والبحترى ثم وقف طويلا عند أمير الشعراء ، أحمد شوقى الذى حفظ شوقياته عن ظهر قلب وبهرته مسرحياته الشعرية الخالدة

" مجنون ليلى " و " مصرع كيلو باترا " و " عنترة " .... الخ .

xxxxxxxxxx

التحق شاعرنا بمدرسة باب الشعرية الابتدائية عام ١٩٠٤ وظهر فيها تفوقه على أقرانه ثم مالبث أن حصل على الشهادة الابتدائية عام ١٩١١م ، فالتحق بمدرسة التوفيقية الثانوية بشبرا وفى المرحلة الثانوية زادت قراءاته للشعر العربى قديمه وحديثه وكان مفتونا بشعر شاعرين : الشريف الرضى وأحمد شوقى وبدأ يكتب محاولاته الشعرية الأولى . ورغم كونها كانت تتحدث عن موضوعات تقليدية فى الحب والغزل مثل الفراق والحنين والوجد والسهر ومكابدة الشوق الا أنها كانت تعد ارهاصات لمولد شاعر كبير ....

ومن شعر الصبا فى هذه الحقبة وهو لم يتجاوز الخامسة عشرة قصيدة بعنوان " كلانا " يقول فيها :

كلانا حزين فلا تجزعى ودمعك تسبقه أدمعى
وان كان بين ضلوعك نار فنار الصبابة فى أضلعى
وان كان نجم هنائك غاب فنجم هنائى لم يطلع

وله قصيدة رقيقة نظمها فى سن الرابعة عشرة بعنوان " على البحر " تفصح عن جولات له وصولات فى هذه السن المبكرة ، وتبين أنه شب مولعا بعبادة الحسن وبدائع الجمال ، كما كانت تبشر بشاعر الحب والعاطفة . يقول فيها :

هل أنت سامعة أنينى ياغاية القلب الحزين
ياقبلة الحب الخفى وكعبة الأمل الدفين
انى ذكرتك باكيا والأفق مغبر الجبين
والشمس تبدو وهى تغرب شبه دامعة العيون
أمسيت أرقبها على صخر وموج البحر دونى
والبحر مجنون العباب يهيج ثائره جنونى
ورضاك أنت وقايتى فاذا غضبت ، فمن يقينى ؟

لقد تبلورت اتجاهات ناجى فى هذه الحقبة فى المرحلة الثانوية وهو فى الرابعة عشر من عمره وكانت له محاولات كثيرة تسبق عمره ، وأنجز شاعرنا دراسة الثانوية بعد حصوله على شهادة "البكالوريا" والتحق بمدرسة الطب عام ١٩١٦م وتخرج فيها عام ١٩٢٣م وعمره أربع وعشرون سنة ولم يستمر طويلا فى العمل طبيبا بقرى مصر ونجوعها فافتتح عيادة خاصة بميدان العتبة الخضراء ليبدأ حياته العملية وليخوض خضم الحياة .

وهكذا أصبح شاعرنا طبيبا .....

## " بين الأدب والطـــب "

وقد تساءل بعض الأدباء في ذلك الحين عن العلاقة بين الطب والشعر وكيف جمع ناجي بينهمـــا ؟

فكتب ناجي يرد على تلك التساؤلات في قصيدة رقيقة يقول فيهـــا :(١)

والناس تسأل والهواجس جمة ... شعر وطب ، كيف يتفقـــان ؟
الشعر مرحمة القلوب ، وسره ... هبة السماء ومنحه الديـــان
والطب مرحمة الجسوم ونبعـــه ... من ذلك الفيض العلي الشـــان
ومن الغمام ومن معين خلقه ... يجدان الهاما ويستقيـــان

وكان ناجي في تلك الحقبة قد بدأ يدخل غمار الحياة ويصطدم بالواقع ويخبر الحياة بخيرها وشرها وهو الانسان المرهف الحس الرقيق الوجدان فنجده يصطدم بالكثير من مفاجآت الواقع ومرارته ، فيتمزق ويحاول المواءمة بين طبيعته المرهفة الحساسة ومرارة الواقع وقسوتـــه .

وقد صور معاناته والصراع الحاد الدائر في نفسه بين المادة والروح والخيـــال والواقع ، فقـــال :

" ما أظلم القـــدر ... فقد شاء أن أكون طبيبا ... وليس بالطب من حـــرج ، وانما الحرج أن يكون الخيال مركبا في طبيعة انسان ، فاذا بالقدر يواجهه بالواقـــع ، ويصدمـــه .

" وانما الحرج أن يكون الشعر مركبا في طبيعة انسان ، فاذا بالقدر يضعـــه فوق ألسنة المادة ، ويزجـــه في الدائرة التي لاشعر فيها ولا خيـــال .

" وانما الحرج أن تكون طبيعته أن ينصت الى أنات الروح ، فيأخذه القدر الـــى حيث ينصت الى أنات الجسد ، وشتان بين هذه وتلـــك .

" وانما الحرج أن تجذبه طبيعته لناحية ومهنته لأخرى ، حتى يتمزق بين شـــد

---

(١) ليالي القاهرة / ص ١٩٤ .

هـــذى وجـــذب تلـــك ٠

" وانما الحرج أن يلائم بين الضدين ، ويوفق بين النقيضين ، وأخيرا يلتفت فاذا نفسه أشلاء ، واذا الذبالة تحترق والزيت ينضب ، واذا معين القوة قد أشرف على الزوال ، واذا الجبار قد مزق أوصاله ذلك النضال العنيف بين الغرائز والقدر ، بين الميول والصروف ، بين الخيال والمادة ، بين الوهم والواقع ، بين الـــروح والجســـد " ٠

تلك كانت مأســـاة ناجـــى ٠٠

كان هناك صراع حاد يدور فى نفسه يحاول أن يجد مايرضى روحه القلقة ونفسه المعذبة ويبحث عن الاستقرار من غربته الروحية الموحشة ولكنه كان يعانى التمزق والضياع ، فقد كان جائعا على كثرة الزاد ، وظامئا على وفرة الموارد ومسافرا وهو مقيم ، كالفراشة التى تسعى للنور وفيه مصرعها :

| | |
|---|---|
| انى امرؤ عشت زمانى | حائرا معذبا |
| مسافرا لاقوم لى | مبتعدا مغتربا |
| وظامئا مهما تتح | موارد لن أشربا |
| وجائعا لازاد فى | دنياى يشفى السغبا |
| فراشة حائمة | على الجمال والصبا |
| تعرضت فاحترقت | أغنية على الربا |
| تناثرت وبعثرت | رمادها ريح الصبا |
| أمشى بمصباحى وحيدا | فى الرياح متعبا |
| أمشى به وزيته | كاد به أن ينضبا |

كان ناجى يمسح الآلام النفسية عن النفوس الشقية المعذبة ٠

لقد أعطت مهنة الطب لناجى ضوءا جديدا وتجربة خصبة فرضت عليه تحديات وأثقلت جناحيه بمتاعب وأزمـــات ٠

كشفت له عن النفس الانسانية وأبانت له حقائق باهرة قوامها أن مرضى الأجساد هم مرضى فى النفوس أساسا ، وأن ابتسامة الطبيب هى نصف العـــلاج ٠

وقد أفصح ناجى عن نظرته الواسعة العميقة لمهنته فى اعترافاته الشعرية والنثرية .

xxxxxxxxxxx

وقد أثرت مهنة الطب فى ابداعه الشعرى وفى رسم الصور الشعرية المبدعة التى جاءت فى قصائده .

فى قصيدة مثل " العودة " تتجلى هذه الخصيصة فى الألفاظ وفى الخيال مثل :

١ - رفرف القلب بجنبى كالذبيح .

٢ - فيجيب الدمع والماضى الجريح .

٣ - وفرغنا من حنين وألم .

٤ - ورضينا بسكون وسلام .

٥ - وانتهينا لفراغ كالعدم .

٦ - وسرت أنفاسه فى جوه .

٧ - والبلى أبصرته رأى العيان .

٨ - كل شىء فيه حى لايموت .

الى غير ذلك من مزج للأفكار بالعاطفة الصادقة ، واخراج الصورة الشعرية المؤثرة .

## " عند صخرة الملتقى "

عمل ناجى فترة بعيادته بالقاهرة ثم مالبث أن عين بالقسم الطبى بمصلحة السكك الحديدية ، ونقل الى سوهاج ، ثم الى المنيا ، وأخيرا انتقل الى المنصورة وهنا بدأت مرحلة جديدة فى حياةناجى وشعره .

نقل ناجى الى مدينة المنصورة حوالى عام ١٩٢٧م.

والمنصورة أرض الحب والفن والشعر والخيال ، توحى بالفن والشعر والجمال وتزخر بالوان الفتنة فى كل بقعة من بقاعها .

وقد التقى ناجى على شاطئ المنصورة بثلاثة شعراء آخرين هم : شاعر الجندول على محمود طه ، وشاعر ليالى الهرم صالح جودت وشاعر الأعراف ، محمد عبد المعطى الهمشرى .

ثم كانت صحبة فى الأدب أثرت نتاجا ثريا خصبا ...

وكان يحلو لشعراء المنصورة الأربعة الالتقاء فى جلسة هادئة على صخرة تقع بين شاطىء البحر والصحراء بأطراف المنصورة سموها " صخرة الملتقى " واستوحى كل منهم ما استوحى واتخذها ناجى مكانا للقاء محبوبته ، اذ كانت له هناك صولات وجولات ، ثم كان الفراق ، فراح يندب عهد الحب عند هذه الصخرة قائلا :

سألتك ياصخرة الملتقى ... متى يجمع الوهر مافرقا ؟
فياصخرة جمعت مهجتين ... أفاءا الى حسنها المنتقى
اذا الدهر لج بأقداره ... أجد على ظهرها الموثقا
قرأنا عليك كتاب الحياة ... وفض الهوى سرها المغلقا
نرى الشمس ذائبة فى العباب ... وننتظر البدر فى المرتقى

وتستمر الصحبة وتثمر أجمل ثمارها فى دنيا الشعر .....

ثم مالبث شعراء المنصورة الأربعة أن اتجهوا للقاهرة فى عام واحد هو عام ١٩٣١م : ناجى الى وظيفته بالقسم الطبى بمصلحة السكك الحديدية وعلى محمود طه لوظيفته كمهندس بوزارة الاشغال والهمشرى الى كلية الآداب وصالح جودت الى كلية

التجارة .

ودعوا المنصورة بقلب مشبوب وحرص ناجى على زيارة مهد الحب والجمال ، فقال فيها :

بأى معجزة فى الحب نتفـــــق  ياقلب لايتلاقى الفجر والغســـق
ياقلب ، انا لقينا اليوم معجزة  تكاد فى ظلمات الليل تأتلـــق
ظللت أسأل نفسى كيف تعشقهـا  بقية من بقايا العمر تحتـــرق ؟
وأمنيها وفلول النور دامية  تطفو وترسب أو تعلو فتعتلـــق
لم أدر حين تبدت لى اذا شفقى  أبصرته ، أم على المنصورة الشفق؟

xxxxxxxxxxxx

كانت فترة المنصورة ( ١٩٢٧ - ١٩٣١ ) من أخصب الفترات فى حياة شعراء المنصورة وفى شاعريتهم ونتاجهم ، وقد الهمتهم أجمل ماكتبوا من شعرهم الرومانسى وقد انعكس هذا التأثير فى دواوينهم الأولى والتى أحدثت ضجة كبيرة عند صدورها لما فيهـــا من روح التجديد والابداع والثورة على القديـــم .

## " العـــــــودة "

عاد ناجى من المنصورة الى القاهرة ومر بدار " ليلاه " التى كانت له معهـــا قصة حب عنيفة فرآها قد تغيرت وأصبحت تعول فيها الريح ، وتكسوها خيوط العنكبوت :

هذه الكعبة كنا طائفيهـــا  والمصلين صباحـــا ومســـاء
كم سجدنا وعبدنا الحسن فيها  كيف بالله رجعنا غربـــاء؟

xxxxxxxxxx

دار أحلامى وحبى لقيتنـــا  فى جمود مثلما تلقى الجديـــد
أنكرتنا وهى كانت ان رأتنا  يضحك النور الينا من بعيـــد

xxxxxxxxxx

رفرف القلب بجنبى كالذبيـح  وأنا أهتف يا قلب أتئـــد
فيجيب الدمع والماضى الجريح  لم عدنا؟ ليت أنا لم نعـــد

xxxxxxxxxx

لم عدنا؟أو لم نطو الغـرام  وفرغنا من حنين وألـــم
ورضينا بسكون وســـلام  وانتهينا لفراغ كالعـــدم

xxxxxxxxxx

أيها الوكر اذا طار الأليف  لايرى الآخر معنى للهنـــاء
ويرى الأيام صفرا كالخريـف  نائحات كرياح الصحـــراء؟

xxxxxxxxxx

آه مما صنع الدهر بنـــا  أو هذا الظل العابث أنـــت ؟
والخيال المطرق الرأس أنا  شد مابتنا على الضحك وبتنـــا ؟

xxxxxxxxxx

أين ناديك وأين السمـــر  أين أهلوك بساطا وندامـــى
كلما أرسلت عينى تنظـــر  وثب الدمع الى عينى وقامـــا

xxxxxxxxxx

موطن الحسن ثوى فيه السـام وسرت أنفاسه فى جـــوه
وأناخ الليل فيه وجثـم وجرت أشباحه فى بهـــوه

xxxxxxxxx

والبلى أبصرته رأى العيـان وبداه تنسجان العنكبـــوت
صحت - بياويحك تبدو فى مكان كل شىء فيه حى لايمـــوت

xxxxxxxxx

كل شىء من سرور وحـــزن والليالى من بهيج وشجـــى
وأنا أسمع أقدام الزمـــن وخطى الوحدة فوق الـــدرج

xxxxxxxxx

ركنى الحانى ومغنـاى الشفيق وظلال الخلد للعانى الطليـــح
علم الله لقد طال الطريـق وأنا جئتك كيما أستريـــح

xxxxxxxxx

وعلى بابك ألقى جعبتـــى كغريب آب من وادى المحـــن
فيك كف الله عنى غربتـــى ورسا رحلى على أرض الوطـــن

xxxxxxxxx

وطنى أنت ولكنى طريـــد أبدى النفى فى عالم بؤســـى
فاذا عدت فالنجوى أعـود ثم أمضى بعدما أفرغ كأســـى

xxxxxxxxx

إن ناجى هنا يرتل لحنا حزينا مستغرقاً فى التأمل فى أعماق ذاتيته الخاصة وهذا يرجع الى رومانسيته المرهفـــة .

وكانت قصيدة "العودة " تعبيرا من تجربة شعورية خاصة لشاعر عاد الى ديـــار أحبابه ووقف على أطلالها يتأملها ويناجيهـــا ....

ان الأفكار فى القصيدة واضحة مرتبة فيها عمق وتحليل وابتكار ، فقد عبر عـــن ماضيه الجميل وحاضره الموحش بتفصيل واستقصاء وأجرى حوارا داخليا أحيا المعانـــى

وجسمها فى مشهد درامـــى رائـــع .

وقد برع شاعرنا فى صوره الشعرية poetic Picture فأجاد فى التصوير الكلـى الذى نقل لنا لـــوحات فنية متكاملة ، الأجزاء حافلة بالظلال والألوان كما برع فـــى التصويرالجزئى المعتمـــد على التشخيص Personification والتجسيم وبث الحيـــاة والحركة فى المعنويات والجمادات ، فالدمع يجيـــب :

فيجيب الدمع والماضـى الجريـــح .

والبلى ينسج : والبلى أبصرته رأى العيان ويداه تنسجان العنكبـــوت

والسأم يقيـم : مواطن الحسن ثوى فيه السأم

والليل ينيخ ويجثم : وأناخ الليل فيه وجثم

والزمن له أقدام تتحـــرك :

وأنا أسمع أقـــدام الزمن وخطا الوحدة فوق الـــــــدرج

وقد أثبت الشاعر مقدرته الفنية الأصيلة فى انتقاء الألفاظ وتنسيق العبـارات بحيث تتعاون فى رسم الجو النفسى المسيطر عليـــه ، وقد كان لسيطرة مشاعر الحـزن والأسى على شاعرنا انعكاس فى هذه القصيدة فجاءت ألفاظه وعباراته نابعة من هـــذه العاطفة مثل " ثوى فيه السأم " ، أناخ الليل ، وجثم ، جرت أشباحه ، البلـــى ، العنكبوت ، خطا الوحدة .

لقد عاد الشاعر الى دار أحبابـــه بعد هجـر طويـل مدفوعا الـى العـــودة بحنين غـلاب ، وشـوق فيـاض ، فلـم يجد حبيبتـه ، وألفى نفســه غريبـــا والدار موحشـة فاستعاد ذكريـات الماضـى الجميـل وعبـر عن آلامـه النفسيـة فى هذه القصيـدة التـى جاءت وليـدة تجربـة شعريـة ذاتيـة عاشها الشاعـر وعاناهـا بوجدانـــه .

## " من وراء الغمـــــام "

قامت جماعة " أبوللو " للشعر عام ١٩٣٢م برئاسة أمير الشعراء أحمد شوقـــى ، وأمينها العام أحمد زكى أبو شادى ومالبث الدكتور ناجى أن انضم اليها وأصبح مـــن أبرز أعضائهـــا ...

وظهرت على صفحاتها أرق أشعاره العاطفية وأعذبها مما لفت اليه الأنظار كشاعر مجدد أضاف لقاموس الشعر الوجدانى ثروة عن المشاعر والأحاسيس الفياضة فـــى شعر الحب واللهفة والحنيـــن .

وتنشر له " أبوللو " قصيدة " اللقاء " يقول فيهـــا :(١)

أهاب بنا فلبينـــا ... مناد ضم روحينـــا
كأنا اذ تصافحنـــا ... تعانقدنا بكفينـــا
كأن الحب تيـــار ... سرى مابيـــن جسمينـــا
يؤجج فى نواظرنـــا ... ويشعل فى دمائينـــا

وفى نفس العدد كانت له قصيدة " أغنية فى هيكل الحب " يقول فيهـــا :

كم تجرعنا هوانـــا ... ولقينـــا فى هوانـــا
وبلونا نار حـــب ... لم نذق فيها أمانـــا

ونجد له فى نفس العدد أيضا قصيدة " رجوع الغريب " يقول فيهـــا :

عادت لطائرها الذى غناها ... وشدا فهاج حنينها وشجاها
أى الحظوظ أعادها فيهـــا ... ونجى وحدتها وألف صباهـــا

وفى عدد نوفمبر نجد له عدة قصائد وجدانية رقيقة منها قصيدته " ساعة التذكار" و " الى القمـــر " و " عتاب " و " أصوات الوحـــدة " .

---

(١) أبوللو / سبتمبر ١٩٣٢م / ص ٧ .

يقول فى قصيدة " عتـــاب " :(١)

هجرت فلم نجد ظلا يقينـــا ... أحلما كان عطفك أم يقينـــا ؟
أهجرا فى الصبابة بعد هجر ... أرى أيامه لاينتهينـــا
لقد أسرفت فيه وجرت حتـى ... على الرمق الذى أبقيت فينـــا
كأن قلوبنا خلقت لأمـــر ... فمذ أبصرنا من نهوى نسينـــا
شغلن عن الحياة ونحن عنها ... وبتن بمن نحب موكلينـــا
فان ملئت عروق من دمـــاء ... فانا قد ملأناها حنينـــا

وفى عدد ديسمبر ١٩٣٣م نجد له قصيدة " الفراشـــة " .
وفى عدد يناير ١٩٣٤م نجد له قصيدة " الى س " وقصيدة " الشباب الثانـى " .

فى قصيدته " الى س " يستلهم من الفنانة " ز " معانى جميلة وكانت هـــذه الفنانة ممثلة مسرح شهيرة أحبها أكثر من شاعر وتمتاز بشعرها الذهبى وعينيهـــا الزرقاويـــن كزرقة البحر . يقول فيهـــا : (٢)

نحن أرواح حيارى افترقـــت ... ثم عادت فتلاقت فى شجاهـــا
سوف ينسى القلب الا ساعـــة ... من رضا فى وكرها الحانى قضاهـــا
هتف القلب وقد حدثتنـــى ... أى ماض كشفت لى شفتاهـــا
همست فى خاطرى فاستيقظـــت ... روحى الحيرى وأصغت لنداهـــا
فانا ان لم أكن توأمهـــا ... فكأنى كنت فى الغيب أخاهـــا

xxxxxxxxxxx

نحن أرواح حيارى تملـــت ... وانتشت سكرى على لحن أساهـــا
قربى روحك منى قربـــى ... ظلليني واغمريني برضاهـــا
وتعالى حدثينى .. حدثـــى ... أنت مرآة شجونى وصداهـــا
فهبينى ساعة الصفو التـــى ... تقسم الأيام مافيها سواهـــا
ثم أمضى لحياة مـــرة ... صبحها عندى سواء ومساهـــا

xxxxxxxxxxx

---

(١) أبوللو / نوفمبر ١٩٣٣م / ص : ٢١٤ .
(٢) أبوللو / يناير ١٩٣٤م / ص : ٣٩٦ .

واستمر ناجى ينشر أشعاره الوجدانية فى مجلة أبوللو وشد الانتباه بتعبيراته المبتكرة فى قاموس الوجدان والعاطفة ، ثم مالبث أن جمع شعره وصدر فى ديوان بعنوان " وراء الغمام " عام ١٩٣٤م فأثار ضجة كبيـــــرة ....

ووصف الدكتور أحمد زكى أبو شادى ناجى بأنه شاعر اللهفة والشاعر العاطفـــى المبدع وكتب أحمد الصاوى محمـد دراسة للديوان تناول فيها شاعرية ناجى ورقة شعره وعذوبة روحه وقال عن ديوانه انه قصيدة حب وأن ناجى ليس شاعرا مستهاما فقـــط ولكنه مصور ومفكر وأن ظهور هذا الديوان الصغير فى تاريخ الأدب يوم مشهود وحركـة وثابة جديدة لأنه الشعر الخالص للشعر والحب الخالص والرحمة الخالصة للانسانية .

وقد هاجم الدكتور طه حسين عنوان الديوان وتساءل : ما المقصود بمعنـــــى " وراء الغمام " في مقال له بصحيفة السياسة الأسبوعيـة .

ويفسر الأستاذ صالح جودت رفيق ناجى وصديق شبابه وعمره عنوان " وراء الغمام " فيذكر أن المقصود بالغمـــام حين يتطلع الشاعر الى الأرض فيراه يحجب النـــاس ، فتلك راقصة تلهو وتمرح وكأنها أسعد أهل الأرض فاذا انقض عنها الغمام ، تجلـــت وراءه مأساة عنيفة ، يصورها لنا ناجى فى قصيدته " قلب راقصة " التى يقول فيها :

لاتكتمى فى الصدر أســـرارا وتحدثى كيـف الأســى شـــاء
أنا لاأرى رجسـا ولا عـارا لكن أرى امـرأة وبأســـاء

" الغمام الذى يمعد ناجى بعينيه الى السماء ، فيراه يحجب حقائق السمـــاء ، فيسمو اليها بخياله قائلا فى قصيدته " صـلاة الحـــب " :

سموت ودق احســـاس وجـزت عوالـم البشـــر
نسيت اسـاءة النـــاس غفـرت خطيئـة البشـــر

xxxxxxxxxxxx

وقد ظهرت ملامح شخصية شاعرنا فى شعـره فى هذا الديوان فهو شاعر وأديـــب مثقف لم يمنعـه اشتغاله بالطـب عن تنمية مواهبه بالاطلاع على الأدب العربـــى والأدب الأوربى ، وهو انسان مرهف الحس ، صادق الوجدان ، عفيف فى غزله ، عميـــق التأمل ، مرتب الفكر ، بارع الخيـــال .

## " وداعا أيها الشعـــــر "

وحوالى عام ١٩٣٥م سافر الدكتور ابراهيم ناجى الى لندن فى مهمة علمية ، وذات يوم وهو هناك بديار الغربة وصلته مجموعة من الصحف والمجلات المصرية وعلى صفحاتها معركة عنيفة حول قيمة شعره يقودها بعض كبار الأدباء مثل العقاد وطه حسين لاختلافهما مع أبو شادى وبالتالى مع جماعة أبوللو لظروف سياسية وحزبية .

ويشعر ناجى بالحزن والمرارة ويـــردد بأســـى :

هى محنة وزمان ضيـــــق وتمخضت عـــن لاصديـــــــــــق

وبينما هو يسير فى شوارع لندن شاردا حزينا تدهمه سيارة فتصيب ساقه ويرقـــد فى المستشفى عدة شهور ولكن أجريت له عملية جراحية فشفيت ساقه وان ظل يعانـــى مرارة نفسية هائلة . وركب الباخرة ليعود الى مصر ... وعندما اقتربت بـه مـــن شواطىء مصر هتف يقـــول :

هتفت وقد بدت مصر لعينـى رفاقى ، تلك مصر يارفاقـــى
خرجت من البلاد أجر سقمـى وعدت الى البلاد أجر ساقـــى
أتدفعنى وقد هاضت جناحـى وتجذبنى وقد شدت وثاقـــى

xxxxxxxxxxx

وعاد ناجى الى مصر بنفسية حزينة يائسة وزاد ألمه أنه وجد بعض الأدبـــاء يحاولون النيل من قيمة شعره أيضا فأصيب بكآبة نفسية حادة وندم على ماضيع مـــن وقت وجهد فى نظم شعـــر كان يظن أنه سيجعله فى الذروة من قمة الشعر فأعلن أنـــه سيودع الشعر والفن والفكر وكتب يقـــول :

" وداعا أيهـــا الشعـــر ....
" وداعا أيهـــا الفـــن ....
" وداعا أيهـــا الفكـــر ....

ثم احتجب لفترة عن نظـــم الشعـــــر .

وكتب الدكتور طه حسين مقالا فى صحيفة الوادى يدعو فيهـا ناجى للعودة الـى رياض الشعـر بأسلوب ذكى طريـف ، فقـال :

" اننى لم أحزن حين رأيت الدكتور ناجى يعلن زهده فى الشعر لأنى قدرت أن الدكتور ناجى ان كان شاعرا حقا ، فسيعود الى الشعر ان راضيا وان كارها ، سواء ألححت عليه فى النقـد أو رفقت به ، وان لم يكن شاعرا فليس على الشعر يأس فى أن ينصرف عنه ويزهد فيـه ".

وكانت لهذه الدعوة الذكية من الدكتور طه حسين أثرها السريع فسرعان ما استجاب الدكتور ناجى لها وعاد لروضة الشعر يعاود الغناء والتغريد فوق أفنان الجمـال ليقدم لقرائه أجمل أناشيده فى الحب والجمال وعاد يغنى لملهمته بعد صمت طويـل فقـال لهـا :(١)

أيها الماضى الذى أودعتـه ... حفرة قد خيم الموت بهـا
أيها الشعر الذى كفنتـه ... مقسما لاقلت شعرا بعدهـا
أيها الشعر الذى مزقتـه ... صارخا : عهدك ياقلب انتهـى
قسما مامات منكم أحـد ... انها رقدة يأس .. انهـا
آه لو قام رسول ضـارع ... أو شفيع منكم يمضى لهـا
آن من يخبرها عن طائـر ... نسى الأوكار الا وكرهـا

---

(١) ليالى القاهـرة / ص : ١٩١ .

## " ليالى شاعر الأطـــــلال "

فى نهاية عام ١٩٣٩م شبت أوار الحرب العالمية الثانية ، وألقت الحرب بظلالهـــا القاتمة على مصر وتأثر ناجى بالظلام الذى غمر " ليالى القاهرة " ، وهو عاشـــــق الليل والنـــور والنغـــــم .

وأوحت هذه الليالى المظلمة لناجى بمعان وجدانيـــة رقيقة ، فهو لم يرى فـى هـــذه الليالـى المظلمة الا معانى الوصال والمناجاة مع محبوبتـــه ....

ودخل فى حياته حب فى تلك الحقبة واستلهم من هذا الغرام قصائده " فى الظلام " و " أنوار " و " الميعاد الضائـع " و " اثنان فى سيارة " و " لقاء فى الليل " فالشاعر العاطفى ناجى لايستلهم من جو الحرب والأظلام معانى الضرب والقصف بـــل لايجد منه الا جو اللقاء العاطفى ولا يجد فيـه الا العاطفـــة .

يقول فى قصيدة من أجمل قصائد شعره التصويرى العاطفى بعنوان "لقاءفى الليـل " يصف فيها لقاء مع محبوبته فى ظلمات القاهرة أيام الغارات تحت الفزع والظلمـــة والقصف والخوف ، يقـــول :

قالت تعال ، فقلت لبيـــك هيهات أعصـــى أمر عينيـــك
أنا ياحبيبـة طائر الأيـــك لم لاأغنـــى فى ذراعيـــك

xxxxxxxxxxxx

أفديك مقبلـة على جـــزع بســطت الى يمين مرتجـــف
وبها ارتعاشـة طائر فـــزع من قلبهـا تسرى الى كتفـــى

xxxxxxxxxxxxx

فى تلك الحقبة المظلمة الظالمة بدأت قصة حب عنيفة مع ممثلة جهيرة هى " ز " ملأت فراغ روحه وقلبـــه ونفســـه بعد اخفاق قصة حب مع ملهمة " ليالى القاهرة " ..

وقد أحب هذه الممثلة أكثر من أديب وشاعر وصحفي (١).

وقد امتد هذا الغرام بين مد وجزر : بين الرضا والغضب والهجر والوصال والحب والحنين لفترة خصبة وكانت بينهما مراسلات عاطفية تعد من أجمل رسائل الحب والجمال .

وقد شهدت ليالى القاهرة قصة هذا الحب العاصف أثناء اشتعال الحرب العالمية الثانية حوالى عام ١٩٤١م ، وقد انتهت قصة حبهما معها بالفرقة ، واعتكف شاعرنا بعدها يسترجع ذكريات هذا الغرام العاصف يتبتل وخشوع ....

واستوحى من هذه التجربة الخصبة ملحمة العمر " الأطلال " ومن الطريف أنه كتب مطالعها الأولى على " روشتة " وأرسلها الى تلك الملهمة .

قال فى مقدمة الأطلال :" هذه قصة حب عاشر ... التقيا وتحابا ، ثم انتهت القصة بأنها هى صارت أطلال جسد ، وصار هو أطلال روح ، وهذه الملحمة تسجل وقائعها كما حدثت " .

يصور الشاعر العاشق الحب كيف سما بهما الحب الى ذرى عالية وجعلهما كروحين هائمين فى سماء الخيال :

لست أنساك وقد أغريتنى ... بالذرا الشم فأدمنت الطموح
أنت روح فى سمائى ، وأنا ... لك أعلو فكأنى محض روح
يالها من قمم كنا بها ... نتلاقى وبسرينا نبوح
نستشف الغيب من أبراجها ... ونرى الناس ظلالا فى السفوح

ويصف أحاسيسه ومشاعره وأساه وهو يقف على أطلال هذا الغرام الراحل وكيف أصبحت أمامه الدنيا مناديح وأهوال ، فيقول :

قد رأيت الكون قبرا حنيفا ... خيم اليأس عليه والسكوت

---

(١) راجع مقال محمد محمود رضوان بعنوان " مأساة عاشق الجمال " الهلال يونية ١٩٧٣م .

ورأت عيني أكاذيب الهـوى ... واهيات كخيوط العنكبـوت
كنت ترثي لي وتدري ألمـي ... لورثى للدمع تمثال صمـوت
عند أقدامك دنيا تنتهـي ... وعلى بابك آمـال تمـوت

ثم يصور كيف أضناه الوجد والحنين ، وكيف أصبح كالطائر الحزين يشكو جراح قلبه وآلام نفسه :

ذهب العمر هباء فاذهبي ... لم يكن وعدك الا شبحا
صفحة قد ذهب الدهر بها ... أثبت الحب عليها ومحا
أنظري ضحكي ورقصي فرحا ... وأنا أحمل قلبا ذبحا
ويراني الناس روحا طائرا ... والجوى يطحنني طحن الرحى

وتصبح حياته بعد الهجر يبابا وقفرا موحشا صامتا لاتجد فيه أنيسا أو سلوى بل أطلال معبد الحب الذى طالما غرد فيه للحب والوصال :

كنت تمثال خيالي فهوى ... المقادير أرادت لايدى
ويحها لم تدر ماذا حطمت ... حطمت تاجي وهدت معبدى
ياحياة اليائس المنفرد ... يايبابا مابه من أحد
ياقفارا لافحات مابها ... من نجى ياسكون الأبد

ثم يختتم الملحمة بهذه الصورة الحزينة القاتمة الثائرة ، فيقول :

واذا مازهرات ذفرت ... ورأيت الرعب يغشى قلبها
فترفق واتئد واعزف لها ... من رقيق اللحن وامسح رعبها
ربما نامت على مهد الأسى ... وبكت مستصرخات ربها
أيها الشاعر كم من زهرة ... هوقبت لم تدر يوما ذنبها

xxxxxxxxxxxxxx

وقد أبدع ناجى فى رسم لوحات تصويرية جميلة فى هذه الملحمة رسمتها ريشة فنان مبدع .

ومن تلك الصور المحلقة فطلع الملحمة :

يافؤادى رحم الله الهوى كان صرحا من خيال فهوى
اسقنى واشرب على أطلاله وارو عنى ظالما الدمع روى
كيف ذاك الحب أمسى خبرا وحديثا من أحاديث الجوى
وبساطا من ندامى حلم هم تواروا أبدا وهو انطوى

ثم يصور كيف يتقلب على وهج الحنين والوجد والوفاء رغم طعنات الهجر والعقوق من المحبوب فيقول :

ياريحا ليس يهدأ عصفها نفب الزيت ومصباحى انطفا
وأنا أفتات من وهم عفا وأفى العمر لناس ماوفى
كم تقلبت على خنجره لا الهوى مال ولا الجفن غفا
واذا القلب على غفرانه كلما غار به النصل عفا

لقد اتسمت ملحمة الأطلال بالخيال المجنح واللهفة العاطفية ، والصدق الفنى ، فهى تعد من أجمل وأرق ألوان الشعر العاطفى التصويرى المعاصر شكلا ومضمونا .

## " زازا وعاصفة الـــــروح "

كان ناجى يعانى من محنة عنيفة قاسية فى سنواته الخمس الأخيرة من عمره ، كان يعانى من ظروف نفسية وصحية ومادية وعائلية فاتجه الى الشراب وأسرف فيه عله ينسى وأصبحت حياته ليلا طويلا موحشا لاتجد فيه لمحة ضوء أو مصباح أمل ....

ثم جاءت لمحة الضوء فى حياته فى تلك الحقبة الكئيبة من حياته جاء هذا الحب فى وقت كان ناجى يعانى كآبة فى نفسه وكانت القاهرة يخيم عليها الظلام والصمت أثناء الحرب العالمية الثانية .

وكان هذا الحب بمثابة لمحة الضوء التى سقطت فى دياجى الظلمات فى حياة شاعرنا ابتدأ اللقاء بينهما على الورق من جانبها ، من قارئة مثقفة واسعة الاطلاع لشاعر جهير ابتدع صورا مبدعة فى قاموس الحب والعاطفة ، فبعثت له برسالة اعجاب ومالبثت أن رد عليها ثم توالت الرسائل بينهما لمدة عام كامل ، وكان أول لقاء بينهما أثناء الصيف فى الاسكندرية وبدأت لقاءات أدبية وفنية وعاطفية بينهما يتناقشان فى شتى فروع الأدب والثقافة والفن والحب ...

ثم قررت " زازا " الاشتغال بالفن واعترضت أسرتها الصعيدية المحافظة - ولكن ناجى - وكانت تربطه بأسرتها علاقة ودية - أفلح فى اقناع أسرتها بالسماح لها بالاشتغال بالفن ... وأصبحت زازا ممثلة شهيرة وأصبحت تقيم ندوات أدبية وفنية أسبوعية بصفة منتظمة تدور فيها أحلى الأسمار وأشهى الأحاديث فى الأدب والفكر والفن وكان من أبرز من يؤم هذه الندوات العقاد ورامى وصالح جودت وفكرى أباظه وأنور أحمد ومحمد عبد الوهاب .

ويلقى الأستاذ صالح جودت الأضواء على قصة هذا الحب الكبير فى حياة ناجى ، فيقول عن تلك الملهمة : (١)

---

(١) صالح جودت / ناجى ، حياته وشعره / ١٩٦٠م ص : ١٢٩ .

" أما زازا فلست أجانب الحق اذا قلت أنها المرأة الوحيدة التى أحبت الشاعر.. " كانت شابة وسيمة القسمات ، أنيقة الروح ، ، تعشق الشعر ، قديمه وحديثه ، وتحفظ الكثير من هذا وذاك ، ولم تكن ذات مطامع كمطامع الفانيات . كان كل همها فى الحياة أن تكون بجانب الشاعر يحبها وتحبه " .

xxxxxxxxx

لقد وجد ناجى فى زازا - فى تلك الحقبة التى كان يعانى فيها من محنته بالزمان والناس - الملجأ والسلوى .... لقد عرفها حوالى عام ١٩٤٤م فملأت الفراغ الذى كان يعانيه ويكابده .

وقد ترك لنا ناجى اعترافات حول هذا الحب الذى لعب دورا كبيرا فى حياته وشعره ابان محنته فى سنواته الأخيرة حين تخلى عنه أصدقاؤه وهجرته محبوبته اللاشى طالما تغنى بحبهن وانشغلت عنه ملهمة " الأطلال " بأضواء السينما والمسرح .

ثم جاءت زازا التى خفقت عليه فى المحنة فداوت جراح روحه وآلام نفسه .

وقد استلهم ناجى من غرامه بها عدة قصائد رقيقة منها قصيدته " زازا " التى نشرت بعد وفاته والتى تصور جوانب الحب فى حياة ناجى ، يقول فيها :

قبل أن نلتقى ، فلما تلاقينا ... عرفت الغنى وذقت المغانم
حيثما أهتدى فان الدرارى ... ملء روحى وفى خيالى بواسم
ان أبت جائعا فثمة زادى ... أو أبت معسرا فثم الدراهم
وعجيب فقد كنت لى حسد الحساد ... فيها وكنت أنت التمائم
بالذى صنت عهده لم أخنه ... ومتى خانت الأكف المعاصم

ويقول عنها فى قصيدة " الطائر الجريح " :

لولاك ما قلت لشىء ... فى الوجود مرحبا
ولم أجد ركنا هنيا ... بالحنان طيبا
أنت الحياة والنجاة ... والأمان المجتبى

لقد لعبت زازا فى حياة ناجى فى تلك الحقبة دورا كبيرا فى تخفيف آلام روحه وأحزان نفسه ... كان فى تلك الحقبة يعانى المرض وعقوق الأصدقاء وهجر المحبوبات وعسر المال فضلا عن الأحقاد والدسائس من خصومه فى عمله الذين استغلوا محنته فضيقوا عليه الخناق وشددوا على الكرة للنيل منه فى وظيفته وكان يقترب حينئذ من الخمسين فزاد ذلك من محنته وأحس بأنه قد شاخ .

وانعكس كل ذلك على نفسيته وبالتالى على شعره الذى أصبح أكثر ارهافا وحزنا ووحشة .

ورقد على الفراش حين اشتدت عليه العلة من أثر السهر والاسراف فى الشراب وفى لحظة يأس أحس بالنهاية ورأى بعينى خياله الزورق يغرق ولامجيب لصراخ الملاح وسجل أحاسيسه القاتمة فى قصيدة موحشة بعنوان " عاصفة الروح " خاصة أنه كان يعانى من هجر محبوبة العمر ولمحة الضوء الوحيدة فى حياته " زازا " فى تلك الحقبة الحزينة من سنواته الأخيرة ، والتى كانت الباسم الشافى الذى خفف عنه الكثير من آلام روحه .

لم ير شاعرنا أمامه فى تلك الحقبة الا زورقه تعبث به الأمواج وسط الأنواء والغيوم والرياح وقد غرق الشراع وأوشك على الغرق دون أن يجد مرسى فى شاطىء للأمان والرجاء .

أين شط الرجاء ... ياعباب الهموم
ليلتى أنواء ... ونهارى غيوم

xxxxxxxxxxx

أعولى ياجراح ... أسمعى الديان
لايهم الرياح ... زورق فضبان

xxxxxxxxxxx

البلى والثقوب ... فى صميم الشراع
والفنى والشحوب ... وخيال الوداع

xxxxxxxxxxx

اسخـــرى ياحيـــــاة　　فهقهـــــى يارعـــــــود
الصبـــــا لـــــن آراه　　والهوى لـــــن يعـــــــود

xxxxxxxxxxxx

الأمانـــــى غـــــرور　　فى فـــــم البركـــــــان
والدجـــى مخمـــــور　　والـــــردى سكـــــــران

xxxxxxxxxxxx

راحت الأيـــــــام　　بابتســـــام الشفـــــور
وتولـــى الظـــــلام　　فى عنـــاق الصخـــــور

xxxxxxxxxxxx

كـــان رؤيا منـــــام　　طيفـــك المسحـــــــور
ياضفـــاف الســـــلام　　تحت عـــرش النـــــور

xxxxxxxxxxxx

وتبلـغ الكآبـــة ذروتهـــا والحزن مداه فيـــودع كل شـــىء بعد وداعـه للحـب الوحيـــد فى حياتـــه الذى كـــان يضىء أفـــق حياتـــه ، ويبـدد عـــن روحـــه ظلماتهـــا وأحزانهـــا ، فيقـــول :

اطحنـــى ياسنيـــــن　　مزقـــى ياحـــــــراب
كـــل برق يبيـــــن　　ومضـــه كـــــــذاب

xxxxxxxxxxxx

اسخرى ياحيـــــاه　　قهقهـــى ياغيـــــــوب
الصبـــا لـــن آراه　　والهوى لـــن يـــــؤوب

xxxxxxxxxxxx

ويذكر الأستاذ صالح جـودت أن زازا ظلـت الى جانـب ناجى الـى آخـــــر

حياتـــه تهبـه حياتهـــا وهى حبيبـــة ، وهو شيخ يقـــترب من الستين ، وهو فـــوق ذلك قـــليـــل الحـــظ من المـــــال والجـــال والفحولـــة ، مريـــض بذات الرئـــة ، فما من شـــك بعد ذلـــك أنها كانت تحبـــه حبـــا مثاليـــا لاغايـــة وراءه الا الحـــب فى ذاتـــه .

## " مأساة الطائر الجريـــح "

كان شاعرنا رقيقا وديعا صافى القلب عذب الروح ... كان - كما يصفه - ابراهيم المصرى - فى تلك اللوحة انسانا رقيقا جالمـــا :

" تلتقى بالدكتور ناجى ، فتشعر كأن نسيما منعشا يهب عليك ، وتصافحه فكأنما يفتح لك صدره ، وتجلس اليه وكأنك فى حضرة روح حائر ، وتستمع الى حديثه فيأخذك العجب من طهارة قلبه وبراءة نفسه وسلامة طويته وعذوبة صوته وطلاقة محياه ، فتذهل ، ويتضاءل شخصك فى عين نفسك ، ويعز عليك نقصك ، ولايعزيك فى النهايـــة الا يقينك بأن الخير الذى غادرك قد استقر فى سوال وتمثل نابضا حيا فى قلب هـــذا الشاعر النبيـــل " .

كانت هذه لوحة صادقة ودقيقة لملامح شخصية شاعرنا وقد عكست تصرفات شاعرنـــا الانسانية الكثير من هذه المعانـــى ...

فقد كان يتخذ من الطب مهنة انسانيـة أولا ، ويجعله هواية فى كثيـــر مـــن الأحيان . وكثيرا ماكان يخرج من جيبه ثمن الدواء - وأحيانا ثمن الغـــذاء - للمرضـــى الفقـــراء ...

وكان أهل الأدب والفن من متوسطى الحال يعالجون عنده وفى أغلب الأحيـــان كانت عيادتـــه تزخر بألوان من المرضى الفقـــراء وكان حصيلة كل هذا أقـــل القليل من المال ، ولكنه كان يشعـــر بسعادة غامرة ازاء ذلـــك .

ولقد طابت أيامه عندما عمل طبيبا بوزارة الأوقاف فى عهد الوزراء الثلاثـــة وهـــم : عبدالهادى الجندى وابراهيم دسوقـى أباظة وعبدالحميد عبدالحـــق ، اذ كانوا يقدرون شعـــره ونبوغـــه واخلاصـــه فى عملـــه وفى سنواته الأخيـــرة عانى الكثير من الدسائس والمؤامرات وراحت ألسنة الحاسدين والحاقدين تدس لـــه عند رؤسائـــه فى العمـــل وتزعـــم أنه غير منتج ، وأنه منصرف عن الطب الـــى الشعـــر والأدب .

ونجحت الدسائس فى الهبوط به من منصب المدير الى منصب المراقب ، ثم مالبث أن انتهى به الأمر باخراجه من وظيفته نهائيا ، وهو فى حوالى الثانية والخمسين أى عام ١٩٥٢م .

كانت صدمة عنيفة هزته هزا عنيفا من أعماقه ...

وغامت الدنيا أمام عين الشاعر الرقيق ، واستسلم للعزلة وغشت الكآبة نفسه واحتوته سورة اليأس والعذاب الممض وأسرف فى الخمر اسرافا شديدا ينشد فيها السلوى والنسيان واعتزل المجتمع وغابت ابتسامته الحلوة ...

لقد تغير كل شىء فى ناجى فى سنواته الأخيرة ...

لقد صمت القلب العاشق المغرد وأصبح فناؤه نواحا وترنيمه أنينا . وأهمل نفسه فلم يعد يأبه لطعام أو صحة أو ملبس وحدثت خلافات بينه وبين زوجته . وشرع يقفى لياليه ساهرا هائما على وجهه مع ليالى القاهرة لارفيق له سوى الأقداح وبقايا الذكريات وشيطان الشعر ...

وانفض عنه معظم أصدقائه الا عدد محدود ظلوا بجانبه فى محنته منهم صديق عمره صالح جودت الذى ظل ملازما له وفيا لصحبته حتى آخر نسمة فى حياة ناجى ، وعندما رحل ناجى كتب صالح جودت ترجمة ممتعة لحياته بعنوان " ناجى حياته وشعره " صدرت عام ١٩٦٠م وقدم لها العقاد بمقدمة تحليلية رائعة عميقة أبرز فيها مفهومه حول الرقة العاطفية عند ناجى وسماتها الخاصة به .

## " وغـــرق الـــزورق "

وراح شاعرنا يذوب سريعـــا ... آسرف فى الشـــراب واتخذ من الليل صديقـــــا لـــــه يبثه نجواه علـه يجد السلوى والنسيان وأصبح حطاما يدب على الأرض بعـــــد أن أصابتـــه عدة صدمـــات ...

كان يعانى من المرض وفرقـــة الحبيب ومكايـــد الأعداء وغدر الأصدقـــــاء وعقوقهـــم بعد عسره وخروجـــه من الوظيفـــة بفعـل الدسائس وكانت مأســـاة الطائر الجريـــح ...

فسرعان ماصمتت القيثـــارة الشجية التى أبدعت لنا أجمـل أنغام الحـــب والجمال وغـــرق الزورق ...

ففى ذات ليلة وهو فى عيادتـــه يدنى أذنه الى صدر أحد مرضاه ليسمع دقـــات قلبـــه ، سقط الطبيب وعاش المريـــض ...

مات الانسان الكبير والشاعر المبدع وهو يهتف فى أسى مودعا محبوبة العمـــر بصوت متحشـــرج :

| | |
|---|---|
| داو نـــارى والتياعـــــى | وتمهـــل فى وداعـــــى |
| ياحبيب العمر هب لـــــى | بضع لحظات ســـــــراع |
| قف تأمل مغرب العمـــــر | واخفـــاق الشعـــــاع |
| وابك جبـــار الليالـــــى | هـــذه طـــول الصـــــراع |
| وضياع الحزن والدمـــــع | على العمـــر المضـــــاع |
| وهتـــاف القلـــب بالشكـــوى | علـى غيـــر انتفـــــاع |
| مايهـم النـاس من نجـــم | على وشـــك الزمـــــاع |
| غاب من بعد طلـــــوع | وخبـــا بعد التمـــــاع |

وعندما مات ناجى فى ٢٥ مارس ١٩٥٣م عن عمر يناهز الثالثة والخمسين أصيبت زازا ، بصدمـــة عنيفـة وأصرت على أنه لم يمت بل - كما قالت - " ذهب ولم يترك عنوانـه ".

## " شاعر الحـــب "

كان ناجي قلبا محبا عاشقـــا ... يسعى الى المرأة ويستلهم منهـا أجمـــل أغاريـــد الحب والجمـــال ...

كان شعر ناجى حديث القلـب ونجوى الحبيـب ومكابدة الفـــراق ...

وناجى شاعر يبدع كل الابـــداع فى قصائد الحب والعاطفة وتلمس فى شعـــره حرارة الابـــداع وصـــدق العاطفـــة ...

ان شعر الحـــب Love Poetry عند ناجى يتسـم بالرقة العاطفيـة والصـــدق الفنى وحرارة العاطفـــة ...

ان شعره العاطفى صادر عن عاشـق قوى العاطفـة مشتعل الاحساس صادق الوجدان ويرجـع هذا الى حرقة وجـده وقوة عاطفتـــه .

ان شاعرنا عاشـــق محب يـــرى للحب تأثيرا كبيرا فى حياتـه وفى نظرتـــه للحياة والوجود ، فيقـــول :

ذلك الحب الذى علمنـــى ... أن أحب الناس والدنيا جميعـــا
ذلك الحب الذى صور مـــن ... مجدب القفر لعينى ربيعـــا
أنه بصرنى كيف الـــورى ... هدموا قدسه الحصن منيعـــا
وجلا لى الكون فى أعماقـــه ... أعينا تبكى دماء لادموعـــا

فى شعر ناجى العاطفى نجده عاشقـا واله القلـب قوى العاطفة يتقلـب على سعير الوجد ووهج العاطفـة والحنين ... وقوة العاطفـة هى التى منحت شعـره الأصالـة والجمـال والابـــداع .

يناجى محبوبته ويصـــور لها الدنيا كعباب يلعب بهمـــا :

أنا ان ضاقت بى الدنيا أفىء ... لشوان رحبة قد وسعتنـــا
انما الدنيا عباب نحنـــا ... وشطوط من حظوظ فرقتنـــا

ولقد أطفو عليه قلقـــا فارقنا فى لحظة قد جمعتنـــا

ويجد فى محبوبتـــه الموئـــل والحنان والأمان بعد طول غربتـــه ووحشته وأحـزان روحـــــه :

وعلى بابك ألقى جعبتـــى كغريب آب من وادى المحـــــن
فيك كف الله عنى غربتـــى ورسا رحلى على أرض الوطـــن

xxxxxxxxxxx

وطنـى أنت ولكنى طريـــد أبدى النفى فى عالم بؤســـى
فاذا عدت فللنجوى أعـــود ثم أمضى بعدما أفرغ كأســـى

ويرى أن حب محبوبتـــه هو المحراب وبيتـــه كعبتـه التى يقف أمامها بتبتـــل وخشـــوع وقد ســـار اليه على الأشـــواك واستعذب منارح الهول والأهوال ليحظـــى بوصـــال المحبـــوب :

وحبيب كان دنيـا أملـــى حبـــه المحراب والكعبة بيتـــه
من مشى يوما على الورد لـــه فطريقى كان شوكـا ومشيتـــــه
خفق القلـب له مختلبـــا خفقة المصباح اذ ينضب زيتـــه
قد سلانـــى فتنكرت لـــــه وطوى صفحة حبى فطويتـــــه

xxxxxxxxxxx

كان ناجـــى أحد فرســـان الغزل العـــذرى ...

لقد عـــرف الحب العذرى وغنى لـــه ، وهو حب خالـص من شوائب الحـــس مـــن فرسانـــه مجنون ليلـــى والعباس ابن الأحنـــف .

ويرى الدكتور زكى مبارك (١) أن الحب العذرى لايقوم على الزهـد المطلـــق

---

(١) الدكتور زكى مبارك / العشـــاق الثلاثـــة / ١٩٤٤م.

فى المتعة الحسية انما يقوم على أساس الصراع بين روحين يغالبان مطالع الأفئدة ومطالب الحواس ، فالحب العذرى هو معركة عنيفة فى ميدانين : الأول ميدان الصراع بين الشاعر وهواه والميدان الثانى ميدان القتال بين الشاعر ومن يهواه وهو فى الميدان الثانى لايطارد فريسة لاتنال بأيسر الجهد وانما يطارد ظبية عصماء لاتنال الا باقتحام الأهوال فوق قمم الجبال والحب العذرى حين نتصوره هذا التصور لايكون الا رياضة أخلاقية فى أنفس من أقبلوا عليه من الشعراء العظام .

وكان الدكتور ناجى شاعرا عذريا عاشقا يرى الحب طريقا الى تهذيب الأرواح وتربية العواطف .

أنه يصرنى كيف الورى  هدموا قدسه الحصن المنيعا

وقد خلق شاعر الحب للمرأة فى شعره شمائل تميزها عن سائر بنات حواء فقد خلق منها عروسا للشعر وجعلها امرأة مثالية وقوة روحية تسيطر على مسالك ظلاله ومذاهب هداه وخلق منها مثالا رائعا لاتحده الأوهام والظنون وكثيرا ماصورها عروسا للشعر بعيدة عن دنيا البشر ...

يتغزل شاعرنا فى محبوبته فيصور مواطن سحرها فى أسلوب تصويرى وجدانى رائع ، فيقول :

أى سر فيك ؟ أنى لست أدرى  كل مافيك من الأسرار يغرى
خطر ينساب من مفتر ثغر  فتنة تعصف من لفتة نحر
قدر ينسج من خصلة شعر  زورق يسبح فى موجة عطر
فى عباب فامض التيار يسرى  وأملا مابين عينيك وعمرى

أنه هنا يجيد التعبير العاطفى Emotional Expression فى رسم صور متتابعة حية لجمال محبوبته وسحرها القهار ويجد معها الحنان والمأوى والحب والظل الظليل من هجير الحياة :

هذه الدنيا هجير كلها  أين فى الرمضاء ظل من ظلالك

ربما تزخر بالحسن ومـــا ... في الدمى مهما غلت سر جمالـك
ربما تزخر بالنور وكـــم ... من ضياء وهو من غيرك حالـك
لو جرت في خاطري أقصى المنى ... لتخيلت خيالا من خيالـك

xxxxxxxxxxx

ويرى عباس محمود العقاد أن ناجي من شعراء الرقة العاطفية Sentimentalism والتي كانت غالبة على بعض أصحاب الأقلام في مصر من الناظمين والناثرين في أوائل هذا القرن ولكنه يرى أن رقته لها نمط خاص ، فيقول : (١)

" ولاشك في صدق تعبيره عن تلك الرقة العاطفية شعرا ونثرا ، بل خلقا وشعورا كما عرفناه وعرفه أصدقاؤه الأقربون .

" رقة ودقة ... هاتان الخصلتان اللتان نسجت منهما العاطفية الشعرية في سليقة ناجي " .

والمعروف أن العقاد كان قد انتقد ناجي عام ١٩٣٤م حين صدر ديوانه " وراء الغمام " واتهم شعره بالاغراق في البكاء والحنين والرخاوة العاطفية ورد عليه ناجي مما لايتسع له المجال هنا .

كما اتهم ناجي بالافراط العاطفي Sentimentality من بعض النقاد والدارسين ولكن غاب عن بالهم تكوين ناجي العاطفي ورقة عاطفته ورفاهة احساسه ثم أنه كان صادقا مع نفسه فجاء شعره انعكاسا لمشاعره وأحاسيسه وعواطفه وذلك هو غاية الصدق الشعوري والفني .

وشعر ناجي ملىء بالحنين واللهفة والألم والعتاب والمناجاة ولكن هناك لوحات تصويرية مرحة مبتهجة منها هذه اللوحة المرحة الراقصة لحبيبين أضاء لهما الحب أضواء البهجة فانطلقا يمرحان ويسبقان ظلهما الراقص :

هل رأى الحب سكارى مثلنـا ... كم بنينا من خيال حولنـا ؟

---

(١) مقدمة العقاد لكتاب " ناجي حياته وشعره " / ص :

ومشينا فى طريق مقمـــــر  تثب الفرحة فيه قبلنـــــا
وتطلعنا الى أنجمـــــه  فتهاوين وأصبحن لنـــــا
وضحكنا ضحك طفلين معـــا  وعدونا فسبقنا ظلنـــــا

ويرى فى محبوبتـــه الأمـــل والربيـــع والبهجـة والاشـــراق :

عندما أقفرت الدنيا جميعا  لحت لى تحمل عمرا وربيـــا
ان يكن حلما تولى مسرعـــا  أجمل الأحلام ماولى سريعـــا
ان يكن ماكان دينا يقتضى  خلنى أدفعه عنك دمعـــا
قد شريناه عزيزا غاليـــا  ان تكن بعت فانى لن أبيعـــا

وهذه لوحـة مرحة مبتهجـة لمحبيـــن نسيا كل شىء فى الوجود وقد أجـــاد ناجـــى فى رســم صور متحركـــة Moving picture , لمـــرح المحبيـــن وبهجتهمـــا فى ظل الوصال والنجـــوى :

نمشى وقد طال الطريق بنـــا  ونود لو نمشـــى الـــى الأبـــد
ونود لو خلت الحياة لنـــا  كطريقنا وغـــدت بلا أحـــد

xxxxxxxxxxx

نبنى على أنقـاض ماضينـــا  قصـرا من الأوهـــام عملاقـــا
ونظـل ننسج من أمانينـــا  وشيا من الأحـــلام براقـــا

xxxxxxxxxxx

وأظل أسقيهـا وتملأ لـــى  من مورد خلف الظفون خلـــى
حتى اذا سكرت من الأمـــل  وترنحت مالت على كتفـــى

بعد هذه البهجـة والسعادة فى ظـلال الوصـال والحب والنجوى ينتبـــه على صوت النذيـــر يروعـــه بالفرقـة بعد ساعات الهناء والسعـــادة :

حان حرمانى وناداني النذير  ما الذى أعددت لى قبل المسيـــر
زمنى ضاع وما أنصفتنـــى  زادى الأول كالزاد الأخيـــر
رى عمرى من أكاذيب المنـــى  وطعامى من عفاف وضميـــر

وعلى كفك قلـــــــب ودم　　وعلى بابـــك قيد وأسيـــــــر

وبعد الفرقـــة ينتابـــه الأسى ويعكف على كأســـه وعلى سرابه ينتظر علـــــى أمل أن تلبى محبوبتـــه النداء وتعود اليـــه ليالـــى الوصال والنجوى والنغـــم :

انى على يأسى وكأسى كابـــــى　　وعلى سرابى عاكف وشرابـــــــى
ولقد فرغت من التعلل بالمنى　　الا وميضافـى السراب الخابـــــى
رمقا يعللنى بأنك عائـــــد　　يوما لقلبى قبل يوم ذهابـــــى
أزرى شروقك فى أفول مغاربى　　وأشم عطرك فى ذبول شبابـــــى؟

xxxxxxxxxxxx

يرى الشاعـر صالح جودت أن شعر الحب عند ناجـــى خالد وأصيل ، فيقول : (١)

" ان أجمـــل مقياس لخلـــود الشاعـــر ، هو أن تظفـــر بالبيت له ، فتســـأل نفســـك " الى متى يعيش هذا البيت " ولســـت أشك فى أن أكثـــر شعـــر ناجـــى فى الحب قمينـــن بأن يعيـــش الى أن تنتهـــى قصة الحب على الأرض .

" هذا هو الشاعر الخالـــد وهذا هو الخلـــود " .

ويرى بعض النقاد أن شعر ناجـــى فى الحب قد أثـــر فى الشعراء الذين جاءوا بعـــــده .

" ان ناجى قد بلغ الذروة فى التعبيـــر عن ظمأ الروح واللهفة الخالـــدة الى الحب ، وعاش طول حياتـــه روحا ظامئـــا لهيفا يبحث عن العواطف ويعبـــر عن أشواقـــه المتدفقـــة .

" وامتد هذا الظمأ والحنين فى شعره حتى آخـــر حياته فى دواوينه الثلاثـــة " وراء الغمام سنة ١٩٣٤م " و " ليالى القاهرة سنة ١٩٤٤م " و " والطائـــر الجريح الذى صدر بعد وفاتـــه سنة ١٩٥٧م " .

---

(١) صالح جودت / ناجى ، حياته وشعره / ص : ١٥٦ .

" فى هذه الدواوين نلمح ناجى المتعطش الى الحب يمثل تيار أبوللو أصدق تمثيل ، ولقد أثر فى كثير من الشعراء الذين جاءوا بعده ، بل لعلنا نحس آثاره حتى الآن فى شعرنا المعاصر " (١) .

xxxxxxxxxxxxxxx

وبعد ، فهذا هو شاعر الحب ، ناجى ، الذى كانت أغاريده العذبة دافقة بالشعور الحى والحرارة والجمال وكانت تتسم بالصدق الفنى لأنه قبسها من نار روحه ونور وجدانه .

لقد كان شعر الحب Love Poetry عند ناجى لونا جديدا وفريدا فى شعرنا العربى المعاصر .

---

(١) عبد العزيز الدسوقى / جماعة أبوللو / ص : ٥٧٣ .

# مختارات

# من شعر ناجى

١ - أغنيـــة فى هيكـــل الحـــب

٢ - البعـــث

٣ - الغـــد

٤ - الـــوداع

٥ - الخريـــف

## ١ - أغنية فى هيكل الحب

كم تجرعنا هوانا
ولقينا فى هوانا
وبلونا نار حب
لم نذق فيها أمانا
واذا حل الهوى
هيهات تدرى كيف كانا
فاذا ماملك الأنفس
أملاها هوانا
فهو نصل مستقر
ولهيب لايدانى

xxxxx

ياحبيبى هدأ الليل
ولم يسهر سوانا
لا الدجى ضمد جرحينا
ولا الصبح شفانا
لا الهوى رق على
الشاكى ولاقاسيه لانا
قد فدونا فرض الرامى
كما شاء رمانا
وافنى بالله نطرق
هيكل الحب كلانا
ساعة نبكى على الكأس
ونشكو من سقانا

## ٢ - البعـــــث

ياجمـــــالا وجـــلالا يتدفـــــق
رجـــع الليـــل أم عـــاد الربيـــع
بهر النور عيونـى ، فترفـــــق
حين تدنـــو ، اننى لا أستطيـــــع

xxxxxxxx

أيهـــا الورد الـــذى طاف بنـــــا
أيهـــا الظل الـــذى بل الغمـــــا
لا أراك اللـــه حالـــــى وأنـــــا
أظما الشـــوك ويغزونـى الظمـــــا

xxxxxxxxx

يا أمانـــىّ وحبـــى وخيالـــــــى
لاتضيـــع لحظـة ، فالعمـــر ضـــاع
لا أراك الله حالـــى ، والليالـــى
كاسفـات ليـــس فيهـن شعـــــاع

xxxxxxxxx

قد بلوت الويـل فيها ، لابلوتـــا
وأنـا أبدا يومـــى بالمســـــاء
وعرفـــت الضيق ، ضيق القلب ، حتـــى
لم أجد فى الكون ثقبا من رجـــــاء
لا وربـــى ، ليس فى الدنيـــا ختـــام
حين يغدو البعث نجوى من حبيـــب
حين يستيقظ قلـــب من منـــــام
والمنادى أنت ، والحـــب مجيـــب

## ٢ - الغـــــد

يا حنانـــا كيد الأســـى الـــرؤوم
وشعاعـــا يشتهـى بعد الغيـــوم
أنا فـى بعدك مفقـود الهـــدى
ضائع أعشو الى نور كريـــم
أشترى الأحلام فى ســوق المنـــى
وأبيـع العمر فى سوق الهمـــوم
لاتقـــل لـى فى غـد موعدنـــا
فالغد الموعود نـاء كالنجـــوم

xxxxx

أغـدا قلت ؟ فعلمنى اصطبـــارا
ليتنى أختصـــر العمر اختصـــارا
عبرت بـــى نشوة مـــن فـــرح
فرقصنـا أنا والقلب سكـــارى
وعرانـا طائـف من خبـــل
فاندفعنا فى الأمانـى نتبـــارى
سئم النـور حتـــى يتلاشـــى
ونذم الليـل حتى يتـــوارى

xxxxx

انفردنا أنا والقلب عشيـــا
ننسـج الآمال والنجـوى سويـــا
فركبنـا الوهم نبغى دارهـــا
وطوينا الدهر والعالم طيـــا
فبلغناها وهللنـــا لهـــا
ونزلنا الخلد فينانـــا نديـــا
ولقينا الحسن ففا والصبـــا
وتملينا الجلال الأبديـــا

xxxxx

قال لى القلب : أحقا ما بلغنـــــا ؟
كيف نام القـــدر الساهـــر عنـــا ؟
أتراهـــا خدعـــة حاقت بنـــــا ؟
أتراهـــا ظنـــة مما ظننـــــا ؟
قلت : لاتجزع فكـــم من منـــــزل
عز حتى صـــار فوق المتمنـــــى
أذن الله بـــه بعد النـــــوى
فثوينا واسترحنا وأمنـــــا !

xxxxx

ياجنان الخلد قدمت أمتـــــذارى
اذ يطوف الخلد سقمى ودمـــــارى
أيها الآمر فى ملـك الهـــــوى
اعف عن لهفة روحـــــى وأوارى
أشتهى ضمـــك حتـــى أشتفـــــى
فكأنـــى ظامىء آخـــذ ثـــــارى
غير أنـــى كلما امتـــدت يـــــدى
لعناق خفت أن توذيك نـــــارى .

xxxxx

أيها النـــور سلاما وخشوعـــــا
أيها المعبد صمتـا وركوعـــــا
ملكـــت قلبى ولبـــى رهبـــــة
عطفـت بالقلب واللـب جميعـــا
رب قول كنت قد أعددتـــــه
لك اذ ألقاك يأبى أن يطيعـــا
وحبيـــس من عتاب فى فمـــــى
قد عصانى فتفجـــرت دموعـــا !

xxxxx

لذعتنى دمعة تلفح خدى
نبهتنى من ضلال ليس يجدى
اختفت تلك الرؤى عن ناظرى
وطواها الغيب فى سحرى برد
وتلفت فلا أنت ولا
جنة الخلد ولا أطياف سعد
واذا بى غارق فى محنتى
وبلائى ، أقطع الأيام وحدى

xxxxxx

هات قيثارى ودعنى للخيال
واسقنى الوهم ... وهلل بالمحال
ودع الصدق لمن ينشده
الحجى خمى فاغمر بالضلال
وخذ الأنوار عنى ، ربما
أجد الرحمة فى جوف الليالى
خلنى بالشوق أستدنى غدا
فغدا عندى كآباد طوال!

## ٤ - الـــــوداع

حـان حرمانى وناداني النذيـــــر
ما الذى أعـــددت لى قبل المسيـــر
زمنى ضـــاع وما أنصفتنـــــــى
زادى الأول كالـــــزاد الأخيـــــر
ري عمـــــرى من أكاذيب المنـــــى
وطعامـى من هتـــاف وضميـــــر
وعلـى كفك قلـــــــــــب ودم
وعلى بابـــك قيـــد وأسيـــــر

xxxxxx

حان حرمانى فدعنـــى ياحبيبـــــى
هذه الجنة ليست من نصيبـــــــى
آه مـــن دار نعيـــم كلمـــــــا
جئتها أجتاز جســـرا من لهيـــــب
وأنـا إلفك فـــى ظـــل الصبـــــا
والشبـــاب الغض والعمـــر القشيـــب
أنـــزل الربوة فيفا هابـــــــــرا
ثم أمضى عنك كالطيـــر الغريـــب !

xxxxxx

لِمَ ياهاجـــر أصبحـــت رحيمـــــا
والحنان الجـــم والرقـــة فيمـــا ؟
لم تسلينـــى من شهـــد الرضـــا
وتلاقينـــى عطوفـــا وكريمـــــا ؟
كل شـــىء صـــار مـــرا فى فمـــى
بعد ما أصبحت بالدنيـــا عليمـــا
آه مـــن ياخـــذ عمـــرى كلـــــه

ويعيد الطفل والجهل القديما ؟

xxxxxx

هل رأى الحب سكارى مثلنا ؟

كم بنينا من خيال حولنا

ومشينا فى طريق مقمر

تشب الفرحة فيه قبلنا

وتطلعنا الى أنجمه

فتهاوين وأصبحن لنا

وضحكنا ضحك طفلين معا

وعدونا فسبقنا ظلنا

xxxxxx

وانتهينا بعد مازال الرحيق

وافقنا .. ليت أنا لانفيق

يقظة طاحت بأحلام الكرى

وتولى الليل ، والليل مديق

واذا النور نذير طالع

واذا الفجر مطل كالحريق

واذا الدنيا كما نعرفها

واذا الأحباب كل فى طريق

xxxxxx

هات أسعدنى ودعنى أعدك

قد دنا بعد التنائى موردك

فأذقنيه فانى ذاهب

لافدى برجى ولايرجى فقدك

وابلائى من ليالى التى

قربت حينى وراحت تبعدك

لاتدعنى لليالى فقداً

تجـرح الفرقـة ماتاسـو يـــدك

xxxxxx

أزف البيـــن وقد حان الذهـــــاب
هذه اللحظـة تدّت من عـــــذاب
أزف البيـن ، وهل كان النـــــوى
ياحبيبـــي غير أن أُغلق بـــــاب؟
مفـت الشمـس فأمسيت وقـــــد
أغلقـت دوني أبواب السحـــــاب
وتلفـت علـى آثارهـــــا
أسأل الليل .. ومَن لي بالجـــواب ؟

## ٥ - الخريـــــف

يا حبيبي غيمة في خاطـــــــري
وجفوني ، وعلى الأفق سحابـــــــة
غفر الله لها ماصنعـــــــــت
كلما شاكيتها تندى كآبـــــــــه
صرخ القفر لها منتحبـــــــــا
وبكى مستعطفا مما أصابـــــــه
فأصم الغيث عنـــه أذنـــــــه
ماعلى الأيام لو كان أجابـــــه ؟

xxxxx

كثر الهجر على القلب فهـــــــل
من سلو أو بعاد يرتضيـــــــــه
أنت فجر من جمـــال وصبـــــــا
كل فجر طالـــع ذكر نيـــــــه
كيف ناجيتك أبغي سلـــــــوة
ثم ناجيتك في كـــل شبيـــــه
أيهـا الساكن عيني ودمـــــــي
أين في الدنيا مكان لست فيـــه ؟

xxxxx

عندما أزمـــع ركـــب العمـــــر
رحلـــة نحو المغانـــي الأخـــر
ظهـرت تجلوك كـــف القـــــدر
صـــورة أروع مافـــي العـــور
تتراءى في الشباب العطـــــر
نفحة تحمل طيب السحـــــــر
وقف العمـــر لها معتـــــذرا

وثنى الركب عنان البقر

xxxxxx

عندما أقفرت الدنيا جميعا
لحت لى تحمل عمرا وربيعا
ان يكن حلما تولى مسرعا
أجمل الأحلام ما ولى سريعا
ان يكن ما كان دينا يقتضى
خلنى أدفعه عنك دموعا
قد شريناه عزيزا غاليا
ان يكن بعت فانى لن أبيعا

xxxxxx

يا ندامى الحب سار الهوى
سكبوا لى السهد فى ذاك الراب
أرقونى أجرع السقم وبى
صفرة الكأس وأوهام الحباب
كلما تقبل أيام المنى
تنجلى النعماء عن ذاك السراب
وترى أيامى الحيرى على
عرسها الضاحك أحزان الغياب

xxxxxx

لم أقيدك بشىء فى الهوى
أنت من حبى ومن وجدى طليق
الهوى الخالص قيد وحده
رب حر وهو فى قيد وثيق
مزقت كفيك أشواك الهوى
وأنا ضقت بأحجار الطريق
كم ظمى بظمى يرتوى

وفريق مستعين بغريـــــــق

xxxxxx

ياليالى العمر ماسر الليالى
البطيئات المملات الطـــوال
مسرعات مبطئات ولهـــــا
خفة الموت وأثقال الجبـــال
كاسفات البال مرجاء المنـــى
عاثرات الحظ شوهاء الظـــلال
عجبا للعمر يمضـــى مسرعـــا
للمنايا بسلحفاة المـــلال

xxxxxx

ياكنار الروض فى أيك الهـــوى
جفت الروضـــة من بعد النديم
حل بالأيك خريـــف منكـــــر
وظـــلال قاتمـــات وغيـــــوم
ماتت الروضـــة الا طائفـــا
من هـوى حى على الذكرى يقـوم
فاذا أنكـــر ماحل بهـــــا
فر يبغى سربـه بين النجـــوم!

xxxxxx

شاهت الدنيا وجوهـــــا ورؤى
وتولاها سهـــوم ووجـــــوم
ياعذارى الحســـن فى ظل الصبا
كل حسن بعد ليلاى دميـــــم
يانعيم العيش فى ظل الرضـــا
آه لو أعرف ماطعم النعيـــم
أنكر الجنـــة قلب فجـــــر
أبدى النار موصول الجحيـــم

xxxxxx

طالما موهت بالضحك فمـــا
غير التمويه رأيا لك فيـــا
كلما تنظر فى عينى تـــرى
سرى الغافى ومعنـاى الخفيـا
وترى فى عمق روحى زهـــرة
قد سقاها الحزن دمعا أبديـا
ويراه الناس طلا وتـــرى
أنت دمعا غائما فى مقلتيـا

xxxxxx

يافؤادى ماترى هذا الغـروب
ماترى فيه انهيار العمـــر؟
ماترى فيه غريقا ذا شجـوب
يتلاشى فى خضم القـــدر؟
ماتراها اتأدت قبل المغيـب
ورمت من عرشها المنحـدر
لفتة الحسرة للشط القريـب
قبل أن تسقط خلف النهـــر

xxxxxx

يافؤادى قاتل الله الفجـر
وعذابى بين حل وسفـــر
ماترى قنطرة من بعدهـــا
راحة ترجى وبال يستقـــر
ذلك الجرح وما أفدحـــه
ماعليه لو الى السلوى عبـر
قد طواه اليوم فى بردتـــه
وأتى الليل عليه فانفجـــر

xxxxx

مر يومى فارقا منك ومـــــــن
أمل اللقيا فما أتعس يومـــى
أنت يومى ، وغدى أنت ، ومـــا
من زمان مر بى لم تك همـــى!
آه كم أفدو صغيرا ، حاجتـــى
لك كالطفل الى رحمـــــة أم
ولكم أكبر بالحب الـــى أن
أغتدى مستشرفـــا آفـاق نجـــم

xxxxxx

أى سر فيك انى لســـــت أدرى
كل مافيك من الأســرار يغـــرى
خطر ينساب من مفتـر ثغـــــر
فتنة تعصف من لفتة نحـــــر
قدر ينسج من خصلـــة شعـــــر
زورق يسبح فى موجـــة عطـــــر
فى غباب فامض التيار يجـــرى
واصلا مابين عينيك وعمـــــرى!

xxxxxx

ذات ليل والدجـى يغمرنـــــا
أترى تذكر اذ جزنـا المدينـــه ؟
كلما روعت من نار شـــــج
حر مايصلى تلمست جبينـــــه
بيد شفافة مثل الندى الرطـــب
تعيد النار بردا وسكينـــــه
أيها الآســى لنـارى هـــــذه
ما الذى تصنع بالنار الدفينـــه ؟

xxxxxx

آخيالا كان هـــذا كلـــــه
ذلك الجسر الذى كنا عليـــــه ؟
والمصابيح التى فى جانبيـــــه
ذلك النيل ومافى شاطئيـــــه ؟
وشعاع طوفت فى مائـــــه
وظلال رسبت فى فلتيـــــه
وحبيب وادع فـــى ساعـــــدى
وورود نلتها من شفتيـــــه !

xxxxxx

رب لحن قص فـــى خاطـــــرى
قصة الحادى الذى فنى سهـــادا
وكأن الصمت منـه واحـــــة
هيأت من عشبها الرطب وســـاده
هأنا عدت الى حيث التقينـــا
فى مكان رفرفت فيه المحـــادة
وبه قد رفرف الصمت علينـــا
ان فى صمت المجين عبـــاده

xxxxxx

رفرف الصمت ولكن أقبلـــت
من أقاصى السهل أصداء بعيـــده
تتهادى فى عبـاب ساحـــر
مرسل للشط أمواجـــا مديـــده
كم نداء خافت مبتعـــد
تشتهى أذن الهوى أن تستعيـــده
عاد منسابا الـى أعماقهـــا
هامسا فيها بأصداء جديـــده

xxxxxx

رفرف الصمت ولكـــــن هاهنـــــا
كل مافيك من الحسن يغنـــــى
آه كم من وتـــر علـــــى
مدر عـود نوم غـاف مطمئـــــن
وبه شتى لحون مـــن أســـــى
وحنيـن وأنيـــن وتمـــــــن
رقد العاصف فيـه وانطـــــوت
مهجة العود على صمت مـــــرن

xxxxxx

هذه الدنيا هجيـــر كلهـــــا
أين فى الرمضاء ظل من ظلالـــــك
ربما تزخر بالحســـن ومـــــا
فى الدمى مهما قلت سر جمالـــك
ربما تزخر بالنـــور وكـــم
من ضياء وهو من غيـرك حالـــك
لو جرت فى خاطـرى أقصى المنـــى
لتمنيت خيـالا مـــن خيالـــك

xxxxxx

أنـا ان فاقت بى الدنيا أفـــىء
لشوان رحبة قد وسعتنـــــا
انما الدنيا عبـــاب ضمنـــا
وشطوط من خطـــوط فرقتنـــا
ولقد أطفو عليه قلقـــــا
فارقا فى لحظة قد جمعتنـــا
كلما تترى المعانـى أجلتـــى
خلف معناها لأســـرارك معنـــى

xxxxxx

ما الذى سبك صبا فى الفـــــؤاد ؟
ما الذى ان أقصه عنـــى عـــــاد ؟
طافيـــا يعصـــف عصفـــا بالرشـــاد
ظامئا سيـــان قـــرب وبعـــــاد
ساهر العينين موصـــول الهـــاد
ما الذى يجرى لهيبا فى الرمـــاد؟
ما الذى يخلقنـــا من عـــــدم
ما الذى يجرى حياة فى الجمـــاد؟

xxxxxx

كم حبيب بعـــدت صهبـــــاؤه
وتبقـــت نفحـــة من حبيبـــــه
فى نسيج خالـــد رغم البلـــى
عبث الدهر ومايعبث بـــــه
ما الذى فى خصلة من شعـــره ؟
ما الذى فى خطه أو كتبـــــه ؟
ما الذى فى أثـــر خلفـــــه
من أفانين الهوى أو عجبـــــه ؟

xxxxxx

ما الذى فى مجلس يألفـــــه
عقد الحب عليـــه موعـــــده ؟
ربما يبكى أســـى كرسيـــــه
ان نأى عنه وتبكـــى المائـــدة
ربما نحسبهـــا هشـــــت اذا
عائد هـــش لهـــا أو عائـــده
ربما نحسبهـــا تسألنـــــا
حين نمضى أفراق لعـــــده ؟

xxxxxx

كم أعدت لك سترا فى الخفـــــاء
وتوارت عن عيـون الرقبـــــاء
كم أعـدت نفسهـا وانتظـــرت
واستوت موحشـة تحت السمـــاء
وهى لو تملـك كفـا صافحـــت
كفـك الحلـــوة فى كـل مســاء
وهى لو تملـك جـودا بذلـــت
كل ما تملك كـف من سخـــاء

xxxxxx

رب كرم مـده الليـل لنـــا
فتواثبنـا له نبغـى اقتطافـــه
وعلـى خيمتـه أســـوده
عربـى الجود شرقـى الضيافـــه
وجـد العـرس على بهجتـــه
وسـناه دون ورد فأضافـــه
ثـم وارت يـده جنيـــه
وطوتـه كأساطيـر الخرافـــه

xxxxxx

أرج يعبـق فـى أنحائـــه
حملتـه نحو عرشينـا الريـــاح
كل عطـر فى ثناياه ســـرى
كـان سـرا مضمـرا فيه فبـــاح
يالهـا من حقبـة كانت علـــى
قصر فيها كأمـاد فســـاح
نتمنـى كلمـا طابـت لنـــا
أن يظـل الليل مجهـول الصبـــاح

xxxxxx

يافؤادى العمر سفـــر وانطـــــوى
وتبقـت صفحـة قبـــل النـــــــوى
ما الذى يغريـــك بالدنيا ســـــوى
ذلك الوجه ، وذياك الهـــــــوى

# صالح جودت

## شاعر العيون الزرق والشعر الذهب

(١٩١٢-١٩٧٦)

أيها الملاح قد أغرقتني
في محيط الحب قذفا واندفاعا
كيف أنقذت الدوري من لجة
ضيعت مني فحى العمر ضياعا

" صالح جودت "

## " بيـــن الأدب والسيـاســـة "

كان ذلك على الشاطـــىء الآخر من البحر المتوســط : فى تركيـــا ....

كان مؤسسى الأسرة وعميدهـا سياسيـــا محنكا وأديبا لامعـــا يجيد الكتابـــة باكثر من لغـــة ...

كان هذا الرجـــل هو جودت باشـــا ...

وكما يقـــول عنه معجم " المنجـــد " : (١)

" جودت باشا ( ١٨١٢ - ١٨٩٤ ) ولد فى لوفجـــة من ولايـة الطونـة وزيـــر عثمانـى ألف بالعربيـة والتركيـــة والفارسيـــة .

" من كتبه " تاريخ جودت " ترجمـــه عن التركيـــة عبد القادر الدنا وفيـــه أحوال الدولة العثمانية ولاسيما أخبار الانكشاريـــة " .

وقد تزوج جودت باشـــا وانجب فيمن أنجب من أولاد اسماعيل جودت وشب اسماعيـــل وروحـــه تشتعل وطنيـــة وغيرة على الوطن والديـــن .

xxxxxxxxxxx

كان اسماعيل جودت أحد أحرار الترك الثوار ... وكان خطيبا مفوها وأديبـــا لامعـــا ووطنيـــا ثائرا وشاعرا رقيقـــا ينظم الشعر بالتركيـــة والفارسية وقـــد لعب دورا بارزا وهامـــا فى مقاومـة السلطات الحاكمـة فى بلاده فاضطهد ولاحقتـــه السلطات بشتى ضروب الاضطهاد والتشريـــد والعنت ، وكانت مصر وستظل ملجأ للأحرار فى كل مكان وزمان ، فشد رحالـــه اليها واستقر بها واتخذها وطنا له وبرغم أرومتـــه التركية الا أنه أحـــب مصر وشارك فى أحداثها وانفعـــل بقضيتهـا وتحمس لهـا ....

وعمـــل بالمحامـــــاة .....

---

(١) المنجـــد / الأعـــلام / بيـــروت / ص : ١٤٤ .

والظاهرة الملفتة للنظر أن جل شعرائنا الذين كانوا من أصل تركى كالهمشرى وشوقى وصالح جودت كانوا من أصدق الشعراء وطنية وتغنيا بحب مصر والمناداة بحريتها واستقلالهـــا ، وفى تلك الحقبة كان متزوجا من سيدة تركيـــة .

وعندما بشبت الثورة العرابية ( ١٨٨٠ - ١٨٨٢ ) انفعل بها وشارك فى أحداثها ولعب دورا بارزا وفعالا فى مقاومة الخديوى والانجليز ، فقد ساءه ماوجده من الأحوال السيئة التى تثير الأسى ، والمظالم التى ترتكب .

ولكن القوى الاستعمارية والرجعية تألبت على تلك الثورة القومية الوطنية فشاء الله أن تخذل وقبض على الثوار الأحرار وسيق اسماعيل جودت الى المحاكمة ثم قضى عليه بالنفى الى " البحر الأبيض " بالسودان لمدة ثلاث سنوات (١).

ولكن السلطات آثرت ابعاده الى تركيا ليكون تحت العيون والأرصاد خشية أن يثير ثائرة الناس فى السودان على الانجليز والخديوى ، فنفى الى اسطنبول .

وفى اسطنبول ولد ابنه كمال الدين جودت عام ١٨٨٢...

وفى حوالى عام ١٨٩٦ عاد اسماعيل جودت الى مصر مرة أخرى بصحبة ابنه كمال الدين الذى لم يكن يتجاوز الرابعة عشرة من عمره ، ورأى أباه وهو يتحمل صابرا التشريد والعذاب فى سبيل الوطن والحرية ، فشب على كره للاستعمار منذ نعومة أظفاره ....

واستأنف اسماعيل جودت اشتغاله بالمحاماه ....

وورث كمال الدين جودت عن أبيه حبه للقراءة والاطلاع ، فقرأ من مكتبة أدبية أمهات كتب الأدب العربى القديم مثل مقامات الحريرى والأغانى والأمالى وغيرها من شوامخ كتب التراث ، كما قرأ دواوين الشعراء الفحول من أمثال المتنبى وأبى تمام والبحترى وعمل كمال الدين مهندسا زراعيا ، فكاد لايكاد يستقر فى بلد واحد بحكم ظروف عمله . وفى عام ١٩٠٨ تزوج كمال الدين من سيدة من أسرة علم

---

(١) عبدالرحمن الرافعى / الثورة العرابية / ص : ٤٩١ .

كان والدها الشيخ عبد الرحمن من أصل تركى ووالدتها من أصل مغربى كانت سيدة مؤمنة تقية صافية القلب هادئة الطبع ....

وكان كمال الدين عذب الروح حلو الفكاهة يعشق الفن والأدب والجمال ويكتب شعرا رقيقا فى الحب والغزل وقد نظم "جغرافية مصر" بالزجل وصدر فى كتاب .

ومن شعره قصيدة يصف فيها رقصة بالليه رائعة أثارت اعجابه ، فرسم هذه اللوحة الشعرية الجميلة المعبرة عن تلك الرقصة عام ١٩١٢م بعنوان " وصف بال " يقول فيها :

| | |
|---|---|
| راقصات عاريات | فى ضياء الكهرباء |
| ناظرات قاتلات | لنفوس الأبرياء |
| مائسات بقدود | كغصون فى هواء |
| قادمات كنسيم | طائرات فى الفضاء |
| راجعات كنجوم | تائهات فى الجواء |
| مائلات دون سكر | لأمام ووراء |
| سالبات لاعبات | بعقول العقلاء |
| ليس هذا الخلق شأن | الخلق من طين ودماء |
| انما هذا مصاغ | من لجين وصفاء |

وكان كمال الدين يملك الكثير من الضياع والثروة ، ولكنه كان شاعرا أراد أن يمتع نفسه ، فبدد أكثرها قبل وفاته .....

## " طفولة شاعر "

كان كمال الدين جودت - كما قلت - كثير التنقل والترحال من محافظة لأخرى بحكم وظيفته كمهندس زراعى .....

وفى مدينة الزقازيق بمحافظة الشرقية كان مولد شاعرنا ....

وكان والده يعانى سكرات الموت بالمستشفى وأرادت والدته أن تسميه " عبد الرحمن " تيمنا باسم أبيها ، فكان لها ما أرادت ..

وفى اليوم السابع من مولد شاعرنا صنع الأطباء معجزة أنقذت الأب من الموت بأعجوبة ، وأراد الله أن يمد فى عمره ....

وخرج الأب من المستشفى ليثير معركة كبيرة حول الطفل الصغير الذى اسمه عبد الرحمن والذى يجب أن يكون اسمه صالح تيمنا باسم شقيق له كان لامعا فى دولة الأدب والقانون يومئذ وهو المرحوم المستشار صالح جودت [1] وكان للأب ما أراد ...

وصدر اعلام شرعى بتغيير الاسم الى صالح جودت ثم مالبثت الأسرة أن انتقلت الى القاهرة بعد سبعة أيام فقط من مولد الطفل الصغير ...

xxxxxxxxxx

كان للأسرة بيت بمصر الجديدة تلفه حديقة خضراء جميلة .....

وفى طفولة شاعرنا المبكرة كان يسمع أباه وهو ساهر فى الحديقة بالليل ، وحوله نفر من أصحابه ويقرأ عليهم من الشوقيات ، اذ كان مفتونا بشوقى ، وكان يعده سيد القدامى والمحدثين .

---

(١) من مؤلفاته : أمة الملايو ( ١٩٠٨ ) ومصر فى القرن التاسع عشر ( ١٩٣١ ) ، وترجم الكثير من القصص منها " كيد الغانيات" و " جهاد القلوب " تأليف لوين أينو ومسرحية " الايمان " تأليف أوجين بريو ( ١٩١٤ ) وترجمات جوستاف لوبون توفى عام ( ١٩٦٨ ) عن الثمانين .

وفى هذه السن المبكرة ، أعجب شاعرنا جرس الشعر الذى يسمعه كل ليلة ، فشرب موسيقا الشعر وأنغامه منذ نعومة أظافره .

وعندما استطاع الطفل أن يقرأ بدأ يقرأ مقامات الحريرى وهو فى العاشرة ، وأعجبته الصنعة فى هذا الكتاب .

ثم بدأ يقرأ الشوقيات حتى حفظها جمعيا وهو فى الثانية عشرة ، وغلبته موسيقاها حتى أصبح وظل طيلة حياته يؤمن بأن الشعر هو أول مايكون موسيقا وأن على من ينظم الشعر اذا لم يحسن الموسيقا أن يهجر الشعر الى النثر .

وكان الابن تختلف مع أبيه فى كثير من أسس الأدب ، كان الأب يعجبه شعر حفنى ناصف وعائشة التيمورية وغيرهما من معاصريه . وكان الابن شغوفا بالأدب الحديث وروادة الجدد والتقى الاثنان عند رأى واحد فى أمير الشعراء ، شوقى ، وبدأ شاعرنا بمحاولات بسيطة لنظم الشعر ولكنه استمر وبدأ يترنم بالشعر منذ طفولته المبكرة وهو دون العاشرة ، وكانت أشعاره وقتئذ تتسم بالموسيقية والرقة وهذا هو السر فى احتواء شعره على قدر كبير من الموسيقية والرقة والعذوبة نتيجة قراءاته لشوقى فى سن مبكرة .

وعندما لقى كمال الدين جودت وجه ربه فى يناير ١٩٥٢م كان قد أضاع كل ثروته ولم يترك شيئا وراءه ولكنه ورث صناعة القلم لابنه ، وهو أطيب ميراث ..

xxxxxxxxxxxx

اختلف صالح جودت الى مدرسة انجليزية فى مصر الجديدة وكان فى تلك الحقبة مرحا كثير الحركة والمداعبات وله ذكريات طريفة من طفولته المبكرة .

من ذكرياته المبكرة أنه كان يكسر عدادات النور والمياة ويشعل مجموعة من الحرائق ، وكانت بالمدرسة مدرسة انجليزية حسناء شقراء من موظفات المدرسة ... كانت وقتئذ فى العشرين من عمرها وكان صالح لم يتجاوز السابعة من عمره ...

ورغم فارق السن الكبير الا أن الشاعر العاشق الصغير الفتون . هام بها حبا ونظم فى حبها عشرات الأبيات من الشعر الغزلى الأفلاطونى يبثها حبه ونجواه وعواطفه الشبوبة .

وعلمت بعواطفه نحوها ، فأولته اهتماما وشجعته وظلت تلك الحسناء المثقفة هى المثال الحى للجمال فى رأى شاعرنا ثم التحق بمدرسة الفرير بعد ذلك ...

ثم التحق بمدرسة مصر الجديدة الابتدائية وقاسى الأمرين من عصا ناظر المدرسة التركى بايزيد أفندى لشقاوته ....

xxxxxxxxxxxxxx

ثم ظفر صالح جودت بالشهادة الابتدائية وعمره عشر سنوات ....

وعندما وقف لأول مرة فى طابور الصباح بالسنة الأولى للمدرسة الثانوية نادى ناظر المدرسة اسمه وقال : ان هذا التلميذ هو أصغر من نال الشهادة الابتدائية فى تاريخ هذه الشهادة ...

وأسكرت هذه الكلمات الشاعر الصغير ، وكانت نتيجة هذا أنه تعثر بالسنة الأولى لمدة ثلاث سنوات متصلة ....

كان شاعرنا الصغير العاشق يقضى جل وقته فى مسارح عماد الدين ومسارح روض الفرج وكانت كثيرة ....

وفى هذا الجو الساحر المفعم بألوان الفن وسحر الأدب والجمال شرب النغم وتعرف على عشرات من النقاد والممثلين والمؤلفين والمطربين والمطربات ...

كان يسهر الليل ولايعود الى البيت الا قبل الثانية صباحا ...

أصبح الشاعر الصغير المفتون بوهيميا ...

واندفع فى هذا التيار الساحر بلا وعى ...

ولكن حدثت معجزة أنقذته من الانسياق فى هذا التيار الساحر الجارف ...

قرر والده وكان يعمل وقتئذ مهندسا زراعيا بالمنصورة أن ينتزعه من جو القاهرة وليالليها ويلحقه بمدرسة المنصورة الثانوية لعله يفلح .

واتجه صالح جودت الى المنصورة عام ١٩٢٧ الى المدرسة الثانوية ليلتحق بها..

ونجحت المحاولة ...

ومرة أخرى أصبح دائما ترتيبه الأول على فرقته كل سنة ....

## " فى المنصـــــورة "

وفى مدرسة المنصورة الثانوية ظهرت موهبته الحقيقية فى نظم الشعر وبالرغم من بساطة ماكان ينظمه الا أنه كان يعد ارهاصات لما سيجىء بعد من مولد شاعر كبير..

وكان ينظم فى المدرسة قصائده ويقرؤها على التلاميذ والأساتـــذة ...

وحدث أن جاءت فرقة يوسف وهبى الى المنصورة ، واستضافته المدرســة هـــو وأعضاء فرقتـــه ، وقال صالح فى تحية الفنان الكبير قصيدة منها هذان البيتان :

هذب نفـــوس شبيبـــــة  لليخلـــق أحـــبوج ماتكـــــون
فالخلق ان بلغ الكمـــال  بأمة ، هـــدم السجـــــون

ويبدو أن القصيـــدة قد أعجبت المحتفى به ، فأخذها منـــه ونشرها فـــــى احـــدى مجـــلات القاهـــرة الكبيـــرة ....

وفى العام نفســه ، قرأ فى مجلة " الصبـــاح " وكانت يومئذ من أشهـــر المجلات الفنيـــة والأدبيـــة مقالا يتهجـــم فيه كاتبه على أم كلثوم ، وكان نشأ على حب فنهـــا ، فامتشـــق قلمـــه ، وكتب مقالا طويـــلا دافـــع فيـــه عـــن أم كلثـــوم وبعث به الى المجلـــة ، التى نشرته تحت عنوان " بقلم الأستـــــاذ الكبيـــر صالح جودت " ...

ومنذ يومئذ ، لم ينقطع عن مراسلة هذه المجلة ، سواء بالشعر أو النثـــر ، ومن هنا بدأ اتصالـــه بالصحافـــة الفنيـــة والأدبية التى برع فيها وأجـــاد ...

xxxxxxxxxxxx

وفى المنصورة فى الفترة ( ١٩٢٧ - ١٩٣١ ) كانت المنصورة خميلة شعرية جميلـــة يغنـــى فيها شاعـــر الأطـــلال ، ناجـى ، وشاعر الجندول على محمود طـــه ، وشاعـــر الأعـــراف الهمشـــرى ....

وكان هؤلاء الشعراء يجلسون على شاطىء النيل بالليل يسمرون فى شتى آلـــوان الأدب والفـــن والجمـــال ....

وكان الأربعة يحلوا لهم الالتقاء عند "صخرة الملتقى" ويستوحون منها أجمل الشعر وأعذبه ...

ومن المنصورة بدأ صالح جودت يتصل بصحف ومجلات القاهرة وتبلورت اتجاهاته الشعرية فى تلك الحقبة ، فقد بدأ يتجه شطر شعر الحب والغزل يبدع فيه أيما ابداع .

وكان الشعراء الأربعة تجمعهم أواصر الشعر ووشائج الشباب وعبادة الجمال وروح الثورة على القديم .

وفى المنصورة بدأ الحب يتسلل الى قلبه ... فأحب ملكة جمال المنصورة حينئذ واستوحى منها عدة قصائد غزلية منها قصيدته " تسورى " التى يقول فيها :

| | |
|---|---|
| قلت لها تسورى | يافتنة المصور |
| تسورى حكايتى | فى حبك المحير |
| حكاية كأنها | خرافة المعمر |

وصالح جودت هو ابن المنصورة ، فقد تفتح شبابه الغض على ضفافها الفيح وعرف بين ربوعها هذا الحب العاصف المزلزل الذى أوحى اليه بأعذب أشعاره ...

وأنجز شاعرنا دراسته الثانوية وانتهت أيام المنصورة الحلوة واتجه الشعراء الأربعة الى القاهرة فى عام واحد ، هو عام ١٩٣١م كل الى وظيفته ودراسته .

ودع صالح جودت المنصورة وفى قلبه حسرات على فراق مهد الصبا ومدينة الحب والجمال والشعر والخيال .

ودعها بقلب مشبوب يتحسر على لياليها الشاعرية الساحرة :

| | |
|---|---|
| آه مما بى ، وهل تدرين مابى | يوم ودعتك ودعت شبابى |
| أين أحلامى على تلك الروابى | ذابت الأحلام فى قلبى المذاب |

ويسترجع ذكريات الجمال فى مدينة الحسن والجمال حينما كان ينتهب بعينيه

شوارد الحسن على ضفافها الخضر :

مادعما لحنى ولاغنى نشيدى
غير فاداتك فى الخطو الوئيد
حين يخطرن على النيل السعيد
بالوجوه السمح كالنور المذاب
يتهادين بمعسول الدعاب
آه مما بى وهل تدرين مابى
يوم ودعتك ودعت شبابى

ثم يودع محبوبته فيها ، فيقول :

لى حبيب فيه أفديه بعمرى
سمرة النيل على خديه تجرى
هو الهامى وأحلامى وشعرى
ونعيمى بين عينيه وسكرى
كان عند الليلة الظلماء بدرى
وله نجواى فى دنيا اغترابى
ياترى يذكرنى بعد الغياب؟

وظل شاعرنا يحمل لمدينة المنصورة أجمل الذكريات وأطيبها طيلة حياته ، المدينة التى زاق فيها رحيق الحب والوصال وتشربت روحه من جمالها عبادة الحسن والجمال .

## " مع جماعة أبوللـــــو "

التحق صالح جودت بكلية التجارة جامعة القاهرة عام ١٩٣١م ، وفى هذه الفتـــرة قامت جمعية " أبوللو " عام ١٩٣٢م برئاسة أمير الشعراء أحمد شوقى والدكتـــــور أحمد زكى أبو شادى.

وينضم الركب القادم من المنصـــورة الى تلك الجمعيـة وهكذا التفوا حـــــول رسالـــة أبوللـــــو .

ووجد صالح جودت نفســه وهو دون العشريـن ، عضوا بمجلس ادارة الجمعيـــــة ، فمثلا للشباب ، يجالس كبار الشعراء والأدبـــاء ...

ثم نشبت المعركـة بين مدرستى شوقى والعقـاد ، فيهب صالح جودت مدافعـــــا عن شوقـى ، مهاجما خصومه بعنف وقـــوة .

وتشهـد صفحات أبوللـــو قصائد الشاعر الشاب العاشق وتدور حول الحـــــب والغزل والحـــيرة والقلـق ...

فى عدد أول ابريل عام ١٩٣٣م يجد له قصيدة غزليـــة رقيقـة لم يتجـــــاوز العشرين بعد بعنوان " الشـــارد " يقول فيهـــا : (١)

أيها الشارد من وكـر الهـــــوى
قد عفا من بعدك القلـــــب وذاب
كنت لا أشهـد الا نغـــــرة
فاذا النغـــرة قد أمست يبـــاب
كنـــت لا أسمـــع الا بلبـــلا
فاذا الشادى علـــى الأيك غـــراب
كنـــت لا أشـــرب الا خمـــــرة

---

(١) أبوللو / ابريـــل ١٩٣٣م / ص : ٨٨٢ .

فى كئوس قد ملئن اليـــوم صـــــاب
كنـــت لـــى ياتاركى فى لوعتـــــى
أنـــت والألحـــان والكأس وطـــــلاب

xxxxxxxxxx

لست أنسـى فى حياتـــى ليلـــــة
أنصفتنـــا بعد ماطال الغيـــــاب
قربـــت منـــا فما نحـــو فـــــم
وتقفـــت بين لـــوم وعتـــــاب
وسكـــون الليـــل أذكـى شجونـــــا
وظـــلام الليـــل مســـدول النقـــاب

xxxxxxxxxx

لـــك شعـــر ذهبـــى ساحـــــر
ضاع فى موجاتـــه قلبـــــى وذاب
لـــك خـــدان تبـــدت فيهمـــــا
حمـــرة تنســـاب من قلبـــى المـــذاب
والعيـــون الـــزرق مـــن فوقهمـــا
رائحـات غاديـــات كالسحـــــاب
حيـــن قالـــوا ان آلام الفتـــــى
ليـــس يفنيهـــا من الدهـــر الذهـــاب
خفـــت هذا العيـش أن يمضـى بنـــا
أو بعيـــد الشيب أهوال الشبـــــاب
مشفقـــا بالصـــب مـــن آلامـــــه
أن يضيـــع العمر فى هذا العـــــذاب

ومن نفس الملهمة صاحبـة " العيون الزرق والشعر الذهـب " وكانت ممثلـــة جهيرة أحبهـــا أكثر من شاعر وأديب منهـم ناجى وأحمـد عبد المجيد وأحمد راسـم

استلهم صالح جودت قصيدة أخرى بعنوان " العيون الزرق " نشرت في أبوللو يقول فيها : (١)

عين من يهواك تشتاق الكرى
قلب من يهواك يشدو بالحنين
هل رأيت الدمع من عيني جرى
هل سمعت القلب موصول الانين

xxxxxxxxxx

يا شقيق الزهر والطير... اما
سألت نفسك عني أخويك
أنا في روضك أرويه بما
فاض من دمعي مدى العمر عليك

xxxxxxxxxx

أزرع الآمال في روض هواك
وأرويها بدمعي ودمي
فاذا ما عدت ألفيت نواك
في ثنايا الروض يبني ماتمي ؟

xxxxxxxxxx

أيها الهاجر من غير سبب
لو نجافي أنا راض بجفاك
العيون الزرق والشعر الذهب
الجاني يا حبيبي لهواك

وفي تلك الحقبة كان يعاني - كشاب في مطالع العمر - من الحيرة ، والقلق والشك في كل شيء وعكس تلك الأحاسيس والانفعالات في عدة قصائد منها

---

(١) أبوللو / سبتمبر ١٩٣٣م / ص : ٦٠ .

قصيدة " على الرمس " التى يقول فى مطلعها :

قمت فى الليل أناجى مضجعك
ليتنى فى الرمس أمسيت معك

وقصيدة " أكذوبة الموت " التى يقول فى مطلعها : (١)

قد حيرت فى الموت وفى أمره
ومازواه الله من سره

وتبلغ ذروة الشك والتمرد فى نفسه فى مطولة بعنوان " الراهب المتمرد "(٢) استخدم فيها الشاعر الأسطورة Math ' والرمز الفنى فى ابراز فكرته وهى عبارة عن حوار فلسفى طويل فى دير بين راهب متمرد شاك فى جوف الغلاة وبين كاهن الدير الذى يناقشه ويرد عليه ويحاول اقناعه .

وكان هذا الشك من الشاعر الشاب وهذا التمرد على كل شئ باعثا على حملة ضارية من الشيوخ ، فهجر شاعرنا الشعر حينا ، ولكنه سرعان ماعاد يغرد مرة أخرى ، عاد اليه هذه المرة بعد أن ازدادت قراءاته ، وتعمق فيما يقرأ ، ولاسيما فى أدب التصوف والمتصوفين ، فعاد الى الله قوى الايمان ، مفرطا فى الحب لذاته ، رغم فلسفته القائلة بعبادة صور الحسن وبداشع الجمال للتقرب من الله ...

وفى عام ١٩٣٤م نشر شاعرنا عدة قصائد عاطفية منها قصيدته " رمس الهوى " فى فبراير ( ص ٤٩٣ ) وفى نفس العدد قصيدة عاصفة ( ص ٥٠٣ ) وفى عدد أول ابريل قصيدة " القصيدة الأخيرة " ( ص ٦٨٥ ).

وكتب الدكتور ابراهيم ناجى يقول عن صالح جودت بعد الحملة العنيفة التى تعرض لها بسبب جرأته (٣) .

---

(١) أبوللو / ص : ١٢٥ / أكتوبر ١٩٣٣م.

(٢) أبوللو /ديسمبر١٩٣٣م / ص : ٢٩٣ - ٣٠٣ .

(٣) أبوللو /ديسمبر١٩٣٣م / ص : ٣٠٣ .

" صالح جودت هو أحد الشعراء المجددين الجزئيين ، الذين لايبالون فى سبيل الحرية الفكرية بأى حقبة ولاحائل ، وهو لذلك ماض الى الأمام دائما ، مضطرد التقدم .

" وعقله الخصب ، ونبوغه الوافر ، كفيلان بأن يقدما له سبقا وتجلية فى الميدان الذى اختاره لمواهبه الكبيرة " .

xxxxxxxxxxx

ديوان صالح جودت :

صدر أول ديوان لشاعرنا فى بداية عام ١٩٣٤م وهو لم يتجاوز الحادية والعشرين من عمره بعنوان " ديوان صالح جودت " .

وكان تجربة أدبية مبدعة استقبلها النقاد بحرارة وحماس ...

وقد تميز شعر هذا الديوان بالموسيقا الهامة وحلاوة الجرس والطلاوة ويحتوى على قصائد مضمونها يغلب عليه روح التمرد والشك والتساؤل والحيرة لشاب فى عنفوان تفتحه ومايدور فى النفس من هواجس وتساؤلات كما يشتمل على قصائد عاطفية ملتهبة يبلغ فيها أقصى غايات الابداع والعذوبة .

وقد كتب الشاعر الدكتور أحمد زكى أبو شادى مقدمة للديوان أشاد فيها بالشاعر الشاب وبين نواحى الابداع والتجديد فى شعره وأصالته المتميزة ، فقال عنه : (١)

" ان صالح جودت بفطرته شاعر غنائى حساس ، حلو العبارة ، فياض العاطفة ، جياش بالمعانى العذبة الرقيقة ولكنه الى جانب ذلك الشاعر الوطنى والشاعر الفلسفى حينما تثيره ظروف خاصة فترى فى ذلك الشعر الحيرة والاضطراب والآمال والآلام المتغلغلة فى مشاعر هذا الجيل " .

---

(١) ديوان صالح جودت / مقدمة أبو شادى .

كان هذا رأى الدكتور أبو شادى فى شاعرية صالح جودت وقد تبين منذ تلك الحقبة اتجاهات صالح جودت الذى جمع فيما بعد بين العاطفية والوطنية فى مزاج جميل خاص .

وقد أهدى شاعرنا الديوان الى ملهمته الأولى صاحبة " العيون الزرق والشعر الذهب " .

وقد كان هذا الديوان بمثابة مولد شاعر جديد له آثره المتميز فى تطور شعرنا العربى المعاصر .

## " ملامـــح شخصيتـــــه "

من أبرز ملامـــح شخصيـــة صالح جودت الصـــدق والصراحـــة والوضوح . هـــذه الصفات كانت هى الســـبب المباشـــر فى كثرة معاركـــه ومساجلاته الأدبيـــة ...

وقد صـــور مشاعره وعواطفـــه وأحاسيســـه فى شعره بصورة نابضة بالصـــــدق والصراحـــة وأبرز هواجـــس نفســـه ومايعتمـــل فيها من صور الهوى والهدى بصـــورة صريحـــــة .

وقد سافـــر صالح جـــودت الى كثير من بلـدان العالـــم ، فقد أحب السياحـــة والرحلـــة وقد كـــان لهذه الرحـــلات والأسفار زاد نفيـــس أمد أدبـــه بفيض جديـــد من المشاعـــر والأحاسيس وكان مـــن نتاج ذلـــك كتابـــه فى أدب الرحـــــــلات " قلـــم طائـــــر " .

وهو عاشـــق مفتون يهيـــم بالحســـن وألـــوان الجمـــال لأنـــه جـــذوة مـــن الوجـــــدان .

ونفسيتـــه مشرقـــة واضحـــة تلمس ملامحهـــا فى أشعاره التى رسـم فيهـــا صـــورة لنفســـه وأفكـــاره ومشاعـــره .

xxxxxxxxxxx

قرأ صالح جـــودت فى صباه وبفاعتـــه الكثير من أمهات كتب الأدب العربـــى القديـــم مثل الأغانـــى ومقامات الحريـــرى ودواوين المتنبى والبحترى والشريـــف الرضـــى وفى الحديـــث والشوقيات التى وحفظهـــا عن ظهـــر قلـــب .

وفى فترة المنصـــورة ( ١٩٢٧ - ١٩٣١ ) استوعـــب مع رفاقـــه شعر شيللـــى وكيتـــس ووردز ورث وبايرون وفتـــن بشعرهـــم وأغرم فى بداية حياته الأدبيـــة بشعر الطبيعـــة فى الأدب الانجليزى والأدب الفرنســـى واستهواه بصفـــة خاصـــة الشعر الرومانســـى واستوعبـــه ثم أصبحت الرومانسية من أظهـــر سمات شعره .

فهو شاعر رومانسى حالم مجنح يتغنى بالحب والجمال ويعبر عما يجيش بنفســـه بصـــدق وحـــرارة .

xxxxxxxxxxx

وقد نال صالح جودت بكالوريوس كلية التجارة عام ١٩٣٧م ثم ظفر بالماجستير عام ١٩٤٩م وكان أول دفعته وكانت رسالته بعنوان " الدولة المثالية فى الاسلام " .

وقد عمل فترة فى الديوان الاقتصادى ببنك مصر ثم مالبث أن تفرغ للأدب والشعر والصحافة الأدبية والفنية والسياسية .

## " شاعر الحب والجمـــال "

لاشك أن شعر صالح جـودت العاطفـى نسيج وحـده فى شعرنا العربى المعاصـر، فهو منفرد بأصالة خاصة وسمات معينة وقد وصل الى ذروة الكمال الفنى فـى السنوات الأخيـرة ...

وقد صور صالح جـودت مشاعره وأحلامه وعواطفه فى شعره أعمق تصوير وأصدقه ورسم خفقات قلبه وأهواءه بأمانة وحرارة وصدق ، فبزغ شعره رقيقا شجيا ...

وقد طرق شاعرنا موضوعات لم يسبقه قبله شاعر فى طرقها وأبدع صورا جديدة وفريدة هى ثروة فى قاموس الوجدان فى شعرنا العربى المعاصر ، فاتسم شعره العاطفى بالبساطة والغنائية والصدق .

لقد أجاد شاعرنا التعبير العاطفى Emotional Expression فى شعره وأضاف لشعرنا العربى الكثير من المعانى والتعبيرات الجديدة المبتكرة ...

من أجمل قصائده العاطفية وأرقها قصيدة " فى جزيرة معك ، التى تبين رومانسية شاعرنا الحالمة وفيها يود لو غاب هو وملهمته بعيدا عن الناس حيث النجوى والوصال بين الطبيعة الساخرة وفى جزيرة نائية ، فيناجيها قائلا[1]:

ان تسلنى ياحبيبى
أى حلم أشتهيه
فهو أن أقضى عمرى
فى فراغ أنت فيه
فمتى تأمرنى أن أتبعك
وأغنى فى جزيرة معك

ثم يصور لنا جوا عاطفيا مشحونا بالظلال والشاعرية ، صور

---

(١) صالح جودت / حكاية قلب / ص : ٨٤ .

لنا فيه صورة شاعرية جميلة للقاء العاشقين وخفقات قلبين وهمسات روحين يتناجيان :

أسأل الليل اذا الليل دنا
بدره المشرق أم بدري أنا
المنى والسحر والعطر هنا
والهوى والكأس والليل لنا
وأنا بين يديك
أجتنى من شفتيك
رشفة منك اليك
وأسوى فوق صدري مضجعك
وأغنى فى جزيرة ... معلك

ثم يواصل رسم اللوحة الشاعرية المبدعة فى صور شعرية متتابعة متناسقة :

العصافير التى توقظنا عند الصباح
والأزاهير التى تسكر أنفاس الرياح
والمزامير التى تهتف بالحب الصباح
والمقادير التى تجهل ألوان الجراح
كل هذا الحسن يدعونى هنا
أى شىء لك فى تلك الدنا ؟
لاتجبها وأجب قلبى أنا
واسأل الأقدار بى أن تجمعك
لأغنى فى جزيرة معك

ومن أجمل قصائده العاطفية قصيدة " الملاك الأبيض " التى يقول فيها :

ياملاكى نشر الليل ظلالات الظلام

فافتحى قلبك للأحلام والنجوى ونامـــــى
واتركينى فى اشتياقى واحترامى ياغرامى
جئت أستشفى من الحب فضاعفت سقامـــى

ثـم يستثيـر قلبهـا لتعفو عنـه وتعـود اليـه :

ياملاكى سامحى طيشى ورقى لجنونـــى
واغفرى الماضى ومايوحيه من سود الظنـون
وارحمى ضعفى اذا ماشئت آلا ترحمينـــى
هل ترين اليوم الاك خيـالا فى عيونـــى

xxxxxxxxxx

وهذه قصيدة من شعره الغزلـى الرقيـق ، وهى تعبير عن وجدان شاعرنـا ، وتصوير لأثـر الحب فى نفسه وفيهـا تجديد فى الروح والمضمون وهى تعبيـر عن تجربة عاطفيـة مع ملهمـة يقول فيهـا : (١)

والضحـى والغدائـر الذهـب
والعيون الشهبـاء كالسحـب
ونجديـك كـأس العنـب
وبنهديـك حلـو اللعـب
قسـم صنتـه عن الكـذب

xxxxxxxxxx

ذكريات اللقـاء لـم تنـم
يقظـات فى مهجتـى ودمـى
غـردات فى نظرتـى وفمـى
فبحقـى وحق ذا القسـم

---

(١) الرسالـة / ميعاد ليلـة الأحـد / ١٩٤٠ .

هل تعيدين ليلة الهرم ؟

ثم يصف ليلة الهرم التى سعد فيها مع محبوبته فى ظلال سيدنا أبو الهول :

ليلة كابتسامة القدر
كنت فيها أحلى من القمر
جمعتنا بجانب حذر
من أبى الهول ساخر النظر
ليت لى مثل قلبه الحجرى

xxxxxxxxxx

قد رآنا بطرف مقلته
تنقش العهد فوق رملته
بالجهل الصبا وضلته
وغرور الهوى وغفلته

ثم يناديها ويناشدها الرحمة به وبقلبه المفتون :

علمى الرفق قلبك القاسى
ذكرى بى فؤادك الناسى
ملأ الحب بالضنى كأسى
فارفقى ساعة باحساسى
أنا ما عدت غير أنفاسى

## " شعر الغـــزل الحســـى "

صاغ صالح جـــودت كثيرا من عواطفـه وأحاسيسه بصدق وصراحـة وبجانب ما أبدعـه من شعر الحب والغزل العفيف نجد فى الجانب الآخر صورا شعريـة جزئية أجاد فيهـــا التعبير وعكس فيها التجربة الحسيـــة Sessuous expreience فجـــاءت أكثر صـــدقا وحـــرارة ٠

ولكنـــه رسم تلك الصور بـــلا ابتذال أو اســـفاف ، فجاءت فى أسلوب جميـــل شفـــاف ٠

ان شاعرنا الرومانســى لجأ الى المرأة واتخذها ملاذا ومهربا من قسوة الواقع وهجير الحياة بجمالها وسحرهـا علـه ينسـى أحزان روحـه مثلما فعل الشاعر المدلل: اللـورد بايرون ٠

فشاعرنا دائما كان يشكو الظمأ الى حنان المرأة وحبها ، ويود لو أصبـــح ملاحا فى بحـــار الحب والجمال ، ليرتوى بعد ظمـــأ ٠٠٠

ان قصيدة " ظمآن " التى كتبهـا وهو لم يتجاوز الحادية والعشرين من عمـــره تفصح عن نفسية محبة عاشقة للحســـن والجمال يقول فيهـــا : (١)

أجل ظمآن ياليلى وماء الحب فى نهـــرك
خذينى فى ذراعيك وضمينى الى صـــدرك
دعينى أشرب النور الذى ينساب من شعرك
وروى لهفة الظمآن بالقبلة من ثغـــرك
هبى لى ليلة أثمل بالياى من خمـــرك
تقولين : جمعت السحر ياظمآن فى شعرك
وأنت قصيدتى الكبرى وهذا الشعر من سحرك
أيا ليلى رأيت القلب لايسأم من ذكـــرك

---

(١) أبوللـــو / ينايـــر ١٩٣٤م / ص : ٣٩٨ ٠

خيال أنت في فكري فهلا جلت في فكـــــرك
كأني راهب الفتنة يستشهـد في ديـــرك
وقد يشرك بالله ، وبالفتنة لايشـــــرك
على أني عرفت الله لكن حرت في أمـــــرك
أجل ظمآن ياليلى وماء الحب في نهـــــرك

xxxxxxxxxxx

ومن قصائد الغزل الحسي قصيدة " ليلة الوداع " وهي تفصح عن مدى ولهـــة لجمال المرأة وفتنتهـــا ، يقول فيهـــــا : (١)

أسرعـــي الآن أسرعـــــــــــــــي
فـــات وقـــت التمنـــــــــــع
لـــم تعـــد غيـــر ليلـــــــة
مـــن غـــرام مـــــــــودع
كنـــت بشـــري وجئتـــــــــي
ومراحـــــي ومرتعـــــــــي
كـــم على صـــدرك الحنـــــــون
توســـــدت مضجعـــــــــي
وعلـــى ثغـــرك الحبيـــــــب
تخـــــيرت موضعـــــــــي
وحوالـــــي فرحتـــــــــي
وحواليـــــك أذرعـــــــي
أن تكونـــــي بعيـــــــدة
عـــن عيونـــي وأدمعـــــي
فالهـــوى ملء غرفتـــــي
والجـــوى ملء أضلعـــــي

---

(١) ليالـــي الهـــرم / ١٩٥٧م .

ويصور فلسفته فى الغزل ، وأبيقوريته المنشية المبتهجة بالحياة ، فيرد على منتقديه بقوله : (١)

ومادروا أن الهوى رحلة
فى رورق الله الى الشاطىء
الى جنان الله فى أرضه
الى جناها العاطر الدافىء
الى صلاة فى محاربيها
وخلوة فى ديرها الهادىء
الى صيام عن جمال الدنيا
الاك فى عش الهوى الهانىء

xxxxxxxxxx

ان شعر الغزل الحسى عند صالح جودت شعر صادق أصيل ، لأنه كان وليد تجربة شعورية صادقة امتزجت فيها الأفكار بالعاطفة ، وخرجت الى العاطفة الانسانية الرحبة وقد صور لنا مشاعره وأحاسيسه وعواطفه بحرارة وصدق مما أضاف ثروة لشعر العاطفة والوجدان فى أدبنا العربى المعاصر.

---

(١) حكاية قلب / ص : ١٢ .

## " شاعر النيل والنخيل "

من أبرز ملامح شخصية شاعرنا وطنيته وحبه لمصر منذ مطالع شبابه المبكر...

وقد جمع فى شعره الحب والوطنية فى مزاج جميل فهو يعد "شاعر الحب والوطنية " .

وقد سار شاعرنا يجمع بين الاتجاه الذاتى العاطفى والاتجاه الوطنى القومى .

وقد أبدع شاعرنا الكثير من القصائد القومية عبر فيها عن الأحداث الوطنية والقومية فى تعبير فنى عميق لايعتمد على ضحب الألفاظ وضجيج الكلمات بل يعبر فى موضوعية وعمق عن تلك الموضوعات فى شعر مهموس رقيق .

ولشاعرنا مواقف مشرفة فى مواجهة الفساد والطغيان والانجليز فى فترة ماقبل ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢م.

نشر قصيدة بعنوان " أخرجوا من بلادنا " قبيل ثورة ١٩٥٢م وهى صرخة قوية فى وجه الاستعمار ليرحل عن مصر والا سقيناه كئوس الصاب والعلقم والهلاك :

| | |
|---|---|
| أخرجوا من قناتنا فهى منا | واليناوبالجلاء تحل |
| ان رفيتم به خرجتم كراما | أو أبيتم فثم روع وويل |
| أخرجوا من بلادنا واتركونا | واحملوا جندكم من النيل واجلوا |

xxxxxxxxxxxxx

وفى شعره القومى حين يتحدث عن مصر يتحدث من خلال مواطن الحسن والجمال فى ربوعها ، فهو حب عاشق مفتون بكل بقعة من بقاعها والاشادة بفتنتها وسحرها الأخاذ ...

وفى قصيدة " ليالى الهرم " تتجلى خصائص " شاعر الحب والوطنية " بأحلى صورها وأدقها ...

فهو هنا يرسم لوحة شعرية جميلة لبقعة من أجمل بقاع مصر تجمع بين حضارة الماضى التليد وعبقها وعطورها ومن بعيد تظهر مصر الحاضر بكل مافيها من حضارة وتقدم انه هنا يرسم صورة حية Living image لنجوى عاشق رومانسى لمحبوبته فى ظلال الهرم ويستعيد معها أمجاد مصر التليدة وعظمتها الغابرة : (١)

ياحبيبى نامت الشمس وراء الهرم
وتهادى القمر النشوان بين الظلم
ملكا يختال تيها فوق عرش الأنجم
وينادى كل لهفان الى الحب ظمى
xxxxx
ها هنا مهد أبى الهول هنا
كاتم الأسرار من عهد منا
هيأ الأحلام والنجوى لنا
xxxxx
عبقرى الصمت منذ القدم
فتمتع بليالى الهرم

ثم يحث محبوبته فى ظلال أبى الهول بأمجاد مصر وحضارتها الغابرة وكيف كانت مصر على مر العصور والأجيال مقبرة للغزاة :

ياحبيبى هذه الربوة لغز العالمين
رقية من سحر فرعون لصيد الفاتحين
أين قمبيز وأنطونيو وركب الواهمين؟
أين نابليون ؟ هل ردته مرفوع الجبين؟
xxxxx
هذه القمة أم القمم
كم طوت ثورتها من أمم
وشدا النيل بحلو النغم

---

(١) صالح جودت / ديوان ليالى الهرم / ١٩٥٧م .

زالـــت الأعـــــلام الا علمـــــــى
فتمتـــع بليالـــى الهـــــــرم

ثم يحدث محبوبتـــه عن سحـــر مصر وجمالهـــا فى صورة شعريـــة جميلة نلمـــس فيهـــا نظـــرة العاشـــق المفتون بمواطـن الفتنة والجمال فى وطنه ومرابع السحـــر والخيال فى ليالـــى القاهـــــرة :

ياحبيبى هذه أمجاد مصر الساحـــــــرة
كل روح خطـــرت فوق رباها شاعـــــرة
قـــف على الربوة فى ضوء النجوم الساهرة
وتأمل فتنة النيل وسحـــر القاهـــــرة
xxxxxx
وسنـــى البـــدر على الوادى يميـــــل
والهـــا يلعـــب فى شعـــر النخيـــــل
راقصـــا فى مسرح المـــوج الجميـــــل
بشعـــاع شاعـــرى ملهـــــــم
فتمتـــع بليالـــى الهـــــــرم

ان قصيدة "ليالـــى الهرم" تعبر عن اتجاهات صالح جودت الفنية والوجدانيـــة والروحية أصدق تمثيل وأعمقه وهى تمثل اتجاهه الفنى فى الجمع بين الحـــب والوطنيـــة والغزل فى عبادة الحسن وعبادة الوطن وهذا مادعانى الى تسميـــة " شاعر ليالـــى الهـــرم " و " شاعر النيل والنخيـــل " .

xxxxxxxxxx

وقد صدرت لشاعرنا ســتة دواوين شعرية تمثل التطور الورحى والوجدانـــى والفنى لشاعرنا أروع تمثيل وأصدقـــه .

فى صدر شبابه كان شاعرا رومانسيا مجنمـــا ، وقد سيطرت عليه فى فورة الشبـــاب روح التساؤل والشك والحيرة والتمرد ثـــم روح الحزن والكآبة والتبرم بالواقـــع والقيود والأغـــلال التى تحد من حركتـــه .

ثم انطلق شاعرنا انطلاقة خلاقـة وحطم قيوده وأغلاله واندفع ينهل من مفاتـــن

الحياة أجمل ما فيها ويغنى لها أجمل أغاريده وأعذبها وفتح قلبه للحياة والنور والحب ...

وشعر صالح جودت منذ محاولاته الأولى كان شعرا غنائيا وجدانيا رقيقا سواء كان الوجدان ذاتيا أم جماعيا أم قوميا وقد عكس فى هذا الشعر أشواق روحه وترانيم وجدانه .

وقد صدر أول ديوان للشاعر عام ١٩٣٤م وهو لم يتجاوز الحادية والعشرين من عمره باسم " ديوان صالح جودت " ثم صدر له ديوان " ليالى الهرم " عام ١٩٥٧م وديوان " أغنيات على النيل " عام ١٩٦٢م وديوان " حكاية قلب " عام ١٩٦٥م ، ثم ديوان " ألحان مصرية " عام ١٩٦٨م الذى يجمع بين الشعر العاطفى والشعر الوطنى . و " الله والنيل والحب " عام ١٩٧٥م .

تلك هى دواوين شاعرنا التى تمثل تطوره الروحى والفنى أصدق تمثيل وأعمقه منذ عهد أبوللو ( ١٩٣٢ - ١٩٣٤ ) .

ان صالح جودت فنان أصيل فى اخلاصه وعذوبة أسلوبه ووحدة بنائه الفنى فى شعره والتجديد فى شعر الحب والغزل وطرافة صوره الشعرية .

لقد جدد فى الشعر شكلا مضمونا فى الألفاظ والمعانى والأخيلة والصور .

لقد أبدع لنا أجمل أغاريده وأعذبها فى الحب والغزل ورسم لنا صورا فنية مبدعة رسمتها ريشة فنان صادق أصيل يغنى للحب والجمال والوطنية .

## " شاعر غنائى حس لعـــوب "

يقول الدكتور محمد مندور عن صالح جـــودت : (١)

" صالح جودت شاعر غنائى حسى لعـــوب .

ولعلنا نستطيع أن نميز هذه الخصائص بسهولة فى الجزء الخاص بالعاطفة فـــى ديوانه " ليالى الهرم " الذى يمثل مرحلة نضجة ، فهو يضم ماقال من شعر منـــذ سنـــة ١٩٣٢م حتى ١٩٥٨م ، بينما ديوانه الأول لايضم الا ماقال من شعر قبل العشرين من عمره ، وان يكن ذلك الديوان الأول قد أثار زوبعة عنيفة من النقد الذى قـــام به المحافظون من رجال الأزهر الشريف بسبب قصيدة الراهب المتمرد والذى صور فيهـــا راهبا يتمرد على الدين جريا وراء لذات الحس ، وهذا التيار أصيل فى طبيعـــة صالح جودت الذى لايحجم فى ديوانه ليالى الهرم عن أن ينظم قصيدة باسم " دين جديـــد " هو دين الحب المعربد وفيها يقص قصة عابثة من نوع قصص عمر بن أبى ربيعة فـــى الحجاز وحول مناسكه .

" وصالح جودت يحدثنا فى استخفاف شعرى كيف طارد فتاة من أرز لبنان ذاهبـــة الى الكنيســة حيث " نحاها ركنا من الدير هادئا " ليقبلهـا فيـــه .

وغانيـة من أرز لبنـان غضـــة
طليبيـــة الأهواء ليس تليـــن

"ولقد يقول البعض ان فى هذا الشعر مجونا وعبثا بالمقدسات ، ولكننا فى الحق لانراه يتجاو المجون الكثير من قصائد الغزل التى يقص بها الشعر العربى القديم منذ امـــرىء القيـــس صاحـــب :

اذا مابكى من خلفها التفت له بشق وتحتى شقها لـم يحـــول

حتى عمر بن أبى ربيعة الذى كان يترصد الحسان فى مناسك الحج ، ولايتورع عـــن أن يشبب تشبيبـــا سافرا بشريفـــات المسلمـــات .

---

(١) الدكتور محمد مندور / الشعر المصرى بعد شوقى / ص : ٥٢ :الحلقـــــة الثالثـــة .

" ونحن لانحس بعد ذلك فى مجون صالح جودت فخـــورا :

" بل نحس خفة ودعابة ينطبق عليهما ماوصف به نفسه عندما اختتم مقدمته لديوان " ليالى الهرم " بقوله : وأحس أن الروح المصرية هى أخص خصائص هذا الشاعر الذى حدثتك عنه " أى صالح جودت نفسه .

" وان تكن الحسية طاغية على مايسميه صالح جودت فى ديوانه شعر العاطفة ، وهذه الحسية قد تصيب شعره بالسطحية أحيانا ولكنها لاتفقده قط تلك الأناقة الأصيلة فى شعر صالح ، وفى شخصه على السواء كما أن روحه الخفيفة المرحة ودعابته المجنحة تخفف من تلك الحسية فلا نرى فيها فجورا ولا تهالكا حتى عندما يوغل فى تلك الحسية مثل قصيدته عن رقصة الساميا :

ودقت نغمة الجازبند ايذانا بما تملى
وهل تملى سوى الرغبة فى ثورتها تغلى
حتى :
كجزءين حبيبين قد ارتدا الى الكل

" ثم يقول مندور عن صالح جودت :

" وأما أنه شاعر عابث لعوب يشف عن روح الصالونات المصرية [1]، وما يجرى فيها من دعابات غزلية عابثة فباستطاعتنا أن نجد لذلك أكثر من شاهد فى " ليالى الهرم " مثل قصيدته " ما اسمك " ( ص ٤٩ ) .

ما اسمك بين الأسامى — يافتنتى ياغراما
ان قلت أم لم تقولى — فاسمك أحلى الأسامى

.....

انى أسميك ليلى — لتبعثى فى خيالى
ذكرى شهيد غرام — كم عذبته الليالى
حتى :
ان قلت أم لم تقولى — فاسمك أحلى الأسامى

---

(١) الشعر المصرى بعد شوقى / ص : ٥٥ .

" حيث يرد على سمعها عدة أسماء مثل : نجوى وسلوى ورضوى وفدوى ونورا ، وفى النهاية يسميها روحى ويبلغ به العبث وشيطنه أهل الحضر من المصريين حده فى القصيدة التى يسميها " تسورى " أى تصورى " بعد ترقيق الصاد كما كانت ترق قبل بين شفتى الفتاة التى كان يغازلها :

وقلت لها تصورى يافتنة العصور
تصورى حكايتى فى حبك المحير

"ومع ذلك فان هذا الشاعر الغنائى الطروب صاحب تسورى لايلبث أن ينقلب الى شاعر انسانى عميق مشج عندما تضيق عليه الخناق تجارب الحياة فيمحو وجدانه الى مافيها من آلام ومافى تلك الآلام من عمق ، وذلك نحو مانحس من قصيدة فريدة له هى " نحو الآخرة " التى نظمها على اثر مرض عضال ألقى به فى مصحة العباسية حيث أحس باليأس والعناء عندما أوشك الداء أن يقهره ، ومن حوله مرضى من أمثاله يزيدون شعوره ببلواه حدة " .

" وكم يكون شيقا أن نقارن هذه القصيدة بقصيدة مماثلة للشاعر الكبير خليل مطران نظمها فى ظروف مماثلة وهى قصيدة " المساء " التى نظمها وهو عليل فى مكس الاسكندرية :

داء ألم فخلت فيه شقائى
من صبوتى فتضاعفت برحائى

xxxxxxxxx

ومنذ عام ١٩٧٤م بدأ المرض يثقل على صالح جودت الشاعر الطروب المحب للحياة ، والحب ، وكان غالبا يضيق بأوامر الأطباء وتعليماتهم ، وسافر الى مستشفيات لندن فى أواخر عام ١٩٧٥م ، وظل يعانى من المرض العضال الذى قواه ، وأرهقه .

ومن أكثر المآسى فى حياته أنه عرف أن نهايته قريبة فى مطالع عام ١٩٧٦ حيث أطلعه الأطباء على حقيقة مرضه وهو فى لندن ، فآثر أن يكون موته على الأرض التى أحبها وعشقها : أرض مصر الخالدة ، ومالبث أن فارق الحياة فى ٢٢ يونية ١٩٧٦م عن عمر يناهز الرابعة والستين وترك زوجته تبكيه أحر البكاء لحلو صفاته وطيب شمائله ....

# مختارات

# من شعر صالح جودت

١ - فى جزيـــرة ... معـــــك .

٢ - أغنيـــــة حـــــــــب .

## فى جزيـــرة ..... معـــك

ان تسلنـــى ياحبيبـــــــى
اى حلـــــم أشتهيـــــــه
فهـــو أن أقضـــى عمـــــرى
فى فـــراغ أنـــت فيـــــه
فمتـــى تأمرنـــى أن أتبعـــك ؟
وأغنـــى فى جزيـــرة معـــك ؟

xxxxxxxxx

أسأل الليـــل اذا الليـــل دنـــا
بـــدره المشـــرق أم بدرى أنـــا ؟
المنـــى والسحـــر والعطـــر هنـــا
والهـــوى والكأس والليل لنـــا
وأنـــا بيـــن يديـــــك
أجتنـــى من شفتيـــــك
رشفـــة منـــك اليـــــك
وأســـرى فوق صـــدرى مضجعـــك
وأغنـــى ... فى جزيـــرة معـــك

xxxxxxxxx

العصافير التى توقظنا عند الصباح
والأزاهير التى تسكر أنفاس الرياح
والمزامير التى تهتف بالحب المباح
والمقادير التى تجهل ألوان الجراح

---

* ديوان حكايـــة قلب / دار المعارف / ١٩٦٥م .

كـــل هـذا الحســـن يدعـــوك هنـــا
أى شـىء لـــك فى تلـــك الدنـــا ؟
لاتحبها وأجب قلبـــى أنـــا
واســـأل الأقـــدار بى أن تجمعـــك
لأغنـــى فى جزيـــرة معـــك

xxxxxxxxxx

ياحبيبى ضمنى يوما اذا كنت بقربـــى
تسمع اللحن الذى تعرفه أوتار قلبـــى
انه باسمك يشدو .. وعلى حبك ينبـــى
وبأحلامك يشجى .. وبالهامك يصبـــى

xxxxxxxxxx

ضمنـــى واسمـــع دعائـــى
فـــى صباحـــى ومسائـــى
لاتعـــذب كبريائـــى
ان أحلـــى أملـــى أن أمتعـــك
وأغنـــى ... فى جزيـــرة معـــك

## أغنيـــــة حـــــب

لن أناديك ياحبيب النـــداء ... لم لاأدعو من لايلبى دعائـــى ؟
كلما هزنى للقياك شـــــوق ... صرخت لهفتى وثار ابائـــــى

xxxxxxxxxxx

ياعذابا هيهات منه هروبـــى ... أفتديه بقلبى المشبـــــوب
كل يوم يمـــر دون لقـــاء ... هو فى غيبتنا نذير الغـــروب
وأنا مهجة تذوب حنانـــــا ... فاتق الله فى حنان القلـــوب

xxxxxxxxxxx

ياحبيبى ، ولاتزال حبيبـــى ... رغم خوفى ، والحب رهن المغيب
آه لما دعا الهوى فالتقينا ... بعيون أشواقهـا من لهيـــب

xxxxxxxxxxx

أسكرتنى عيناك نجوى وهمسا ... أسكرتنى ، وماتذوقت كأســـا
بحديث يحرك القلب شجـــوا ... ولحاظ تحول الليـــل شمســـا
وحنان معطـــر بالأمانـــــى ... كيف أنسى عبيرة ، كيف أنسى ؟

xxxxxxxxxxx

كيف أنسى جماله اذ دعانـــى ... ويداه علـــى حانيتـــــان
وعلى راحتيه باقـــة ورد ... تحمل الشوق والرضا والأمانـــى

xxxxxxxxxxx

اى شىء يصبو اليه خيالـــى ... أنت حققت أجمـل الآمـــال
أنا من فرحتى بقربك أخشـــى ... نظرة الغدر فى عيون الليالـــى
لاتقل لى بعد اللقاء وداعـا ... بل سلامـا الى اللقاء التالـــى

xxxxxxxxxxx

كم رويت الهوى بدمعة فرحـى ... كيف أرويه بعد هذا بجرحـــى ؟

---

* مجلة العربـى / نوفمبـــر / ١٩٦٩م / ص : ١٢٢ .

بعد حلم الهناء فى كل ليل  وجميل الضياء فى كل صباح

xxxxxxxxxxx

الهوى فاتنى على شاطئيه  آه من ظالم أحن اليه

وأدارى عواطفى عنه حتى  لا أذل الدموع بين يديه

رب ليل بكيت منه فلما  فاتنى ظالمى مابكيت عليه

xxxxxxxxxxx

ياحبيبى وأنت فرحة عمرى

ومنى خاطرى ، وليلة قدرى

ان مضى حبنا ، فقد ضاع شىء

منك ، أما أنا ، فقد ضاع عمرى

---

# على محمود طه

## شاعر الجندول

(١٩٠١-١٩٤٩)

أيها الهاجر عن الملتقـــى
وأذبت القلب صدا وامتناعـــا
أدرك التائه فى بحر الهـــوى
قبل أن يقتله الموج صراعـــا
وارع فى الدنيا طريدا شـاردا
عنه ضاقت رقعة الأرض اتساعـــا

( على محمود طـــــه )

## " شاعر من المنصـــــورة "

فى عام ١٨٤٠ تقريبا نزحت أسرة من بطون الجزيرة العربية الى مصر بغايـــــة الاقامة فيها . ونزلت الأسرة ببلدة ديسـط التى تقع على فرع دمياط بين المنصـــورة وشربين وفيها أقامت فترة طويلة ثم انتقلت الأسرة من ديسط الى طلخا حيث ولـــــد محمود طه والد شاعرنا ، ثم انتقلت الأسرة بعد ذلك الى المنصورة فطاب عيشهـــــا فيها وقد كان منزل الأسرة بطلخا منتدى العلماء والأدباء والمفكرين يلتقون فيهـــا وتدور أحلى الأسمار والأحاديث فى مختلف فنون الأدب والثقافة .

وقد كانت هذه الأسرة تشتغل بالتجارة ( تجارة المانيفاتورة ) وكان محمود طـه رجلا عصاميا لماحا طموحا صقل نفســه بالثقافة والدين ، فقرأ عشرات الكتـــــب الدينية والأدبية ، وكان يتردد على الندوة التى كانت تعقد بمنزل الأسرة حيـــث تدور المناقشات والأسمار فى أمور الدين والدنيـــــا .

وعبرت السنوات وهو يزود نفسه بالعلم ، ويصقلها بالدين وتجتمع لـه مـــن قراءاتـــه مكتبـة ضخمـة نفيسـة .

ثم تزوج محمود طه من سيدة فاضلـة هى ابنة " على الهاكـع " أحد كبـــار المانيفاتورة بالمنصورة والذى كان متزوجا من سيدة سورية الأصل تنتمى الى عائلـة " أبى سريـة " وأثمرت هذه الزيجة خمسة أولاد وبنتـــان .

كان محمود طه وسيما هادىء الطبع دسـم الأخـلاق .

هـــذا هو محمود طـــه والد شاعرنـــا .

xxxxxxxxxxx

كان ذلك فى ٣ أغسطس عام ١٩٠١م... حين خـــرج على محمود طه الى النـــور فى بيت الأسرة بحارة الشيخ الظاهر المتفرعة من شارع البزار بمدينة المنصـــورة مهد الحب والجمـــال وكان على محمود طه ثالث اخوته السبعـــة .

وشب على عن الطوق فألحقه والده بالكتاب فحفظ القرآن الكريم وجوده ثـــم

أن الحقه والده بمدرسة الرشاد الابتدائية فأظهر تفوقا ونبوغا على أقرانه .

وتفتح وجدان الطفل الصغير وعقله على مايسمع ويرى فى الحجرة التى كانت تعقد فيها الندوة الأسبوعية العامرة وأنس هذه الندوة فكان يجلس مصغيا بكل وجدانه لما يدور فيها من مناقشات وأسمار ومساجلات .

وكثيرا ماكان يقض جانبنا من الليل وهو يستمع الى شاعر الربابة فى أحد المقاهى بنشد ملحمة أبى زيد الهلالى وسيف بن ذى سزن وعلى صغر سنه حفظ ملحمة أبى زيد وكان كثيرا ماينشدها لأترابه فيفتتون لقدرته على انشادها بيسر وسلاسة .

وقد ورث على عن أبويه كثيرا من خلالهما ....

ورث عن أبيه حب العلم والمعرفة والدأب على القراءة والذاكرة القوية ، وقوة البأس وكان أقرب أشقائه الى والده . وورث عن أمه انسانيتها وعزيمتها القوية ورقة شمائلها ...

وهكذا ولد بين عطور الفن والأدب والعلم والدين ...

xxxxxxxxxx

تفتح خياله على ضفاف المنصورة الفيحاء ، وعلى النيل والموج والشاطىء ، وكانت ملاعبه بين تلك العروج الفيح فالتقطت كل هذه الصور والمشاهد فى وجدانه لتسيل شعرا رقيقا رائعا فيما بعد .

وعبرت الأيام بالأسرة السعيدة فى هناء ويسر .

وفى عام ١٩٠٨ مات والد على محمود طه فى شرخ الشباب وهو لم يتجاوز السابعة والثلاثين من عمره وخلف وراءه أسرة كبيرة ولم يترك لأبنائه من متاع الدنيا شيئا يذكر ...

كان أكبر أبنائه يبلغ من العمر اثنى عشر عاما .

ورأى شاعرنا نفسه وكان قد بلغ من العمر سبعة أعوام فحسب يتيما ويحرم من أبيه وهو مازال طفلا صغيرا ....

وكان ذلك مدعاة لطمع الكثيرين فى الاستيلاء على أموال الأب الراحل فصفيت تجارته وأغلقت بل امتد طمع الطامعين وجشعهم الى حد الاستيلاء على المنزل الذى كانت الأسرة تقيم فيه .

وتحملت الأم هذه المحنة بصبر وشجاعة نادرة المثال وبحسن تدبيرها ورجاحة عقلها وقوة عزيمتها استعانت بايراد عقارين آلا اليها بالميراث لايماثل بأية حال المستوى الرفيع الذى كانوا يعيشونه فى كنف الأب الراحل .

فكانت وفاة الأب صدمة عنيفة للطفل الصغير المرهف ، فقد كان طفلا رقيقا حساسا هادئا ، ولعلها أذاقته ضروبا من الحرمان المبكر .

وأنجز شاعرنا دراسته الابتدائية بتفوق والتحق بمدرسة المنصورة الثانوية عام ١٩١٥م ولكن موت والده حال بينه وبين مواصلة دراسته فضلا عن كرهه للدراسة بها وعدم تقيده بمواردها ، فالتحق بمدرسة الفنون والصنائع ببولاق القاهرة .

وأثناء دراسته الثانوية كثرت قراءاته وكان كثير الخلوة الى نفسه فى ظلال الطبيعة وبجانب أمواج البحر .

وظهر اتجاهه العلمى ... فى تلك الحقبة ، فقد كان محبا للخلق والابتكار فقام بتصميم آلة طباعة بدائية استخدمها فى طبع بعض مؤلفات له من شعر وقصص .

xxxxxxxxxxx

وشبت شاعريته على محود طه على ربى المنصورة ، والمنصورة أرض طيبة ، تلهب الشعر والخيال ، وتنبث الحب والجمال .

وتفتح وجدان شاعرنا على جمالها ولكنه كان يعانى القلق والحيرة والحزن والكآبة لضروب الأحباط التى أصابته خاصة بعد وفاة والده .

وكتب فى تلك الحقبة الكثير من المقطوعات الشعرية الغرامية. كانت تتسم بالسذاجة والسطحية ولكنها كانت تعد ارهاصات لموهبته وعبقريته الشعرية فيما بعد ...

ولم يقتصر فى تلك الحقبة على نظم الشعر بل كان يكتب بعض القصص والمسرحيات يسكب فيها خلاصة مافى نفسه من مشاعر وأحاسيس ولكن سرعان ما أعرض عن القصص واتجه صوب الشعر يبثه ذوب قلبه وأحلام روحه .

وشعره فى ذلك الطور شعر التقليد والمحاكاة لما كان يقرؤه من شعر كبار الشعراء من القدامى والمحدثين .

## " عاشق البحر والطبيعة "

فى تلك الحقبة فى حوالى عام ١٩١٧م كان شاعرنا يقضى جل وقته متنقلا بين الرياض والغناء ، مستظلا بأغصان الشجر الوارفة ، مرتادا البحيرات ، خاصة بحيرة المنزلة والبقعة الممتدة بينها وبين البحر الأبيض المتوسط ، حيث أكواخ أشتوم الجميلة والتى تشرف على آثار قلعة مهدمة كان الشاعر كثيرا مايسبح فى البحيرة ويوغلون فى البحر وقد تعرض عدة مرات للغرق لولا لطف الله .

وهكذا شب شاعرنا على حب للطبيعة وللبحر حيث الخضرة اليانعة على شط البحيرة الزرقاء الهادئة وحيث الحقول الخضراء ...

وهكذا شب بين جمال الطبيعة وسحرها .

وقد استلهم شاعرنا فى تلك السن المبكرة عدة قصائد عن البحر يشبه يصف نفسه فيها بالملاح الذى يجوب البحار كالسندباد ويصطاد اللآلىء من مجاهيل البحار وكانت تلك القصائد مفعمة بالخيالات والرؤى والأحلام .

وكان يحرص على اصطحاب رفاقه وينطلق الى القرى البعيدة بأطراف المنصورة بالقرب من البحيرة ، حيث تمتد الحقول وتنساب الجداول ، ويفوح عبير الأزهار ، فيمرح ويلهو ويجرى وراء أسراب الطيور بمرح وانطلاق .

وتنعكس كل هذه الصور الطليقة الباسمة فى وجدان الصبى المرهف الحس الرقيق الوجدان وشكب فى روحه من موسيقاها مابعث النشوة وأثار الخيال ونمى احساسه بالحرية والجمال .

وكان ينتهب بعينيه شوارد الحسن على ضفاف البحر .

ولقد عكس شاعرنا كل هذه الصور بعد أن كبر وعاد الى مسرح الذكريات فقال :

انى لأذكر حقلنا ، ولياليا ... أزهرن فى ظل لديه وريف

ومراحنا بقرى الشمال وكوخنا تحت العرائش فى ظلال اللـــوف
نلقى الخمائل بالخمائل حولنا متعانقات ، سابغـات الفـــوف
ذكرى الطفولة أنت وحدك للصبا حلم يرفه عنه بالتشويـــف
نقتاف آثار الطيور شـــواردا بين النخيل على رمال السيـــف
شاد هنا وهناك رنة مزهـــر وجه تألق من وراء نصيـــف
والنهر سلسال الخرير كأنـــه قيثارة سحرية التعزيـــف
قومى عذارى الريف والتمسى الربى نضرا وغنى بالغديـر وطوفـــى
وتفيىء الروح الظليل ومربـــأ للفن تحت أزاهر وقطـــوف

xxxxxxxxxxxx

كان على محمود طه فى صباه ويفاعته ذكيا لماحا يتسم بالحيوية الدافقـــة والشاعرية الملهمـــة .

وبدأ يترنم بالشعـــر منذ صباه المبكـــر ...

وقد بدأت اتجاهاته الشعرية تتبلور وتتفتح معالم شخصيته الفنية وعمـــره لم يتجاوز الرابعة عشرة ، وكان يلقى معارضـة شديدة فى هذا الشأن من شقيقيـــه اللذين يكبرانه " عوض وعثمـــان " وذلك لخوفهمـا من أن تصرفه هذه الهوايـــة عن اهتمامه بدراستـــه والتفرغ لهـــا .

## " فى خضم الحيـــاة "

فى عام ١٩١٩م اتجه على محمود طـه الى القاهرة ليلتحق بمدرسة الفنـــون والصناعات ( الفنون التطبيقيـة ) بعد أن ترك دراسته الثانوية وكان يبلـغ من العمـر وقتئذ الثامنة عشـرة .

وصادف نزوحـه الى القاهرة اشتعال ثورة ١٩١٩م فعاشها وشارك فى أحداثهـا ، فقد كان على حداثتـه وطنيـا مخلصـا فكتب عدة قصائـد يثيـر حمية الثوار وحماستهم .

وأثناء دراسـته بمدرسـة الفنون والصناعات لم ينقطع من قول الشعـر .

وفى عام ١٩٢٤م حصل على دبلوم مدرسة الفنون والصناعات وعمره ثلاثة وعشـرون عامـا ، وعمـل أول ماعمل مهندسا لمبانى تفتيش الشرق بالمنصورة ولم تستطـع وظيفتـه الحيلولـة بين قراءاتـه وانتاجـه ، فقد بدأ يراسـل صحف القاهـرة الأدبيـة وتنشـر له انتاجـه الأدبـى فى مكان حفـى .

وبدأت الأسمـاع تعرف اسـم شاعر المنصورة ، على محمود طـه ، وكـان يغلب على شعـره فى تلك الحقبة الكآبة والحزن لما كان يعانيـه على محمود طـه وقتئـذ من اخفـاق فى الحـب لفتاة جميلـة تزوجت من غيره لضيـق ذات يـده ، فعبر عن أحاسيسـه شعـرا حزينـا قاتمـا ...

## " عنـــد صخـــرة الملتقـــى "

وفيما بين سنة ١٩٢٧ و ١٩٣١م التقى جمع أربعة شعراء فى المنصورة كما ذكرنا وهم على محمود طه وابراهيم ناجى وصالح جودت والهمشرى .

ولقد قضوا أجمل الليالى على شاطىء النيل فى حديث الشعر والفن والجمال .

وكانوا يؤثرون قراءة دواوين شعراء الرومانسية الموهوبين مثل شيللى وكيتس وورد ذورث وبايرون .

وكان يحلوا لهم الالتقاء عند " صخرة الملتقى " التى تقع فى مكان ناء بأطراف المنصورة ، واستوحى منها شاعر الحب ، ناجى قصيدة عاطفية واستوحى منها شاعر التأمل والحب على محمود طه ، قصيدة تأملية فلسفية فيها تصوير لأحزان شاعرنا الروحية وهى تفصح عن شاعر يمزقه القلق والحيرة والحزن . يقول فيها :

صحراء الحياة كم همت فيها ... شارد الفكر تائه الخطوات
سرت فيها وحدى ، وقد حطم ... المقدار فى جنح ليلها مشكاتى
ولكم أرمد الهجير جفونى ... ورمتنى الحرور باللفحات
لم أجد لى فى واحة العيش ظلا ... أو غديرا يبل حر لهاتى

ثم يصور نفسه فى صورة قاتمة فيقول :

أنا قيثارة جفتها الليالى ... فى زوايا النسيان والغفلات
وأرثت أوتارها فهى تبكى ... من شجاها حبيسة النغمات
أنا طيف الماضى على صخرة ... الآباد أستشرف الزمان الآتى

ويرسم صديق عمره الأستاذ أحمد حسن الزيات ملامح شخصية شاعرنا فى المنصورة فى تلك الحقبة فى مطالع العشرين ، فيقول :

" كان منضور الخلقة ، مسجور العاطفة ، مسحور المخيلة ، لاينشد غير الحب والاينشد غير الجمال ، ولايطلب غير اللذة ، ولايحسب الوجود الا قصيدة من

الغـــزل السماوى ينشدهـا الدهـــر ويرقص عليهـــا الفلـــك .

كان كالفراشة الجميلة الهائمة فى الحقول تحوم على الزهر ، وترف علـــى الماء ، وتخفق على العشـب ، وتسقط على النـور ، لاتكاد تعرف لها بغية فيـــر السبوح ، ولالـــذة الا التنقـــل ، ثم تتبعتـــه بعد ذلك فى أطواره وآثاره ، فاذا الفراشـــة الهائمـــة على أرباض المنصـــورة تصبح الملاح التائـــه فى خضـــم الحيـــاة ، والأرواح الشـــاردة فى آفـــاق الوجود ، والأرواح والأشباح فى أطبـــاق اللانهايـــة ، واذا الشاعـــر الناشـــىء يغـــدو الشاعـــر المحلـــق تارة بجنـــاح الملـــك ، وتارة بجنـــاح الشيطان ، يشـــق الغيـــب ، ويقتحـــم الأثيـــر ، ويصـــل الســـماء بالأرض ، ويجمـــع الملائكـــة والشياطيـــن بالنـــاس "

## " مع جماعة أبوللـــــو "

انضم شاعرنا الى جمعية أبوللو فور تأسيسها عام ١٩٣٢م وشهدت مجلة أبوللو انتاجه الفنى ....

فنشر فيها قصيدتين هما : " ميلاد شاعر " و فى مخدع مغنية " كما نشر مقالا بعنوان " شوقى الشاعر " .

وقد نشر أولا مطولة شعرية مزج فيها الأسطورة بمظاهر الطبيعة وفيها تركيز على رسالة الشاعر فى الحياة والوجود ، ورسالة الحب والخير والجمال يقول فيها : (١)

هبط الأرض كالشعاع السنى
بعصا ساحر وقلب نبى
لمحة من أشعة الروح حلت
فى تجاليد هيكل بشرى
ألهمت أصغريه من عالم الحكمة
والنور كل معنى سرى
وحبته البيان ريا من السحر
به للعقول أعذب رى

ويصور لنا فى قصيدته " فى مخدع مغنية " جوا من الفتنة والسحر مع امرأة فاتنة فى ساعة وصال معه وكيف دار الحوار بين نداء الحب ونظرته المثالية يقول : (٢)

كشفت من جمالها كل خاف

---

(١) أبوللو / المجلد الأول / ص : ٢٨٩ .

(٢) أبوللو / المجلد الأول / ص : ٧٢٧ .

وأباحت لهن مالايباح
معبد للجمال والسحر والفتنة
يفدى لقدسه ويراح
نام فى بابه العزيز " كيوبيد "
ولكن فى كفه المفتاح
ان ينم فالحياة شدو ولهو
أو ينبه فأدمع وجراح

ثم يقول :

هتفت بى تراك من أنت ياصاح؟
فقلت المعذب الملتاح
شاعر الحب والجمال فقالت
ماعليه اذا أحب جناح
واحتوى رأسى الحزين ذراعاها
ومرت على جبينى راح
وأحست لفح اللظى من شفاه
أحرقتها الأنفاس والأقداح
فمضت فى عتابها كيف لم تدر
بما برحت بك الأتراح
ان أسانا اليك فاليوم نجزيك
بما ذقته رضا وسماح
ولك الليلة التى جمعتنا
فاغتنمها حتى يلوح الصباح

ولكن شاعرنا تغلبه نظرته المثالية الرفيعة فى تلك الحقبة فيكتفى من الربيع بالشذى ومن الزهرة بعبيرها :

قلت حسبى من الربيع شذاه
ولعينى زهره اللماح
نحن طير الخيال والحسن روض
كلنا فيه بلبل صداح

## " الملاح التائه "

فى مايو ١٩٣٤م صدر الديوان الأول لشاعرنا بعنوان " الملاح التائه " ... صدر هذا الديوان وقد جاوز على طه الثانية والثلاثين من عمره وأرى أن هذا الديوان كان انعكاسا للمرحلة الرومانسية الأولى فى حياة شاعر الجندول وهى مرحلة المنصورة بما تحفل به من قلق وحيرة وشك وتمرد وحزن وكآبة وتأمل ...

ان على محمود طه فى هذا الديوان يفكر فى الحياة أكثر مما يشعر بها ويتأملها أكثر مما يحاول الاندماج فيها . وينحدر قصائده من تأملاته الطويلة فتحمل صفوة مافى التأمل من عناصر الجلال والهدوء ...

ولقد أحدث صدور الديوان أصداء واسعة ووجد فيه النقاد لونا جديدا من شعر التأمل الفكرى العميق .

واستقبله الدكتور طه حسين بترحاب وقال عنه : (١)

" ان شخصيته الفنية محببة إلىّ حقا ، فيها عناصر تعجبنى كل الاعجاب وتكاد تفتننى وتستهوينى ، فيها خفة الروح ، وعذوبة النفس ، وفيها هذه الحيرة العميقة ، الطويلة العريضة ، التى لاحد لها ، كأنها محيط لم يوجد على الأرض .

هذه الحيرة التى تصور الشاعر ملاحا تائها حقا ، والتى تقذفه من شك الى شك ومن وهم الى وهم ، ومن خيال الى خيال ، والتى لاتستقر به على حقيقة حتى تزعجه عنها ازعاجا وتدفعه عنها دفعا ، وتقذف به الى حقيقة أخرى لايكاد يدنو منها ويتبينها بعض الشىء حتى يراها أشد هولا وأعظم نكرا ، واذا هرب يهرب منها ويجد فى الهرب " .

كان هذا هو استقبال طه حسين الحار لهذا الديوان الجديد .

xxxxxxxxxxxx

---

(١) السياسة / يونية ١٩٣٤م .

ولكن مادلالة تسمية شاعرنا بالملاح التائه ؟

وماصلة هذه التسمية بشاعريته وحياته ؟

ان نعت على محمود طه لنفسه بالملاح التائه ظاهرة تتصل بالأعماق الروحية والنفسية لحياته وشاعريته .

أرى أن شاعرنا كان يعاني حيرة وقلقا ممزوجا بالرغبة في الهرب من آلامه الروحية - كشأن الرومانسيين - باللجوء لحمى الجمال والانغماس في أبيقورية مرحة منتشية بالحياة لعله ينسى أحزان روحه فسبح شاعرنا في بحار الحب والجمال .

ويعبر عن بعض هذه المعاني في قصيدته " الملاح التائه " فيقول : (١)

أيها الهاجر عز الملتقى
وأذبت القلب صدا وامتناعا
وارع في الأرض طريدا شاردا
منه ضاقت رقعة الأرض اتساعا
ضل في الليل سراه ومضى
لايرى في أفق منه شعاعا

وهو دائما يهوى الغوص في أعماق الحقيقة :

ملاح وادي النيل الا أنه
أغرته بالتيه السحيق بحار
أبدا يطوف حائرا بشراعه
يرمي به أفق ، وتقذف دار

xxxxxxxxxxxx

(١) الملاح التائه / ص : ٣٢ .

فى هذا الديوان استوحى على محمود طه فكره وخياله أكبر ما استوحى الحياة الواقعية وكان ذلك انعكاسا للطور الأول من حياته حتى الثلاثين ، وهى تلك الحقبة التى كانت حافلة بالتأمل والحيرة والرومانسية المحلقة بين روابى المنصورة وطبيعتها الهادئة الجميلة ، التى تبعث على التأمل والفكر .

ومن أكثر قصائده تعبيرا عن أحزان قلبه وشعوره الحاد بالاغتراب الروحى هذه الأبيات التى تصوره يعانى القلق والحيرة والألم فى ظلال الطبيعة المتفتحة المبتهجة :

ياصبح : ماللشمس غير مضيئة ؟
ياليل : ماللنجم غير مبين
يانار : ماللنار بين جوانحى ؟
يانور : أين النور ملء جفونى
ذهب النهار بحيرتى وكآبتى
وأتى المساء بأدمعى وشجونى
حتى الطبيعة أعرضت وتصامت
وتنكرت للهارب المسكين

xxxxxxxx

ولكن هذا العقل الذى برح به التأمل نجده خصبا مزهرا محلقا بأجنحة قوية فى سماء الفكر الشعرى الخالص فى قصيدة مبدعة هى " الله والشاعر " .

فى هذه القصيدة يتكلم الشاعر بلسان العالم ويرفع الى الله شكوى الخلق للخالق ويشكو اليه مايلمسه فى الحياة من بؤس وشقاء وألم ويسأله عن سر الوجود ومن السبب فى كل هذا الشقاء ومن معنى الحياة ومعنى الألم . ثم يرتفع بشكاياته وصيحاته الى ضرب من الايمان الصوفى المنقد الحار .

ان لهذه القصيدة لونا منفردا فى شعرنا المعاصر ، فهى تقوم على فكرة منسجمة متماسكة ، وهى عمل فنى له كيان ومنطق عميق .

يقـــول فيهـــا :

لاتفزعـــى يا أرض لاتفرقـــى
مـــن شبح تت الدجـــى عابـــر
ماهـــو الا آدمـــى شقـــى
سمـــوه بيـــن النـــاس بالشاعـــر

xxxxxxxxx

ما أنـــا بالـــزارى ولا الحاقـــد
لكننـــى الشاكـــى شقـــاء البشـــر
أفنيـــت عمـــرى فى الأسـى الخالـــد
فجئـــت أستوحيـــك لطف القـــدر

ثم يتســـاءل عن عذابـــات البشـــر وبؤسهـــم فيقـــول :

أفـــى سبيـــل العيش هذا الصـــراع ؟
أم فى سبيـــل الخلد والآخـــره
وهـــؤلاء البائســـون الجيـــاع
تطحنهم تلـــك الرحـــى الدائـــره ؟

ثم يقول أن ســـر شقوتـــه هو قلبـــه الساعـى للمثاليـــات :

يـــارب ما أشقيتنـــى فـــى الوجـــود
الا بقلبـــى ليتـــه لـــم يكـــن
فى المثـــل الأعلـــى وحـــب الخلـــود
حملتـــه العـــبء الـــذى لم يهـــن

xxxxxxxxxx

خلقتـــه قلبـــا رقيـــق الشغـــاف
يهيـــم بالنـــور ويهوى الجمـــال
حلـــت له النجـــوى ولذ الطـــواف
بعالـــم الحســـن ودنيـــا الخيـــال

وتمضى هذه المطولة بعودة الشاعر الى الايمان الحار المتقد ، وهى قصيدة من أعمق وأجمل مافى شعرنا العربى المعاصر .

يقول مؤرخ الأدب العربى الحديث المستشرق الألمانى بروكلمان عن ديوان الملاح التائه [١] :

" يدين على محمود طه بالفضل للرومانسية الفرنسية فى القرن التاسع عشر وهو الاتجاه الخيالى والفنى والقومى والعقلى . فقد تأثر بهذا الاتجاه وانتفع فى اطراد بما تأثر به فى خلق فن قومى فى ديوانه " الملاح التائه " .

---

(١) بروكلمان / تاريخ الأدب العربى / ط ليدن / ١٩٣٩م .

## " الشاعر التصويـــــرى "

كان على محمود طه من أصدق الشعراء التصويريين فى شعرنا المعاصر . وقـــد منحت الصور الشعرية شعره الجمال والأصالة .

اننا نراه فى شعره مصورا بارعا تنقل الينا ريشته من تلك الصور الخاطفـــة ، والخطرات اللامعة ، التى ومضت فرآهـــا ، ونظرها فبهرته ، فاختطف منها ماشـــاء ، وقطف من ثمارها مانالـه وقدمـــه لنا ، فكان شاعرا وصافا ، وفنانـا بارعا صـــور لنا أجمل مارآه وانفعـــل به من مشاهد الطبيعـة وصور الجمـــال .

لقد كان بارعا فى تصويره لاحساساتـــه ومشاعره هى براعة المصور الماهـــر القديـــر والمتفنـى المبدع الموهوب .

وهو بارع فى خلق الجو العام للقصيدة وابتكار الصورة الشعرية poltic image الأصيلة بحيث يصبح الجو العام للقصيدة مليئا بالاشعاع والايحاء والفتنة وجمـــال الصور ، وتتســم الصور الشعرية لديه بأنها صور حية يرسم لنا هذه الصـــور الحيـــة Moving picture فى قصيدتـــه الرائعة " الجنـــدول " وفيها تصوير شعرى رائـــع لنزهـــة لشاعرنا مع ملهمتـــه فى جندول يختار بـــه قنوات مدينة البندقيـــة فى فينسيـا ، وكانت أنيسته فى نزهة الغروب حسنـــاء ايطاليـــة ، ذهبية الشعـــر ، شرقية السمات ، مرحـــة الأعطاف ، حلوة اللفتات ومر بهما الجندول تحـــت جســـر التنهدات متجها نحو القنال الكبيـــر :

ذهبـــى الشعـــر ، شرقـى السمـــات
مـــرح الأعطـــاف ، حلـــو اللفتـــات
كلما قلـــت له خذ قـــال هـــات
ياحبيب الـــروح ، يا أنـــس الحيـــاة

ويتحســـر على أحـــلام البحيـــرة الجميلـــة :

أيـــن منـــى الآن أحـــلام البحيـــرة

وسماء كست الشطآن نضره
منزلى منها على قمة صخره
ذات عين من معين الماء ثره
أين من عينى حاتيك المجالى
ياعروس البحر ، ياحلم الخيال

وفى ذروة نشوته مع صاحبته هناك ، يتلفت الى مصر فى لهفة :

قلت والنشوة تسرى فى لسانى
هاجت الذكرى ، فأين الهرمان؟
أين وادى السحر صداح المغانى
أين ماء النيل ؟ أين الفتيان؟

ثم يتلفت الى ملهمته ويتمنى لو كان هذا اللقاء على صفحة النيل :

آه لوكنت معى نختال عبره
بشراع تسبح الأنجم اثره
حيث يروى الموج فى أرخم بنره
حلم ليل من ليالى كيلو باترة

xxxxxxxxxx

والصور الشعرية عند على محمود طه تتصف بالحيوية التى تجعلها تنبض بالحرارة وهى غالبا تتصف بالخيال المجنح المبدع وهو يستخدم فى شعره الضوء واللون وهو يجيد توزيع الظلال والأضواء فى صوره الشعرية Poetic imagery

ولقد أبدع بصفة خاصة فى قصائد الوصف الغنائى التى تمتاز بجانب التصوير الشعرى على قسط كبير من النغم فتلك القصائد تتسم بالموسيقا والتصوير ... انه يستخدم الموسيقا التصويرية التى تصاحب المشهد التعبيرى فى قصيدته " ليالى كيلو باترا " يبلغ ذروة التصوير الشعرى بريشته المبدعة فضلا عن الرقة الموسيقية فخلق لوحة شاعرية تتسم بالأصالة والتلاؤم والجمال .

هذه عدة صور شعريـــة للفتى الأسمـــر الجبهة كالخمرة " فى النور المذاب " يقـــول :

يا ضفاف النيل بالله ويا خضر الروابـــى
هل رأيتن على النهر فتى غض الأهـــاب
أسمر الجبهـة كالخمرة فى النور المذاب
سابحا فى زورق من صنع أحـلام الشباب؟

ويرســم عدة صور مرحـة مبتهجـة تساعد فى خلـق جو الوصال والنجوى علـى صفحـة النيـل فى الزورق الحالم بين شاعرنـا المفتون وملهمته الساحـرة كيلو باترا ، فالطبيعـة كلها تشوى مرحة تشارك المحبين أفراح قلبيهما ونشوتهما :

ليلنـا خمر وأشواق تغنـى حولنـا
وشـراع سابح فى النور يرعى ظلنـا
كان فى الليل سكارى ، وأفاقوا قبلنـا
ليتهم قد عرفوا الحب فباتوا مثلنـا

وينشر شاعرنا الكثير من الأضواء والألوان فى قصيدته عن " القمر العاشـق " وهى تصوير دقيق لمشاعـر الملاح التائـه الظامئة المتعطشـة لسحـر المـرأة وجمالهـا ...

فى هذه القصيدة يبرز عنصـر التشخيـص واضحا ...

اذ يصور " القمـر " بصورة انسان عاشـق مفتون يحاول التسلل لمخـدع الفاتنـة ذات الغلالـة الرقيقـة النائمة تمت نافذتها المفتوحة فى ليالـى الصيـف المقمـرة :

اذا ما طاف بالشرفة ضوء القمر المضنـى
ورف عليك مثل الحلم ، أو اشراقة المعنى
وأنت ٥ على فراش الطهر، كالزنبقة الوسنـى

فضمى جسمك العارى وصونى ذلك الحسنـــــا

ثم يصور كيف تسلل هذا القمـــر العاشق المفتون لكى يقترب منهـــا :

تحدر من وراء الغيم، حين رآك ، واستأنى
ومس الأرض فى رفق يشـــق رياضها الغنـــا
عجبت له وما أعجب كيف أستلم الركنـــا ؟
وكيف تسور الشوك ؟ وكيف تسلق الغصنـــا

ثم يرســـم شاعرنا صورة لغيرتـه وهو يشاهد القمـر مع الفاتنـــة :

أغار ، أغار ان قبل هذا الثغر أو ثنـــى
ولف النهد فى لين وضم الجســـد اللدنـــا
فان لفوتـــه قلبا وان لسحرة جفنـــا
يصيد الموجة العذراء من أغوارها وهنـــا

ثم يقدم لنا هذه الصورة المتحركـــة للقمـــر المفتون أمام سحـــر فاتنتـــه :

وكم من ليلة لما دعاه الشوق واستدنـــى
جثا الجبار بين يديك طفلا يشتكى الغبنـــا
أراد ، فلم ينل ثغرا ورام ،فلم يعب حصنـــا
حوتك ذراعـه ، رسما وأنت هويته فنـــا

وفى صورة أخـــرى نرى لوحة تصور القمـــر العاشق حقودا غاضبا لاخفاقـــه فى مواطلـــة فاتنتـــه الساحـــرة فمضى بنظرتـــه الغاضبـــة يطوى السهـــول علـــى مضـــض :

عصيت هواه فاستضرى كأن بصـــدره حنـــا
مضى بالنظرة الرعناء يطوى السهل والحزنا
يثير الليل أحقادا وصدر سحابه فغنـــا
وعاد الطفل جبارا يهز صراعـــه الكونـــا

وفى صوره الشعرية نرى التجسيم والتشخيص والتلوين فضلا عن النغم والعذوبة مما يجعله فنان الصورة الشعرية فى شعرنا العربى المعاصر وله الكثير من الشعر التصويرى خاصة فى الشعر الوصفى الغنائى .

xxxxxxxxxxx

هذا هو شاعر الجندول ، على محمود طه ....

الملاح التائه فى بحار الحب والفكر والجمال ....

لقد كان شعلة متوقدة من الاحساس بالجمال ، كما وصفه الناقد أنور المعداوى ، الجمال فى شتى صوره وألوانه ومعانيه ، جمال الصداقة ، وجمال الكرامة ، وجمال الحياة ...

أخلص للجمال الأول فاعترف الأحباب من نبع وفائه ، وآمن بالجمال الثانى فقبس الكرام من وهج اباءه ، وهام بالجمال الأخير ، فقصر الشعراء عن بلوغ مداه .

# مختارات

# من شعر على محمود طه

١ - امـــــــرأة .

٢ - رجوع الهـــارب .

٣ - ليالى كيلو باترا .

٤ - الملاح التائـــه .

## ١ - امـــرأة

أقبلـــت أم أمعفت فى الاعـــــراض
انى بحبـــك ياجميلـــة راضـــــى
والله ما أعرضت بـــل جنبتنـــــى
شـــطط الهوى وسمـــوت عن أغراضـــى
ألقاك لســـت أراك الا فتنـــــة
علويـــة الاشـــراق والايمـــــاض
كم رحـــت أغمض ناظـــرى من دونهـــا
فأراه لايقـــوى علـــى الاغمـــــاض
وذهبـــت ألتمـــس السلـــو فأطلقـــت
نفســـى زمام جوادها الركـــــاض
يجتاز نار مفـــازة مشبوبـــــــة
ويخوض بـــرد جداول وريـــــاض
ولقيـــت غيرك غير أن حشاشتـــــى
لم تلق غير الوقـــد والارمـــــاض
واعتضـــت باللذات عنك فلم تجـــد
روحـــى كلذة طعـــك المعتـــــاض
وأطعت ثـــم عصيـــت ، ثم وجدتنـــى
بيديك لاعن ذلـــة وتفاضـــــى
لكن لأنك ان خطـــرت تمثلـــــت
دنياك تسعـــى لى بأروع ماضـــــى

## ٢ - رجوع الهـــارب

قربـــت للنـــور المشـــع عيونـــــى
ورفعـــت للهـــب الأحـــم جبينـــــى
ومشـــيت فى الوادى يمـزق صخـــــرة
قدمى ، وتدمـى الشائكات يمينـــــى
وعدوت نحو الماء وهـــو مقاربـــــى
فنأى ورد الى السراب ظنونـــــــى
وبـــدت لعينـى فى السماء غمامـــة
فوقفت ، فارتدت هنالـك دونـــــى
وأصخـــن للنسمات وهـــى هـــــوازج
فسمعـت قصـف العاصـف المجنـــون
ياصبح : ماللشمـس غير مضيئـــة ؟
ياليل : ماللنجـم غيـــر مبيـــن ؟
يانار : أين النور ملء جفونـــى ؟
ذهـب النهـــار بحيرتى وكآبتـــى
وأتى المســاء بأدمعى وشجونـــى
حتى الطبيعة أمرضـت وتصاممـــت
وتنكـــرت للهـــارب المسكيـــن؟

xxxxxxxxxxx

ان لم يكن لى من حنانـــك موئـــل
فلمن أبـــث فراهتـــى وحنينـــى ؟
آثرت لى عيـــش الأســـير فلم أطـــق
صبـــرا وجن من الأســـار جنونـــى
فأعدتنى طلـق الجنـاح وخلـت بـــى
للنـــور جنة عاشـــق مفتـــون

واشـــرت لى نحو السمـــاء فلم أطـــــ
ورددت عيـــن الطائـــر المسجـــــون
نس السماء وبـــات يجهل عالمـــــا
القى الحجـاب عليه أسر سنيـــــــن
ولقد مضى عهد التنقـــل وانتهـــــى
رمنى اليـــك بصبوتـى وفتونـــــــى
لم ألق بعدك مايشـــوق نواظـــــرى
عند الرياض ، فليس مايصبينـــــــى
فهتفت أستوحـــى قديـــم ملاحنـــــى
فتهدجت وتعثـــــرت بأنينـــــــــى
ونزلـت أستذرى الظـــلال فعفننـــــى
حتى الغصون غدون غيـــر غصـــــون
فرجعـــت الوكـــر القديم وبى أســـــى
يطفـى علـــى وذلـة تعرونـــــــــى
لما رأته اغرورقت عيناى مـــــــن
ألم ، وضـــج القلـــب بعـــد سكـــون
ومضـــت بى الذكرى فرحـــت مكذبـــا
عينـــى ، ومتهما لديـــه يقينـــــى
وصحوت من خبل وبـــى ممـــــــا أرى
أطراق مكتئب وصمـــت حزيـــــــن
فـافتح لى الباب الذى أغلقتـــــــه
دونى ، وهات القيـــد غير ضنيـــــن
دعنى أرو القلـب من خمـــر الرضـــا
وأنـــم علـــى فجـــر الحنان عيونـــى
وأعد الى أسر الصبابـة هاربـــــا
قد آب من سفـــر الليالـى الجـــون
عاف الحياة على نـــواك طلبقـــــة
وأتاك ينشدها بعين سجيـــــــن ؟

## ٣ - ليالى كيلو باترا

كيلو باترا .. أى حلم من ليالليك الحسان
طاف بالموج فغنى وتغنى الشاطئان
وهفا كل فؤاد وشدا كل لسان
هذه فاتنة الدنيا وحسناء الزمان
بعثت فى زورق مستلهم من كل فن
مرح المجداف يختال بحوراء تغنى
ياحبيبى هذه ليلة حبى
آه لو شاركتنى أفراح قلبى؟

xxxxxxxxx

نبأة كالكأس دارت بين مشتاق سكارى
سبقت كل جناح فى سماء النيل طارا
تحمل الفتنة والفرحة والوجد المثارا
حلوة صافية اللحن كأحلام العذارى
حلم عذراء دعاها حبها ذات مساء
فتغنت بشراع من خيال الشعراء
ياحبيبى هذه ليلة حبى
آه لو شاركتنى أفراح قلبى

xxxxxxxxx

وتجلى الزورق الصاعد نشوان يميد
يتهداه على الموج نواشى عبيد
المجاديف بأيديهم هتاف ونشيد
ومغنون لهم فى النهر محراب عتيد
سحرتهم روعة الليل فهم خلق جديد

كلهـــم ربّ يغنى والـــه يستعيـــــد
ياحبيبـــى هذه ليلـة حبـــــــى
آه لو شاركتنـــى أفراح قلبـــــى ؟

xxxxxxxxx

امدحى أيتها الأرواح باللحن البديـــع
امرحى يارقصات الضوء بالموج الخليـــع
قبلى تحت شراعى حلم الفن الرفيـــــع
زورقا بين ضفاف النيل فى ليل الربيـــع
رنحته موجـة تلعب فى ضوء النجـــوم
وتنادى بشعاع راقص فوق الغيـــــوم
ياحبيبى هذه ليلـــة حبـــــــى
آه لو شاركتنـــى أفراح قلبـــــى؟

xxxxxxxxx

ليلنا خمـــر وأشواق تغنى حولنـــــا
وشراع سابـح فى النور يرعى ظلنـــــا
كان فى الليل سكارى وأفاقوا قبلنـــــا
ليتهم قد عرفوا الحب فباتوا مثلنـــــا
كلما فرد كأس شربوا الخمـــرة لحنـــا
ياحبيبـى كل مافى الليل روح يتغنـــى
هات كأسى انها ليلـــة حبـــــــى
آه لو شاركتنـــى أفراح قلبـــــى ؟

xxxxxxxxx

ياضفاف النيل بالله وياخضر الروابـــى
هل رأيتـن على النهر فتى غض الاهـــاب
أسمر الجبهة كالخمرة فى النور المذاب
سابحا فى زورق من صنع أحلام الشبـــاب ؟
ان يكن مر وحيـــا من بعيد أو قريـــب

فصفيـــه ، وأعيدى وصفه فهو حبيبـــــى؟
ياحبيبـــى هذه ليلـــة حبـــــــى
آه لو شاركتنـــى أفراح قلبـــــــى ؟

xxxxxxxxxx

أنت يامن عدت بالذكرى وأحلام الليالـــى
يا ابنة النهر الذى غناه أرباب الخيـــال
وتمنت فيه لو تسبح ربـــات الجمـــــال
موجـــه الشادى عشيق النور ،معبود الظلال
لم يزل يروى ، وتعفى للروايات الدهـور
والضفاف الخضر سكرى ،والسنى كأس يـــدور
حلم لم تروه ليلـــة حـــــــب
فاذكريه واسمعى أفراح قلبـــــــى!

## الملاح التائـــه

أيهـــا الملاح ، قم واطو الشراعـــا
لم نطـوى لجة الليل سراعـــــا
جـــدف الآن بنـــا فى هينـــــة
وجهـــة الشاطىء ســيرا واتباعـــا
فغـدا ياصاحبـــى تأخذنـــــا
موجـــة الأيام قذفـا واندفاعـــا
عبثـا تقفو خطـــى الماضى الـــذى
خلـــت أن البحر واراه اتباعـــا
لـم يكـــن غير أويقات هـــــوى
وقفـت عن دورة الدهـــر انقطاعـــا
فتمهـــل تسعـــد الروح بمـــا
وهمـــت أو تطـــرب النفس سماعـــا
ودع الليلـــة تمضى انهـــــا
ســوف يبدو الفجر فى آثارهـــا
ثم يمضى ... دواويل تباعـــــا !

# أحمد فتحى

## شاعر الكرنك

(١٩١٣-١٩٦٠)

ظمئت ، على قربى ، من النهل والعل
فهل عاف عذب الورد ظمآن من قبلى
وفقت بليلى ، ساهدا ولو اننى
تعزيت لم أشك التسهيد فى ليلى
وعشت حياتى وحشة ليس ينتهى
مداها ، ودونى سائر الصحب والأهل

( أحمد فتحى )

## " ميلاد شاعـــر "

كان ذلك فى حوالى عام ١٧٩٠م تقريبا حين هاجرت أسرة " فايد " من " نجـــد " بالحجاز وحطت رحالها أولا فى قرية " تل مشتول " بمديرية الشرقية ولكن اختلفـــت أسرة فايد مع سكان " تل مشتول " الأصليين فقامت بينهما معارك طاحنة انتهـــت بانتقال أسرة فايد الى موضع يقال له " كفر الحمام " ونصبوا خيامهم هناك ثـــم عمروها وبنوا البيوت والدور .

واتجهت الأسرة الى تعليم أبنائها فى الأزهر الشريف ....

وكانوا يملكون موهبة قول الشعـــر على السجيـــة ....

وفى هذه القرية نشأ الشيخ ابراهيم سليمان وقد أتم تعليمه بالأزهر وأصبـــح من علماء الأزهر يدرس فى المعاهد الدينية .. وكان شيخا مثقفا ورعـــا ينظـــم الشعر ويلقيـــه ...

وعندما استعلت ثورة ١٩١٩ شارك بمنظوماته وخطبه فى اشعال نيران الثـــورة وطفق يعقـــد الاجتماعات الوطنية الملتهبة وقد زج به فى السجن وتعرض بيتـــه لغارات الشرطة عدة مـــرات ...

وكان الشيخ ابراهيم قد تزوج وهو طالب وأنجب ولدا واحدا هو الشيخ محمـــد وبعد أن توفت زوجته تعددت زوجاته حتى تزوج السيدة " فاطمة حسن العويضـــى " وهى بنت عمدة بلدة " فراشـــة " ناحية أبو كبير بالشرقية فأنجب منهـــا أول ما أنجب شاعرنا أحمد فتحـــى ثم ثلاث هن : عفاف ، وعواطف ، وعنايـــات (١)

xxxxxxxxxxx

---

(١) أخبرنى بهذه المعلومات فضيلة الشيخ محمد ابراهيم سليمان وهو أخ غير شقيـــق لشاعرنا أحمد فتحى فى لقاء يوم ١١ يونية عام ١٩٧١م بمنزله فـــى ضاحيـــة " دير الملاك " بالقاهـــرة .

ولد فتحى ابراهيم سليمان سليمان بقرية كفر الحمام بمحافظة الشرقية فى الثانى من أغسطس عام ١٩١٣م .

وكان طفلا وسيما أزرق العينين متوسط القامة يشبه والده، وقد ورث زرقة عينية عن والده ....

وبعد مولد أحمد فتحى انتقلت الأسرة الى الاسكندرية بحى " الجمرك " حيث كان أبوه يعمل مدرسا بالمعهد الدينى بالاسكندرية ...

والحق أحمد فتحى بالكتاب حيث حفظ القرآن الكريم وجوده ...

ثم مالبثت الأسرة أن انتقلت للقاهرة حيث عمل الأب مدرسا بجامعة الأزهر ، والحق أحمد فتحى بمدرسة العقادين الابتدائية وأقامت الأسرة بشارع حيدان الموصلى قسم الدرب الأحمر بحى الأزهر ....

وأظهر أحمد فتحى تفوقا ملحوظا على أقرانه خاصة فى اللغة العربية واللغة الانجليزية وظهر ميله الشديد الى القراءة ...

وكان يحلو له أن يسهر بجوار أبيه وهو يقرأ حتى منتصف الليل ، يتطلع اليه فى صمت ثم يحاول قراءة الكتب التى تحويها مكتبة الأب ، وكانت المكتبة تضم أمهات الكتب من الأدب العربى والتراث العربى مثل دواوين المتنبى وأبى العلاء والشريف الرضى وشوقى فضلا عن الكتب الدينية والأدبية الأخرى مثل كتاب الأغانى ومقامات الحريرى .

وذات ليلة قرأ أحمد فتحى أبياتا من الشعر فى أحد الدواوين فنقلها وذهب لأبيه يقرؤها عليه ، وكانت تقول :

| | |
|---|---|
| مامقامى بأرض نخلة الا | كمقام المسيح بين اليهود |
| أنا فى أمة تداركها الله | غريب كصالح فى ثمود |

وحين سمعها الأب راح يشرح لابنه معانيها وعرف أحمد فتحى أن صاحبها شاعر كبير اسمه "المتنبى " وأعجب أحمد فتحى بهذا الشاعر ، فعاد الى مكتبة أبيه من جديد وراح يقرأ كل ماكتب عن المتنبى وما نظمه هذا الشاعر ملأ الدنيا وشغل الناس

ثم اتسعت قراءاته لتشمل دواوين البحترى والشريف الرضى وشوقى وحفظ الكثير

من القصائد المطولة واستوقفه بعفة خاصة شعر شوقى ، لما فيها من قوة المعنى وحلاوة الجرس ، وجمال الموسيقا .

ثم أنجز شاعرنا دراسته الابتدائية والتحق بالمدرسة الثانوية ولكنه تعثر فيها لأنه نغمس فى تلك السن المبكرة فى مغامرات عاطفية جامحة وتأرجحت حياته بين شيطان الحياة وشيطان الشعر ا

فالتحق شاعرنا بمدرسة الفنون التطبيقية ( الفنون والصنائع ) التابعة لجمعية العروة الوثقى بالاسكندرية .

ويتحدث عن تأثير الاسكندرية فى حياته وفى شعره فيقول : (١)

" وفى الاسكندرية كان ميلادى وعلى صدر شاطئها الجميل ترعرعت ، وعن صفاء بحرها الصداح أخذت ماكان فى بواكير أفكارى وأشعارى من صفاء وانغام .

وماتت أم شاعرنا عام ١٩٢٣ وعمره يومئذ عشرة أعوام فقد أثناء دراسته الابتدائية ماتت وبعد أن وضعت مولودا سموه " محمود " وأصابتها " حمى النفاس " وكانت فى ذلك الحين داء عضالا وأخطأ الأطباء ، وأصابت الأقدار ، ولم يكن عمرها يوم اختارها الله لجواره قد تجاوز ثلاثين ربيعا ، وقد خلفت وراءها أربعة أطفال كان شاعرنا أكبرهم ، وكان فى العاشرة من عمره وكانت الفجيعة كبيرة فيها ...

شبابها الذى اختضر وأطفالها الأربعة الذين حرموا حنان الأمومة ورعايتها قبل أن يشبوا من الطوى ، فشعر بحزن عميق فتزوج والده بسيدة من أقاربه كانت غاية فى الرفق ، وحسن المعاملة لأحمد فتحى وشقيقاته الثلاث ولكن الفراغ الذى تركته أمه فى صدره راح يبحث عن عواطف جديدة .

وفى تلك الحقبة بدأ شاعرنا ينظم قصائد وجدانية يبث فيها بوح قلبه وأشواق روحه ويعبر فيها عن عواطفه الجياشة لمن يحب ...

واتسمت تلك القصائد بالرقة والعذوبة والطلاوة ...

---

(١) صحيفة الشعب / ١٧ أغسطس ١٩٥٧م .

واشتد المرض بالشيخ ابراهيم سليمان فانتقل الى كفر الحمام حيث مات هناك عام ١٩٢٩م ، تاركا ابنه أحمد فتحى وهو فى السادسة عشر من عمره فازداد حول شاعرنا وشعر بالوحدة والاغتراب الروحى بعد أن أصبح وحيدا فمضى ينظم قصائد حزينة باكية يبثها أحزان روحه وآلام نفسه واحساسه الحاد بالاغتراب الروحى .

وتخرج أحمد فتحى فى مدرسة الفنون التطبيقية عام ١٩٣٠م وعينه خاله المهندس أحمد حسن " مدير جمرك الاسكندرية " موظفا بالجمرك وشهدت له مغانى الاسكندرية صولات وجولات سجلها فى قصائد عاطفية رقيقة ، ولم يستمر طويلا فى هذا العمل فعمل مدرسا بمدرسة الصناعات ببولاق بالقاهرة ثم مدرسا بمدرسة الصناعات بالسويس حوالى عام ١٩٣٢م .

وفى السويس كانت له أيضا تجارب ومغامرات عاطفية فقد كان دوما يعشق الحسن ويهفو للجمال .

## " مع جماعة أبوللو "

ومن السويس بدأ يراسل مجلة " أبوللو " ....

ونشرت له عدة قصائد رقيقة غلب عليها الطابع الرومانسى الحالم الذى يغلف أحلامه بأحزان روحية حادة ، وغلبت على تلك القصائد فى تلك الحقبة الروح الشاكى الحزين وأفصحت عن نفسية قلقة حزينة لشاب لم يتعدى العشرين من عمره بعد ... فقد كان احساسه بالاغتراب الروحى يلازمه منذ مطالع شبابه ، لقد كان طموحه أكبر من امكاناته وآماله أكبر من واقعه .

ولعل مفتاح شخصيته فى تلك الحقبة والذى ظل ملازما له طيلة حياته يتلخص فى احساسه " بالاغتراب الروحى " الذى كان يضنيه ويعذبه ...

وكانت أول قصيدة نشرها بمجلة " أبوللو " وكان يبغ العشرين يومها قصيدة يبث فيها أحزان روحه وآلام نفسه لأبيه الراحل بعنوان " نجوى وشكاة " وهى قصيدة تتسم بالروح الشاكى الحزين والنغمة الباكية الهامسة رغم شبابه الغض يقول فيها : (١)

أبى قم ونح الرجم عنك وناجنى
أتسلمنى للدهر وهو جؤون ؟
مضى بالذى خلفت لى ثم فاتنى
وقلبى تخين بالجراح طعين
به من لظى وجدى عليك لواعج
تضرم نيرانا به وشجون
ولولا جلال الموت قلت نسيتنى
وألهتك عنى فى الحياة شئون

xxxxxxxxxx

(١) أبوللو / أكتوبر ١٩٣٣م / ص : ١٠١ .

تمثلت فى ذهنى فأجفل خاطـــــرى
ومهـــدى به فى النـازلات رصيـــــن
وماذاك من خوفـــى لقاك وانمـــا
عرانى من هـــول المقام جنـــــون
حنانيك ، هل تبكى لحالـــى رحمـــة
أعندك ماذا فى غـــد سيكـــــون ؟
لعل زمانا أوثـــق العهـــد أنـــه
سيقلـب لى ظهـــر المجـــن يميـــن
فنـم واســترح واهدأ بقبرك انمـــا
خطـــوط البرايا شمال ويميـــــن
ولو أنـــه يبقـى علـــى امـــرئ
فمثلـى بابقـــاء الزمـان قمين

xxxxxxxxx

ألا أيها المـــوت الزؤام معجـــل
يناديك ، فيعادى متى سيحيـــــن
صريع همـــوم طال بالوحدة عهـــده
تمر به الساعـات وهى سنيـــــن
فتخشـــى ويستجديـــك من فرط مابـــه
وأنت عليـه ياحمام ضنيـــــن

ثم ينشر قصيدة فى عدد أكتوبر عام ١٩٣٤م بعنوان " الوهم " بتوقيع أحمد فتحى المهندس يغلب عليها الطابع الشاكى الحزين الباكى رغم شبابه الغض نلمس فيهـــا سوداوية قاتمة وأحزان قلب كبير لاتناسب سنه الصغيرة التى لم تتجاوز العشرين بعد يقول فى تلك القصيـــدة : (١)

أمن الأشجـــان آل وصحـــــاب

(١) أبوللو / أكتوبـــر ١٩٣٤م / ص : ٢٣٨ - ٢٣٩ .

ومن المدمع ندامى وشـــــراب ؟
وكذا الدنيا شجـون لاتنـــــى
ودموع لاينـى عنهـا انسكـــاب
لاأرى فى الـــروض الا صادحـــا
مرسل الألحـان يحـــدوه انتحـاب
أى وهـــم لـم يـــزل يحفزنـــا
فعلـى الوهـم صـــراع وغـــلاب ؟
كـــم سحـــاب لم يجدنا غيثـــه
خطـف الأبصـار بالبـرق وغـــاب
وكـــلام تحتـه ريشـت فتـــى
هـــو فى ظاهـــرة شهـد مـــذاب
والذى يحسبـــه رى الصـــدى
هو مهمـــا قذ روى الصادى شـــراب
كم شكـــا الغلـة منا ظامـــىء
فشفـت غلتـه جرعـة صـــاب
وسعـى للصيـــد مشغـوف بـــه
وهو شـــاة ، لو درى بين ذئـــاب
فيـم نحيا بالأمانـى خدعـــا
والمنايا آخذات بالرقـــاب

xxxxxxxxxxxx

أيهذا المدلـج السارى الـــى
أمـل يحـدوه أقصـر فى الطـــلاب
ألى الآمـــال كـــدح فاتـــل
والى الآمـال ظعـن واغتـــراب ؟

ما أراها باعثـــات مـــن بلـــــى
أو معيدات الى الشيب الشبـــــاب
صاحـــب الحاجة ذوهـم بهـــــا
فاذا أدركها هـــان المصـــــاب
فيعـــة للـــرأى تذكى نارهـــــا
أفنة فى المرء منذ شب وشـــــاب
شامـــخ بالأنـــف من آوهامـــــه
لـــم يـــزل ينشد أطباق السحـــاب
حسب الكـون رهينـــا بالـــــذى
يشتهـى وهـــو رهيـــن بكتـــــاب

xxxxxxxxxxx

ثم نجد له فى عدد ديسمبر ١٩٣٤م مقالا ممتعا بعنـــوان " فى معنى الانتحـــال " يدل على عمق ثقافتـه وتنوع قراءاته الأدبيـــة وقد تناول فيه موضوع السرقـــات الشعرية والانتحال وتوارد الخواطـر واشتراك المعانى بين الشعراء ... كمـــا شاهدت صفحات أبوللو بعض قصائده الرقيقـــة التى تسبق عمره والتـــى كانـــت تعد ارهاصات لمولد شاعر وجدانـــى كبيـــر .....

## " ليالى الكرنك "

وبعد عمله بمدينة السويس انتقل الى الأقصر مدينة التاريخ العريق والآثار الخالدة ، ليعمل مدرسا بمدرستها الصناعية الثانوية .

وفى هذه المدينة الصامتة الهادئة التى يخيم عليها جلال التاريخ التليد وصمته وهيبته ، أحس بفراغ موحش وملل قاتل وهو الشاعر الطروب المرح الذى تعود أن يقضى أيامه بين مجالى الأنس والطرب وأطايب الجمال هربا من عذابه الروحى الممض وشعوره الحاد بالاغتراب الروحى .

ويشعر بالحنين الى أضواء القاهرة وليالى القاهرة ، فيكتب الى صديقه أنور أحمد بعد ثمانية أيام فقط من وصوله للأقصر يبثه ضيقه وحزنه لبعده عن أجواء القاهرة وليالياها الساحرة ، فيقول : (١)

" تصور أننى أنفقت هنا أياما ثمانية ، كانت فى حساب قلبى أعواما ثمانية .

" لو أنك رأيتنى الآن لأنكرتنى : شحوب وذهول ، وعبرات لاترقأ وكفاتها أبدا ، وظلال من الذكريات الغاشمة لاتميل عن المخيلة المكدودة .

" لقد أقفرت كل دنياى من مباهجها ، وهل شىء أبعد أثرا فى نفس الشاعر من أن يصبح وحيه أحجارا جاثمة وأطلالا قائمة ، وهذه الأناشيد الحزينة التى تفلسف الأحزان وتجعل من الوحدة المكتئبة فجيج مهرجان وصخب أعياد وقدس مشغول فى حضرة آلهة السماء ....

" لو كنت فى القاهرة ....

" يارحم الله أيامى بالقاهرة ، آو رحمنى بعدها " .

كانت هذه أحاسيس شاعرنا فى الأيام الأولى لوصوله الى الأقصر ....

---

(١) الهلال / صالح جودت / مأساة شاعر الكرنك / ديسمبر ١٩٦٦م ، من رسالة خاصة ضمن عدة رسائل اطلعت عليها عند صديقه الأستاذ أنور أحمد .

ولكن سرعان ماتبدل الوضع بصورة مختلفة ....

كان شاعرنا يقضى جل وقته - فى الليل - بين معابد الأقصر الخالدة ، وكان يحلو له ذلك أثناء الليالى المقمرة ، يتأمل جلال التاريخ وجمال الطبيعة ويسرح بعيدا فى سماوات الخيال ...

وسرعان ما أصبح يهفو الى ليالى الكرنك يتأمل ويستوحى ويستلهم أجمل الخواطر وأعذب الصور ...

وفى ذات ليلة من تلك الليالى الشاعرية الحالمة كان القمر مضيئا ينثر أشعته الفضية على المعابد الفخمة فيضفى عليها سحرا وبريقا ، استوحى شاعرنا أروع قصائده الوصفية التصويرية " أنشودة الكرنك " .

التى يقول مطلعها : (١)

حلم لاح لعين الساهر
وتهادى فى خيال عابر
وهفا بين سكون الخاطر
يصل الماضى بيمن الحاضر

ثم يسرح بعيدا مع جلال التاريخ وأمجاده حيث ملوك الفراعنة وأمجادهم الغابرة التليدة وتوحى كل هذه الأحاسيس والخواطر بصور شعرية رائعة :

ها هنا الوادى ، وكم من ملك
صارع الدهر بظل الكرنك
وادعا يرقب مسرى الفلك
وهو يستحيى جلال الغابر

ثم يمضى يساءل الأطلال بحيرة ونشوة فى آن واحد :

أين يا أطلال جند الغالب ؟

---

(١) ديوان قال الشاعر / ص ١٢٣ - ١٢٥ /أحمد فتحى ١٩٤٩م - القاهرة - دار النيل للطباعة .

أيـــن آمون وصـــوت الراهـــــب ؟
وصـــلاة الشمـــس ؟ وهمى طاربـــــى
نشـــوة ترزى بكـــرم العامـــــر

وتستغرقـــه النشوة بعد أن روض روحـــه علـــى التصـــوف بين معابـــد الكرنـــك الخالـــدة تحت ضوء القمـــر وبيـــن جلال المعابـــد وصـــور التاريـــخ الفرعونـــى التليد تحيط به من كـــل جانـــب :

أنـا هيمـــان وياطـــول هيامـــــى
صـــور الماضـــى ورائـــى وأمامـــى
هـــى زهـــرى وغنائـــى ومدامـــــى
وهـــى فى حلمى جناح الطائـــــر

ويصور لنا فى هذا المقطـــع التصويـــرى الرائـــع الطائر الجريح الـــــذى مازال يغـــرد أعذب النغـــم وأرقهـــا بين الريـــاض الناضـــرة :

ذلك الطائـــر مخضـــوب الجنـــــاح
يسعـــد الليـــل بآيات الصبـــــاح
ويغنـــى فـــى غـــــــدو ورواح
بين أغصـــان وورد ناضـــــر

ثم يختتـــم أنشودة الكرنـــك " بهذا المقطـــع الجميـــل ، فيقـــول :

فى ريـــاض نضـــر الله ثراهـــــا
وسقـــى من كـــرم النيـــل رباهـــا
ومشـــى الفجـــر اليهـــا فطواهـــــا
بيـــن أفراح الضياء الغامـــــر

وتغنى محمد عبدالوهاب بأنشودة الكرنك عام ١٩٤١م فلاقت نجاحا كبيـــــرا واتسعت شهرة الشاعر وأضفت عليـــه صيتـــا ذائعـــا ، وهكذا اقترن اسم الكرنـــك

باحمد فتحى ، وأصبح الناس يعرفونه باسم " شاعر الكرنك " .

وبالمناسبة لم يتقاض الشاعر عن هذه الأنشودة الناجحة الا ثلاثة جنيهات من الاذاعة المصرية حينئذ ....

xxxxxxxxxx

وهكذا روض شاعرنا روحه على التصوف بين معابد الأقصر الخالدة وأصبحت أجمل أوقات حياته تلك التى كان يقضيها بين المعابد الشامخة : فاستوحى أنشودة الكرنك من معابد الكرنك .. واستوحى أنشودة " نداء الغروب " من وحى " وادى الملوك " وهى قصيدة تتسم بالصور الشعرية المحلقة والخيال الفنى المجنح ، يقول فيها : (١)

عادت الطير الى أفنانها
تتغنى
حين ذاب النور فى ألحانها
وتثنى

xxxxxxxxx

وجرى فى أدمع الذكرى شراعى
مذ دعاه من فم الأجيال داع

xxxxxxxxx

وكسا الليل وشاح الذهب
فى الأصيل
وروى الموج حديث الحقب
للنخيل

xxxxxxxxx

طاف بى همس بعيد كالنداء
أيها السارى على غير اهتداء
قف تأمل

xxxxxxxxxx

(١) ديوان قال الشاعر/نداء الغرب /ص : ١٣٧/ ط دار النيل للطباعة/القاهرة ١٩٤٩م .

هاهنـــا وادى الخلـــــــــود

وتمهـــل

كل مافيـــه رقـــــــــود

xxxxxxxx

لاتنبـــه أعينـــا طال كراهـــــا

سحرهـــا صان على الدهـــر حماهـــا

xxxxxxxxx

أين منك الفـن والمجد العريـــق

قف تمهـــل

فسحـــة من أمل الـــوادى وضيـــق

فتأمـــل

xxxxxxxxx

ســـأل الرمـــل وقالـــت زهـــرات

أى ســـار سبقتـــه العبـــرات ؟

xxxxxxxxx

أنـا صداحـــك يـــاوادى الجـــلال

نعم ودمنـــى

أبصـــر الدنيـــا بعينـــى وخيالـــى

فـأغنـــى

xxxxxxxxxx

أخذتنـــى نشـــوة الســـارى الغريب

وتنبهـــت على صـــوت الغـــروب

xxxxxxxxxx

وتمهلت لعلـــى أسمـــــــع

رجعة الهمـــس البعيـــــــد

وتأملت وعيني تدمع
صور العهد العهيد
وجرى في أدمع الذكرى شراعي

وحاول شاعرنا أن تغني أم كلثوم هذه الأنشودة الرائعة ولكنه أخفق في محاولته .

xxxxxxxxxx

وكان هناك عامل جديد حبب لشاعرنا الاقامة في الأقصر في تلك الحقبة بعد أن روض روحه على التصوف بين معابدها الخالدة ...

لقد مر بتجربة عاطفية عنيفة انتهت بالفراق ... فلجأ الى الأقصر " منتفاه المحبب " من القاهرة لينسى جراح قلبه وليفرق أحزانه بين معابد الأقصر ولياليها الحالمة ....

ويصور شاعرنا أحاسيسه بعد هذه التجربة العاصفة ، فيقول في رسالة شجية له : (١)

" ولقد رجعت الى منفاي مختارا طائعا لا ألوي في طريقي على شيء ، وعكفت على مكتبي أنفق فيه سحابة النهار وشطرا من الليل ، كما أفعل الآن .

"وماذا أصنع بهذه الصورة التي تطارد ذهني في اليقظة والكرى ؟
" وماذا أفعل بهذا الخافق الوثاب الذي لايقر ولايهدأ ؟
" وماذا أفعل بهذه الذكريات الموجعة التي تخف ظلالها بطريقي على الدوام ؟

" ولمن أشكو هذا كله ، وأنا انسان وحيد في هذه الدنيا ،مثلي كمثل الشجرة اليانعة النابتة في جوف صحراء جديبة موحشة مقفرة من كل كائن حي ؟

xxxxxxxxxx

ثم انتهت مرحلة الأقصر لتبدأ مرحلة جديدة في حياة شاعرنا وشعره هي مرحلة الفيوم ....

---

(١) تاريخ هذه الرسالة ٩ سبتمبر عام ١٩٤١م ، وقد اطلعت عليها عند الأستاذ الأديب أنور أحمد .

## " فى جنة الفيـــوم "

أخذ شاعرنا يسعى لينقـل الى القاهـــرة ...

وأخيرا أفلح فى أن ينقل الى الفيـوم - وهى قريبة من القاهرة - مدرســا بمدرستها الصناعيـة فى سبتمبر عام ١٩٤١م...

وعاش شاعرنا بين جمال طبيعتهـا وسحرهـا حيث النخيـل والسواقى السبـع تحوطها عيـون " السليين " وعيون " الغدريميين " و " الحدائق المعلقـة " و " بحيرة قـارون " .

ويسعد شاعرنا بقربه من القاهرةوتبهجه طبيعة الفيوم الساحرة فيكتـب الى صديقـه أنور أحمـد يقول لـه :

" والسواقى تكاد تطفى على نداءات خواطـرى وأنا أكتب لك ، ومع هـذا فانه لنواح حبيـب .... ياليتنى أستطيع أن أسجله فى أبيات كما سجلـه رامـى فى قصائـد ...

" انها بلدة طيبـة وادعـة جميلـة ... ولكن ليس لهـا سحـر وادى الملوك ، وجلال جـواره الكريـم " .

ويستوقفنا هنا حديثه عن سحر وادى الملوك وجلالـه مما يفصح عـن مـدى استغراق شاعرنـا فى هذا الجو التاريخى الحالم فى مرحلة الأقصر بعـد أن كان يشكو منه مر الشكـوى .

وقد استوحى أحمد فتحى من جمال الطبيعـة فى الفيـوم وسحرها عدة قصائـد رقيقـة .

استوحى من وحى سواقى الفيـوم قصيدتـه " صوت السنين " التى تتسـم بجمال اللفظ ورقتـه وحسن صياغة الكلمات والموسيقا الهامسة فضلا عن رومانسيتها الحالمة المبدعـة .. يقول فيهـا : (١)

---

(١) ديوان قال الشاعر / صوت السنين / ص : ١١٥ .

أى سحـــر بعثت شمس الأصيـــــل
فى ضيـــاء شاحب اللون خجـــول
ونسيـــم واهـــن الخطو عليـــل
راح يلتـــف بأعناق النخيـــل

xxxxxxxxx

ضحـــك الزهـــر ، وغنـــى بلبـــل
وحكـــى الموج ، وأصغـــى الجـــدول
وتـــراءى فى الروابـــى أمـــل
آخـــر الأيـــام فيـــه أول

xxxxxxxxx

آه من ذكـــرى مع الليـــل تعـــود
طيـــف ناحـــل ، واه ، بعيـــد
يمـــلأ الآفاق والقلـــب وحيـــد
يبعـــث النجوى ويبدى ويعيـــد

xxxxxxxxx

طـــال حرمانـــى وصبـــرى وحنينـــى
وسما بـــى خاطـــرى مـــلء السكـــون
أرهـــف السمـــع الى صوت السنيـــن
هائمـــا بين فتونـــى وذهولـــى

xxxxxxxxx

ياخيالـــى هذه الدنيـــا لنـــا
ليـــس الا أنت ، فيهـــا ، وأنـــا
نقهـــر الدهـــر ، ونطوى الزمنـــا
ونـــرى فى كـــل واد وطنـــا

xxxxxxxxx

فيـــم نشكو العمر والجرح القديمـــا

والهوى الياشس واللوعة ، فيمـــــا ؟
نحن صورنـــاه من الوهـــم نعيمـــــا
فى ربيـــع باســـم ضـاح ، جميـــــلا

xxxxxxxxx

ولعل انتقال شاعرنا الى الفيوم كان بمثابة الواحة التى ينشد فيها الراحل المجـــد ، بعض الراحة من وعثاء الطريـــق ، ووقد الهجيـــر ، وانك لتحـــس بـــــرد الراحـة الذى أظل نفسه من خلال شعر مطرب كانت موسيقاه تـــرددده مع سواقـــــــى الغدير التى تترجم عن الحنين والنفـــس الملتاعـــــة .

فى قصيدته " صوت السنين " التى أوردناها ، نسمع منه لأول مرة نغما مؤنســـا ، وأملا نديا ، وحنانا طوى مرارة دفينـــة ، واستقبل فجـــرا بســامـــــا .

وكانت هذه المرحلـــة ( ١٩٤١ - ١٩٤٣م ) رغـــم قصرها من أكثر الفتـــــــرات استقرارا فى حياة شاعرنا وأحفلهـــا بالانتاج الشعرى الخصب الذى يتســم بالتفاؤل والرومانسية الحالمة والاقبال على الحياة ولكن هذه المرحلـــة لـــم تستمـــــــر طويـــلا ، فسرعـــان مابدأت مرحلـــة حاســـة فى حياة شاعرنا القلق الملول .

## " الاغتراب الروحـــى "

ثم تأتى بعد ذلك مرحلة جديدة وفريدة فى حياة شاعرنـــا ...

كان شاعرنا قلقا دائما حزينا لايستقر على حال يعذبه شعوره " بالاغتراب الروحى" فهو دائما يشعر بغربة روحية موحشـة ... لم يجد الاستقرار والأمان فى المـــرأة أو الكأس أو المجد أو المال أو التنقل والسفر .

ويكتب لصديقه يعبر عن ضيقه وملله من خياله ويصور له أحاسيسه المرهفـــة نحو السعى الى الجديد الذى ينفض عنه أثقال الكآبة ورتابة الملل ، فيعلن لـــه زهده فى القاهرة ولياليها ، فيقـــول :

" كرهت القاهرة ... وملت حياتى بها . ان كل ركن فى العاصمة يثير دفينـا من الشجن ، ويهيج ساكنا من الذكرى ، ويرتد بالقلب المثخن بجراحه الى صـــور من الماضى الحافل بآثامه ومباذله ، الذى شاء القدر أن يضع له هذه الخاتمـــة الأليمـــة .

" فلاأقنع راضيا أو غاضبا بهذه الحياة البليدة التى أحياهـا .

" هنا بعيدا من مراتع شبابى المسكين ... ولعل البعد ينسى أو يسلـــى ، ولاأمل فى حياة عاطفية مستقبلة ، بل لارغبة فى شىء من ذلك وجه الاطـلاق .

" لقد أحببت كثيرا وتعذبت كثيرا كما تقول مريم الجدليـــة ولاأظننى مستطيعا أن أعالج حياة الشاعر من جديـــد ....

ولهذا قر قرارى على أن أودع هذا الفن العزيز فيما عدا نفثاتى السانحـــة على ماضى الفار ، الذى يعاودنى كلما بسط المساء جناحه على روحى الهائمة فـــى القفار والمجاهيـــل " .

كانت حياة أحمد فتحى فى تلك الحقبة حياة تعسة شقية فضلا عما كان يعانى من آلام نفسية تعذبـــه وتضنيـــه ....

وينتهى شاعرنا الى قرار خطير يعد نقطة حاسمة فى حياتـــــه ...

لقد قرر أن يستقيل من عمله ويغادر الوطن ، ليلتحق بالجيش البريطانـــى ٠

" ومهما يكن فى قراره هذا من اغراب أو مروق ، فان عوامل كثيرة قـــد اجتمعت على الشاعر المسكين ، فحملته على اتخاذ هذا القرار فى ساعة يأس :

" حب ضائع ، وصحة منهارة ، وأمل مفقود فى وظيفة بالقاهرة ، وسخط علـــى الحياة والفن ، وخاصـــة تتتركة فى ضائقـــة من العيش ، وهو بين كل هـــذه العواطف وحيد ... لازوجـة ولاولـــد ولا أهـــل (١) .

xxxxxxxxxx

كانت الحرب العالمية الثانية قائمة فى ذلك الحين ، فانضم شاعرنا لقـــوات الحلفاء وأخذ ينداء بقوات المحور ويرحل الى الميدان ويودع محبوبة العمر فـــى الفيوم بقصيدة رقيقـــة يقول فيهـــا : (٢)

أغاريـــد من ذكـرى هواك وأنغـــام
تعـــود ، فهل عادت ليـال وأيـــام؟
هنـــا ... كان لى قلب سعيـــد ومرتـع
رضـى ، وآمـال حســـان وأحـــلام
وكان هوانـــا يملأ الرحب بهجـــة
يصورها فى صفحـــة الكون رســـام
تسابق فيهـــا المغرمون ، وقسمـــت
حظوظ ، فمظلـــوم لديك وظـــلام
تخلـف قلبى فى الزحـام وخاننـــى
الى نبعك المورود مـــد وأقـــدام
أقابلك فى ضعف العجيب بذلـــه
أغالب دمعى وهو بالوجد نمـــام

---

(١) صالح جودت / مأساة شاعر الكرنك / مجلة الهلال / ديسمبر ١٩٦٦م٠

(٢) أحمد فتحى / ديوان قال الشاعر / ١٩٤٩م / ص : ١٤٣ ٠

لقيت الروابى ضاحكات كعهدها
كأن لم ترعها من غيابك آلام
وفى كل شىء ها هنا منك فكرة
ومل‌ء خيالى منك وجى والهام
تخيل لى انى آراك وأننى
تصافح سمعى من حديثك أنغام
فأعفو على وهم اللقاء سويعة
وأصحو وما بينى وبينك أعوام
هنيئا لك الدنيا ، فان خواطرى
اذا هبطت آفاق دنياك آثام
ومادام فى بعدى لقلبك راحة
فلاخطرت بى فى رحابك أوهام

ويصبح شاعرنا ضابطا بقوات الحلفاء فى الصحراء الغربية المصرية ...
ولكن كيف خدث هذا ؟

لا أحب أن أعرج على ما اضطرب فيه أحمد فتحى خلال تلك الحرب من تصرفات مبعثها فكر أضر به الحرمان الباكر فى صدر حياته ، وأتلفه نهم للذاذات تورث السقم فى الجسد وفى العقل، الا برأى لاينفى عنه العتب بقدر مايبحث له عن مخرج يرى منه القارىء شعاعا من العذر .

ومما لاشك فيه أن أحمد فتحى تأثر من قراءاته فى كتب الغرب ، بما كان يحدث لمن تتجهم الدنيا حتى تضيق به أرجاؤها ، أو لمن يخفق فى حب عنيف لايرى بعده حقا له العيش أو أملا فى أمل ... وكان أولئك المصابون بهذه المآسى ينخرطون فى " الفرقة الأجنبية " التى كانت تؤلف فى فرنسا من متطوعين من كافة الأجناس . لم يكن هم هؤلاء المتطوعين الدفاع عن قضية ، أو بلوغ غاية نبيلة أو مبدأ سام أو احقاق حق ضائع بقدر ماكانوا ينخرطون فى هذه الفرقة من أجل البحث عن الموت من طريق آخر غير الانتحار . ان شاعرنا يلقى بنفسه الاضواء على تلك الحقبة الغريبة من حياته فى رسالة أدبية ممتعة يعث بها من " برقة "

فى ٢٠ مايو سنة ١٩٤٣م الى صاحبه تفصح عن نفسية قلقة تحاول أن تجد فى ميدان الحرب ملاذا أو مهربا من الشعور بالغربة الروحية وتفصح الرسالة عن مدى احساسه الحاد بالقلق وعدم الاستقرار والغربة الروحية لشاب لم يتجاوز الثلاثين من عمره بعد يقول فيها : (١)

" وبعد ، فانك لتسأل ماذا حدا بهذا الشاعر المفتون أن يهجر داره الى غير أمل فى رجعة ، ولقد كانت حياته فى أرض الوطن هنية لينة ، ان أخطأها البذخ ، فقد كان فيها ترف ورخاء ؟

" وفى الحق انى لأسأل نفسى بمثل ذلك اليوم ، وانها لتجيبنى اجابة فيها غموض وابهام ومراوغة .

" أنت تدرى أننى رجل لاسبيل للمال الى استمالته ... ولكن حدث أننى سعيت الى الشهرة سعى المجد ، وطلبت المجد طلب الملحاح ، وبذلت فى سبيل ذلك مابذلت من نضرة شبابى ونور عينى .

" فلما بدأ نجمى يتألق فى سماء المجتمع ، وأقبلت على الشهرة اقبال المشوق ، كان ماتبقى لى من نفسى ذماء لايكاد ينتفع بالحياة فى جملتها ولا فى تفصيلها .

فقدت نصف قلبى منذ ثلاثة أعوام ، وفقدت نصفه الباقى منذ أيام .

" ولقد فرغت الى الشراب من مواجعى وعذاب دنياى ، فما زادنى الا ضعفا عن احتمال الحياة ، ومواجهة متاعبها ، وعادت علة الحسد تزيدنى من يقظة جراح قلبى ، وأصبحت حياتى كلها مقاساة ونكرا .

" وتلفت حولى ، فاذا أنا ... ولاناصر ولامعين ... واذا بمثلى كمثل الكسرة من الخبز العفن ملقاة فى عرض الطريق ، ان وجدت تقيا يرفعها الى جانب الحائط ، فانها لن تجد من يأكلها بأى حال .

" قلت لنفسى ... لعلنا نصطنع لنا وطنا جديدا ، وعملا جديدا ، وآفاق جديدة ، يرتع فى ظلالها الاحساس الجريح والخيال مهيض الجناح .

" ولعل تغيير الجو المحيط ، وتبديل الوسط وتجديد المعالم لعل ذلك كله

---

(١) من رسالة خاصة لصديقه أنور أحمد .

أن يعين على صفحة الماضى بخيره وشره ، بل بشره وحسب ، فما كان فيه من خير فقط .

" وفى بغعة أيام ، أبرمت الأمر ، وعقدت العزم على الرحيل ، لم أشاور أحدا ولم أستانس برأى أحد ، وحضرت رحلى أطياف الشباب ، ورحلت وأنا لاأدرى الى أين ...

" ولست أدرى حتى الساعة ماذا يراد بى ، فان كان خيرا ، فقد أسلفت من الصبر والتجمل مايثبت حقى أن أنعم بما بقى لى فى صحبة الحياة من أمد ... وان كان شرا ، فقد : تعودت مس الضر حتى ألفته وأسلمنى حسن العزاء الى الصبر" ( يبعث لمحبوبته من الصحراء قصيدة " همسات " التى يقول فى مطلعها :

أنا أهمس الحب فى سمع الوجود ... فاسمعينى

كان هذا تحليل شاعرنا للظروف والعوامل النفسية التى دفعته الى الزج بنفسه فى أتعن الحرب هربا من قسوة الواقع ومرارة الهزيمة النفسية التى تعذبه وتضنيه ....

xxxxxxxxxx

وفى نفس الرسالة يشكو من هجر شيطان شعره الصادح فى " برقة " بليبيا فيقول :

" ولكن شر ماأكابد الآن ، هو هجر شيطانى الصادح الذى طالما هششت الى هزجاته بين تجهم أيامى وفى أسياتها العابسة ، فما عدت أهتف ببيت من الشعر واحد ، ولاعاد يطرقنى طيف من أطياف الخيال " .

ثم تمض الوحدة ممضة ثقيلة على شاعرنا وهو ينتقل مع قوات الجيش البريطانى فى الصحراء الليبية وهناك يستطيع أن ينشىء علاقة عاطفية مع حسناء ، فيعود شيطان شعره الهارب ويستلهم منها قصيدة رقيقة بعنوان " الجارة الحسناء " يقول فيها :

أشرقت فى ليل أراق ظلامه

فى خاطرى ، ليزيد فيه عذابى

فرأيت ثغرك ضاحكا عن درة
متألقا فى بشره الخلاب
وتبسمت روحى اليك ، وعادها
طيف التغزل بعد طول غياب
وشكا فؤادى ظلم ماحملته
ليمون عهد أحبتى الغياب
وجرت على شفتى ظلال تحية
تسعى اليك بهمسة الاعجاب
فهتفت والذكرى يلم خيالها
فيرد آشامى على الأعقاب
ياجارتى الحسناء ، مالك موضع
فى القلب بعد تفرق الأحباب
فى ناظريك من الصبا وفتونه
يبدو سؤال ظامىء لجواب
لكن مشغول الفؤاد يعوذ من
سحر العيون بدمعه المنساب

ثم يتذكر محبوبته التى تركها فى مصر فيقول :

لى فى ربى الوادى السعيد فريدة
فى حسنها ، تشتاق يوم آيابى
عندى لها باقى الوفاء ، وعندها
لهوى اعزاز وحسن ثواب
ولعلنا بعد النوى أن نلتقى
فتفرعين شبابها وشبابى

xxxxxxxxxxx

ويزداد احساس شاعرنا " بالاغتراب الروحى " فى الصحراء حيث الوحدة والسكون والتأمل والليالى الطويلة المسهدة ....

ويسترجع شريط حياته فيجدها باطل الأباطيل وقبض الريح وتنتابه سوداوية قاتمة واحساس مظلم بكل أمل له فى الاستقرار والحياة الهادئة وبقيمة مايكتب ويسجل هذه الأحاسيس الحزينة فى رسالة خاصة الى صديقه أنور أحمد فيقول :

" لاأكتمك ما أحس من فقدان كل أمل فى الحياة المنتظمة والاستقرار وأؤكد لك أن خيال العش الجميل والأليفة والأطفال لم يعد عينى أبدا .

" ولقد أصبحت رجلا بلا ماض ولامستقبل ، ولارجاء فى المستقبل .

"ولاتحسب هذا مصدر ألم لى فقد رضت نفسى عليه رياضة كافية ، وأصبحت أستمتع بالحياة الفردية الموحشة الى غير حد ، وأصبح كل همى أن أركز كل جهدى فى العمل الذى أكسب منه القوت .

"وفى وقت فراغى متسع أفقه على العمل الأدبى والانتاج الفنى ، وقد يشاء الله أن أظفر منهما بعد بعض الوقت بشىء تكون له قيمة تاريخية تذكر ... فمن يدرى ؟ ".

"وفى رسالة أخرى بتاريخ ١٥ أغسطس عام ١٩٤٣م يمضى شاعرنا فيسجل نفس أحاسيسه الحزينة القاتمة ، وكأنه يرثى نفسه فى عنفوان الشباب وفتوة العمر ، فيقول :

" منذ أيام قليلة ، ودعت عامى الثلاثين ، ودخلت فى الحلقة الرابعة ، ولاأكذب عليك ، فان خوفى من الشيخوخة الباردة العاجزة لاحد له ...

" وأخشى ما أخشاه أن تكون خطواتى فى سبيل الفناء سريعة من حيث لاأشعر ".

ويقول فى موضع آخرا مصورا أحزانه وآلامه :

" أجدنى حقيقة ضائقا بالزمان والمكان ، ويزيد المرض من حدة هذا الضيق ...

" أذكرتنى العيد ... ولاباس من أن أقول لك أن حياتى لم يعد فيها مكان للأعياد ... واذا أمكن استثناء الأفراح الصغيرة الهادئة التى يقيمها قلبى لإلهاته الجاحدات ، تستطيع أن تزعم أن كلمة العيد قد محيت من قاموس أيامى ولياليى .

" وفى السقم والعلة والضعف ، يدرك رجل مثلى فداحة جرمه فى حق نفسه ،

اذ آثر منذ زمن بعيد هذا النوع من الحبس الانفرادى الحافل بالشقاء ، بدلا من سعادة الأسرة وفرحة الحياة بالعيش الهادىء ، والعصافير الصغيرة المغردة " .

كانت هذه خواطر شاعرنا الجزينة فى قلب الصحراء التى ألقى بنفسه فى أتون الحرب لاجئا اليها فرارا من عذابات نفسه وأحزان روحه علّه ينسى وترتاح نفسه لكن ذلك لم يزده الا حزنا وضيقا على ضيق ... وكانت هذه خلقة ترسم أبعاد مأساته العاصفة التى كان يتجه اليها بسرعة فى عنفوان شبابه الغض ...

ولعل أصدق مايعبر عن احساسه بالاغتراب الروحى من شعر قوله فى قصيدة تفصح عن نفسية قلقة مفتاحها الاغتراب الروحى : (١)

ظمئت ، على قربى ، من النهل والعل
فهل عاف عذب الورد ظمآن من قبلى
وضقت بليلى ، ساهدا ، ولو اننى
تعزيت لم أشك التسهيد فى ليلى
وعشت حياتى وحسة ليس ينتهى
مداها ودونى سائر الصحب والأهل

xxxxxxxxxxx

هذه ملامح لأحزان شاعرنا منذ مطالع شبابه ندرك من خلالها مدى عمق المأساة التى عاشها أحمد فتحى من مولده حتى الى يوم رحيله ... ومن هنا كانت مأساة حياته العاصفة .

على أنه بعد أن عمل ضابطا بالقوات البريطانية فى الصحراء الليبية ابان الحرب العالمية الثانية انتقل الى جزيرة صقلية حيث عمل فى قسم الدعاية والنشرات الحربية ...

---

(١) مجلة الرسالة / من وحى الصحراء / ٢٧ يونية ١٩٣٨م.

ثم مالبث أن عاد الى القاهرة فى أوائل عام ١٩٤٤م وحاول أن يجد وظيفة مناسبة فى القاهرة فأخفق ...

فلجأ الى صاحبه المرحوم محمد سعيد لطفى - مدير الاذاعة المصرية يومئذ - وقد كان على صلات طيبة بالانجليز ، فتوسط للشاعر عندهم فعينوه مذيعا بالاذاعة البريطانية بلندن ...

واستعد شاعرنا للسفر الى لندن لتلم مهام عمله الجديد ... لتبدأ مرحلة جديدة فى حياته وفى شعره ....

## " ليالي لنـــدن "

عين أحمد فتحى بالاذاعة البريطانية بلندن مذيعا ومترجما للأخبار بالقسم العربى بها فى أواخر شهر فبراير عام ١٩٤٤م.

وكانت لندن تعانى فى تلك الحقبة من فترة مظلمة ظالمة تكاثرت فيها القنابل الطائرة على العاصمة البريطانية فى عنفوان اشتعال نيران الحرب العالمية الثانية .

ووسط ظلام لندن الحالك فى تلك الحقبة المظلمة حاول أن يدفن أحزان روحه وآلام نفسه فى الكأس والمرأة والسفر فأطلق لبوهيميته العنان وكان من أغرب نزوات شبابه فى تلك الحقبة أنه تعلم الطيران فى بقعة من أجمل بقاع الريف ، فى جنوب انجلترا ونجا من الموت فى محاولاته الأولى بأعاجيب غريبة ولم يحاول أن يقيد نفسه بمواعيد ثابتة أو بعمل معين ومرجع هذا كله احساسه الحاد بالاغتراب الروحى والوحشة النفسية مما جعله ينطلق فى بوهيميته وعدم التزامه بقيودها .

ويروى الأستاذ صالح جودت صفحة مجهولة فى حياة أحمد فتحى فى تلك الحقبة فيقول : (١)

" على أن لندن قد حملته ذكرى ظل يدمع لها بقية حياته ... لقد أحب هناك أحب شابة انجليزية اسمها " كارول " وهى من بنات الطبقة المتوسطة ، وكانت تشتغل كاتبة على الآلة الكاتبة ، وتزوجها ، ورزق منها طفلة سماها " جوزفين " (٢)

ولكن كان لشاعرنا نشاط خصب ومثمر فى العاصمة الانجليزية ، فبجانب

---

(١) بلابل من الشرق / ١٩٦٠م.

(٢) فى بعض اعترافات شاعرنا أن اسمها عائشة وأن الزواج تم عام ١٩٤٥م.

مولاتـــه وجولاتـــه العاطفية كان فى نشاطه الثقافـــى ...

فى الاذاعة كان يقدم أحاديث أدبيـة وقام أثناء الحرب بترجمة خطب الزعيـم البريطانـى ونستون تشرشـــل .

وفى احدى رسائله يتحدث عن جانب من نشاطه ، فيقـــول : (١)

"عاودنى النشاط الأدبى بعد أن استقر بى المقام ، وقد فرغت من سلســـلـــة أحاديث عن رحلتى الى الصحراء ، وبدأت سلسلـة أخرى عن الشعراء المعاصرين " .

وفى رسالة لاحقة بتاريخ ٢٦ سبتمبر عام ١٩٤٤م يقـــول :

" بدأت كتابة مؤلف جديد عن لندن فى زمن الحرب ، وربما استغرقنى بضعـــة شهور ، وقد بدأت أمس قصيدة غنائية وهى تنبثر بشىء من طراز " الكرنك " وان كـان فيها روح أبيقورى ، ربما قاد الى خاتمة تمتاز بلون وطنـــى " .

" ثم تأتى مأساة المآسى فى حياة شاعرنـــا ...

تعود شاعرنا أن يفرط فى الشراب ، فلا يكاد يفيق منه ، وهكذا لم يستطـــع أن ينهض بتكاليف الزوجية وجاءه النذير حينما رفضت السلطات الانجليزيـــة أن تجدد اقامته هناك ، فكان عليه أن يرحل ويترك زوجته وابنته خلف ظهره ويبحث عن أى مصير كانت هذه مأساة المآسى فى حياة أحمد فتحـــى ...

واستقال شاعرنا من الاذاعة البريطانية فى يونية عام ١٩٤٦م وعاد الى مصـــر ولم يتح أن يرى ابنته الا عام ١٩٥٥م لآخر مرة وبعد وفاته بفندق كارلتون بالقاهرة عام ١٩٦٠م وجدت صورتها وهو يحتضنها بين يديه بتشبث وأمـــل ...

---

(١) تاريخ هذه الرسالـــة صيف عام ١٩٤٤م ، وهى من ضمن مجموعة رسائله لصديقـــه الأديب أنور أحمـــد .

## " فى الأراضى المقدسة "

أثناء وجود شاعرنا بلندن تعرف على الشاعر السعودى الرقيق الأمير عبد الله الفيصل صاحب ديوان " وحى الحرمان " وبعد أن عاد شاعرنا الى مصر من لندن حوالى عام ١٩٤٧م بعد أن مكث بلندن لفترة بعد استقالته من دار الاذاعة البريطانية ذهب الى الأراضى المقدسة حوالى عام ١٩٤٨م ، وعين مراقبا عاما للبرامج باذاعتها ، بمدينة جدة .

وكان له أثناء ذلك نشاط خصب ، فكان يشارك بالبرامج الجديدة والقاء أجمل ألوان الشعر العربى قديمه وحديثه وغلب على الاذاعة الطابع الثقافى اللطيف وأحدث تجديدات كبيرة فى برامج الاذاعة كما شارك فى النهضة الأدبية بالسعودية ...

وفى تلك الحقبة كان يصطحبه صديقه الشاعر الأمير عبد الله الفيصل فى رحلاته الصيفية بين مغانى أوربا وربوعها فى باريس ولندن وروما ومالبث أن استقال من الاذاعة حوالى عام ١٩٤٩م واستمر يعمل بالمقاولات فى الأراضى المقدسة وجلب له عمله الجديد المال ...

وكانت لرحلات شاعرنا الى مصايف أوربا وربوعها آثار عميقة فى شعره فأمده بزاد وفير من المشاعر والأحاسيس عكسه فى شعره وفى أدبه النثرى فيما بعد ...

وكانت هذه الرحلات البلسم الذى داوى أحزان روحه لبعض الوقت بعد ليالى الحرمان والأحزان والوحشة .

ولكن سرعان ماعاد شاعرنا الى مصر عام ١٩٥٣م بعد أن ظل بضع سنوات فى الأراضى المقدسة فى بحبوحة من العيش والرفاهية ليبدأ فصلا جديداً آخر فى حياته الخصبة العريضة .

## " أحمد فتحى صحفيـــــا "

عاد شاعرنا الى مصر فى حوالى عام ١٩٥٣م ومعه بعض المال ولكنه كان مسرفا ، فانفقه عن آخر فى فترة وجيـــزة ...

وظل يحرر فى بعض المجلات والصحف ينشر فيها مقالات وقصصا مترجمة قصيـــرة وبضع قصائد حتى ألحقه المرحوم صلاح سالم بصحيفـــة " الشعب " ليحرر صفحتهـــا الأدبيـة ... وبدأ أحمد فتحى يحرر فيها بابا أدبيا شيقا تحت عنوان " ســوانـح وذكريـــات " ضمنه خواطره الفنية والأدبية والذاتيـــة ... واتجـــه منـذ حوالـى عام ١٩٥٥م الى الكتابـة الأدبيـة والى النقد والى الحديث عن الكتـــب ومايصدر منها فى مختلف شئون الفكر والثقافة والفنون . وقد كان متمكنا مـــن اللغة الانجليزية التى أعانته على أن يطلع على آدابها وفنونها ويغترف منهـــا ماشاء له حسن ذوقه ورقة مشاعره وولعه بالطريف فى النقد والأدب .

وأخذ أحمد فتحى يحرر تلك الصفحة الأدبية فى صحيفة " الشعـــب " وكانـــت نتاجا لتجاربه وقراءاته ، وصدى لمعاناته التى لزمته طول حياتـــه .

ولكل أديب بوجه عام ، ولكل شاعر بوجه خاص ، فكرة أساسية تتجلى فى كـــل ماتجود قريحته . فهى كالمركـــز المغناطيسى الذى تتجه اليه سائر أفكـــاره أو كمركز الدائرة الذى تتشعب منه جميع الأشعة فى كل اتجـــاه .

وهذه القاعدة توشك أن تكون أزلية وعامة ، فمن شعراء الجمال فى الغـــرب نجد بايرون وكيتس وشيللى ولامارتين ومن شعراء الطبيعة نرى بوشكين و ورد ذورث الذى سموه " شاعر البحيرات " ومن شعراء الدراما شكسبير وراسين وكورنـى وفيكتور هيجو ، ومن شعراء الأدب المكشوف بودلير الذى أطلقوا عليه شاعر اللذة والألـــم ، وزعيم الرمزية وهو صاحب مجموعة قصائد " أزهار الشـــر " التى كانت السبب فى وقوفه أمام القضاء بتهمة انتهـاك حرمة الآداب العامـــة .

ومن شعراء الوطنية فى العالم طاغور ودانتزيو وكبلنج وفردريك شيللـــر وفولتير الذى مهد للثورة الفرنسية وكان يسمى " شـــرارة الثـــورات " .

ومهما يكن من أمر هذا التخصص ، فان الشاعر لاتقيده قيود ، ولاتقف فـــــى سبيله حدود ، ولكن المركز المغناطيسى الذى أشرنا اليه هو الذى يجذف أفكـــاره ولايغيب أثر عنه مهما انشغل فى شأن من الشئون ....

وقد عرب أحمد فتحى فى تلك الحقبـة ( ١٩٥٥ - ١٩٥٩ ) عشرات القصص الغربيـة القصيرة لكبار كتاب القصـــة القصيـــرة ...

كما كتب عشرات المقالات التى تملأ عدة كتب أدبيـــة قيمـــة ...

ومن خواطره الأدبية التى سجلها فى تلك الحقبة فى بابه " سوانح وذكريـات " تلك الخواطر الشيقة بعنوان " أمواج وأشعار ونظريات " كتبها فـــى رحلـــة الاسكندرية يقول فيهـــا : (١)

" من أسوأ عاداتى أو أحسنهـا ... لاأدرى ...
اننى لاأستطيع النوم فى ساعة مبكـــرة ...

وكان الليل قد انتصف منذ ساعة أو نحوهـا عندما انصرف عنى الأخـــوان، وتركونـــى وحيـــدا ...

" ووجدتهـا فرصة سانحـة للتريض سيرا على القدميـن ، والخلوة بحديقـــى العظيـــم ، القديم ، البحـــر ...

" ومشيت ، ومشيت ، والأفكار تداعب صفحة ذهنى كما تداعب أنسام الليـــل صفحـــة الأمواج .

" وطافت بى ذكريات من الماضى القريب والبعيد ... الشقى والسعيد ووقفت أتأمل أنوار الطريق فى مرآة الخصم الزاخـــر ، الذى ألقى عليها الليـــــل وشاحه القاتم وتمتمت شفتاى دون قصـد بقولـى فى وصف الصورة نفسها منـــذ سنيـــن :

على الماء قلبى ، فى ناره  وفى المساء ألسنة من لهـب

---

(١) صحيفة الشعب / ٢٤ أغسطس ١٩٥٧م .

" وامتد بصرى الى صفحة الماء ورأيت فيها السنة اللهب تتراقص ، كأنها عبارات مضطربة فى سياق قصة حب خالد ..

" ثم نفذ بصرى الى حنايا ضلوعى : كان قبلى هناك : بلا نار ولا نور.. مجرد رماد باردا !.

" وضللت طريقى فى زحام السنين ، والتى جرفنى موكبها العابر أمام عينى خيالى ، صورة بعد صورة ، وكلمة بعد كلمة ، وظلالا بعد أشعة ، وأصداء بعد أنغام .

" وودعت الليل الراحل الى لقاء قريب ، ورحبت بالصباح الوافد لغير بقاء وقلت للبحر : هكذا حظك من الدنيا ، وحظى أنا ، ودوام الحال من المحال " .

وكتب تحت عنوان " الحساب الختامى " بمناسبة حلول عام جديد يقول (١):

" لعل من أكبر مشكلاتى أننى أحب مناجاة أحداث الماضى ، أكثر مما أحب التطلع والتشوق ، الى احتمالات أحداث المستقبل ، وأننى كثيرا ما أتأسى بنفسى ، بين غدى وأمسى .

"ومع اعترافى بنجوفى من تعقيد الحياة ، وعزوفى الدائم عن وضع العثرات فى طريق موكب أفكارى ، لا أجد مندوحة عن التساؤل والاستفسار ، لقد مضى عام كامل بأفراحه وأتراحه ، وأحداثه ، الكبار والصغار ، وأقبل على ، وعلى أعصابى وعلى عواطفى ، وعلى أصدقائى ، وعلى غير أصدقائى فى الشرق والغرب والشمال والجنوب ، عام جديد ، كلنا يرجو أن يكون عاما سعيدا ، وكلنا يرجو أن تنبجس أيامه ولياليه ، عن خير شامل ، ونعمة سابغة ، وراحة بال ، واستتباب السلام العام ....

فهل تصدق الأحلام ؟ من يدرى ... لعلها تصدق ...

اذا صدقت الأحلام ، فبها ، ونعمت ..

---

(١) صحيفة الشعب / ٣ يناير ١٩٥٧م .

واذ لم تصـــدق ، فلا حول ولاقـــــوة .

أحلامى ، وأحلامك ، لايمكن أن تصدق جميعـــــا .

آلامى ، وآلامك ، لايمكـــن أن تصدق جميعـــــا .

مرحبا بالعام الجديد ، الذى لابد أن يحمل الينا بعض الخير ، ولابـــــــد أن يروعنا ببعض الشر ، لأنه لايمكن أن يكون كله خيرا ، ولايمكن أن يكون كله شرا، فالدنيا دوالبك ... يوم لك ويوم عليك ، وتلك سنة الحيـــاة .

" فى باكورة الشباب ، وفى ريعانه ، كنا نشيع العام الماضى فرحيـــــــن مستبشرين ، غير جازعين لفراقه ، ولاباكين عليـــه .

" وبعد الأربعين أصبحنا نبكى لفراق كل عام ذهب ونوجس خيفة من كل عام يقبل، وهذا منطق من يراجع حســاب الختام فى نهاية كل عـــام " .

وبعد ، فقد شهدت السنوات الأخيرة من حياة شاعرنا نشاطا ملحوظا فى مجـــال النشر ، فقد ترجم عدة كتب منها"فن الحياة" لأندريه موروا و جان كريستوف لرومان رولان ولغى كتاب " عظماء معاصـــرون " لتشرشـل وترجـم مختارات من شعـــر ميلتون وبعض كتب برناردشـــو ، بجانب مؤلفاته التى نشرت فى مطالع شبابه وهـــى قصة " الله والشيطان " وهى أقرب الى الحوار الفلسفى للقصة وديوانه اليتيـــم "قال الشاعر " الذى صدر فى القاهرة عام١٩٤٩م وكان شعره فيه يندرج تحت ثلاثة أبواب هى:

١ — مناسبات : يغلب عليها القصائد السياسية والحزبية مثل محنة العرب — مؤتمر أريحـــا — الدستور والانتخابات — باحصامة السلام ... الخ .

٢ — خصوصيات : يغلب عليها الطابع العاطفى والغزلى والوجدانى مثل قصائد :أحزان البيان — الرسم المحترق — الدمية الحسناء — وصية راقصة — لوم ... الخ .

٣ — أغاريد : وتجمع هذه القصائد بين الشعر العاطفى الغزلى والشعر التعبيـــرى الوجدانى مثل : الكرنك — فجر — حديث عينى — همسات — أنت — نداء الغروب — اليها وهى قصائد تغنى بها كبار المطربين مثل الموسيقار محمد عبد الوهـــاب والموسيقار رياض السنباطى وأسمهان ولورد كاش ومحمد صـــادق .

## المرأة فى حياتـــه

## "ملهمة قصـــــة الأمـــــــس"

كانت فى حياة أحمد فتحى قصة حب كبيـــر ... ألهمـه أجمل قصائد الحب وأرقهـــا فى سنواتـه العشـــر الأخيـــرة ...

كان حبا تحوطه الأشواك من كل جانب ، فقد أحب امرأة متزوجة وكان حبـــا عنيفـــا عاصفا دام بين مد وجزر لعشر سنوات كاملة صار بين عرض الحائـــط بكل العقبات والأشواك التى تعترض حبهمـا العنيـــف .

يقول أحمد فتحى فى بعض اعترافاته عن هذه التجربـــة :

" فى هذه التجربة أحسست للحب طعما ومذاقـــا جديديـــن ...

" شعـــرت أننـى أحيا حياتـى من جديـــد ...

" كانت تبحث عن الحب مثلما كنت أبحث عنه والتقينا عند هدف واحد ...

" وتعانقت روحانا وشعرت يومها أننى كنت تائها بشراعى وسـط محيـــط متلاطم وكانت هى المنار الذى أنقذنـــى ...

" كانت علاقتنا تحوط بها الأسـلاك الشائكة والألسنة الهامسـة ...

" تحايلنا على الظروف ... كنا نلتقى وسافرنا الى أراض بعيدة ، ثم عدنـــا مرة أخرى الـى القاهـــرة ...

" ألهمتنى شفتاهـا أجمـل قصائـــدى ...

"وعلى صدرها ارتاحت أروع خواطرى : وكانت كلها باسمـــة " .

وعاش شاعرنا هذه التجربـــة عشر سنوات كاملـــة ...

وأخيرا تغلب منطق العقـل على صوت القلب والعاطفـة فطلبت منـه محبوبتـــه الافتراق ، وقالـــت لـــه :

- سأظل أذكرك دائمـــا ... ومن الجائز أن يكون الحرمان بالنسبة لك منجمـــا تستهلم منه أعظـــم أعمالك الأدبيـــة ...

وافترقا وملء قلبيهما اللوعة والأســـى .

واعتكف شاعرنا عن النـــاس ، يعايـــش وحدته القاتلـة وليس له من صديـــق سوى الكأس والمصباح والذكريـــات ...

ألهمته قصيدته الوجدانيـة الرائعة " قصة الأمس " التى تنبض بالحـــرارة والصـــدق وخرقـة الوجد والتى استلهمهـا من وحى هذه التجربة التى صهرتـــه بالعذاب والتى يقول فيهـــا :

أنا لن أعـــود اليـــك مهمـــا
استرحمـــت دقات قلبـــى
أنت الـــذى بـــدأ الملالـــة
والصـــدود وخـــان حبـــى
فاذا دعـــوت اليـــوم قلبـــى
للتصافـــى لـــن يلبـــى

xxxxxxxxx

كنـــت لى أيـــام كان الحب لـــى
أمـــل الدنيـــا ودنيـــا أملـــى
حيـــن غنيتـــك لحن الغـــزل
بيـــن أفـــراح الغـــرام الأول

xxxxxxxxx

وكنـــت عينـــى وعلـــى نورهـــا
لاحـــت أزاهيـــر الصبا والفتـــون
وكنـــت روحـــى هـــام فى سرهـــا
قلبـــى ولم تدرك مـــداه الظنـــون

ثم يبلـــغ ذروة تأثـــره وعتابـه لملهمتـــه الظلوم ، فيقـــول :

وعدتنى ألا يكـــون الهـــوى مابيننـــا
الا الرضـــا والصفـــــــاء
وقلـــت لى أن عـــذاب النـــــوى
بشـــرى توافينـــا بقـــرب اللقـــاء

xxxxxxxxx

ثـــم أخلفـــت وعـــــــودا
طـــاب فيهـــا خاطـــــــرى
هـــل توسمـــت جديـــــــدا
فـــى غـــرام نافـــــــر

ثم يطلـــق شاعرنا هذه الصرخـــة الحارة المتقـــدة من قلب حزين مكلـــوم على هذا الغـــرام الذاهب وهذا الحب الغـــارب :

فغرامـــــــــــــى راح
ياطـــول مرامـــى اليـــــه
وانشغالـــى فـــى ليالـــــى
السهـــد والوجـــد عليـــــه

ثـــم نخفـت النغمـــة فى عتـــاب هـــادئ حزيـــن :

وكنـــت روحـــى هام فى سرهـــا
قلبـــى ولـــم تدرك مـــداه الظنـــون

ثم يسهـــر شاعرنا واللوعـــة ملء جوانحـــه مع جراحـــه وشجونـــه لايجـــد لـــه أنيســـا الا المصباح والأقـــداح والذكريـــات :

يسهـــر المصباح والأقـــداح والذكرى معى
وعيون الليل يخبو نورهـــا فى أدمعـــى
بالذكـــراك التـــى
عاشـــت بهـا روحـــى على الوهم سنينا

ذهبت من خاطـــــــرى

الا صدى يعتادنى حينا فحينـــا

وتمر ليالـيه طويلة ممضة مفعمة بالجراح والأحزان تخايله أطياف الذكريات فتؤرقـــه فى معبده الصامـــت :

قصة الأمس أناجيها وأحلام غـــدى

وأمانى حسان رقصت فى معبـــدى

وجراح مشعلات نارها فى مرقـــدى

وسحابات خيال هائم كالأبـــــد

وعندما تغنت أم كلثـوم بهذه الأنشودة الرائعـــة بلحن رياض السنباطـــــى الدســم عكف أحمد فتحى فى غرفتـــه يستمع اليها ويبكى وحيدا يعانـــى مـــرارة التجربـة ويستنشـــق عبير الذكريـــــات ...

وظل أحمد فتحـــى " شاعر الجراح والمصباح والأقداح " يحمـــل لهذا الحـــب أجمـــل الذكريـــــات وأعذبهـا حتى آخـر نسمـــة فى حياتـــه ....

كان عندى وليـــس بعـــدك عنـــى

نعمـــة من تصوراتـــى ووجـــــدى

ياترى ماتقول روحـــك بعـــــدى

فى ابتعادى وكبريائـــى وزهـــدى

ثم تبلغ ذورة يأســه فيرجو لمحبوبه أن يعيـــش كما يهوى أما هو فســـوف يعتكـف وحيـــدا لارفيـــق لـــه سوى الجـــراح والمصباح والأقـــداح ولياليـــى السهـد والوجد والشجـــن .

عش كما تهـــوى قريبا أو بعيـــدا

حسـب أيامـى جراحا ونواحا ووعودا

ولياليـى ضياعـــا ، وجحـــــودا

وعنـــاء يترك القلـــب وحيـــــدا

ثم يسهـــر شاعرنا واللوعـــة مـــلء جوانحـــه مع جراحـــه وشجونـــــه
لايجـــد أنيســـا له الا المصبـــاح والأقـــداح والذكريـــات .

يسهـــر المصباح والاقداح والذكرى معى
وعيون الليل يخبو نورها فى أدمعـــى
يـالذكراك التـى عاشـت بهـــــا
روحـــى علـى الوهـــم سنينـــــا
ذهـــبت من خاطـــــــــــرى
الا صـــدى يعتادنـــى حينا فحينـــا

## " مأساة شاعر الكرنـــك "

كان أحمد فتحى قد عانى منذ صباه ، آلم الحرمان من حنان أبويه اللذيـــن رحلا عنه فى صدر صباه الباكـــر ، ثم لم يلبث أن تقلب فى أتون من عذابـــات القلق والحيـــرة والاكتئـــاب .

وطافت بـــه مطالب العيش بين مختلـف الأصقـاع فى غرب أو شرق . وكان حظـه من متاع الحيـــاة أقل من القليـــل .

ولولا نوازع انسانية فى قلوب بعض من أحاطوا بـــه لساء حاله عما كان عليه ، فماذا تنتظر من هذا الشاعر الذى لقـى من دهره كل هذا العناء من ضن النصيـــب وقســوة الحرمـــان ؟

عاش أحمد فتحى حياة قلقـــة مضطربـة ، كما لو كان قاربا فى محيـــط ، ضاع منه المجداف ، وانفصلت عنه دفتـــه ، وتمزق من فوقه الشـــراع ...

وكان هو يطلب العلم فى انجلترا ( ١٩٣٠ - ١٩٣٣ ) على نفس القـدر مـــن القلق والحيرة وهو فى الأقصـــر ( ١٩٣٨ ) فلقد نشـأ قلقا منذ طفولته ولازمـــه قلقه الذى كان يســـرى مع دقاتـــه حتى آخر يوم فى حياتـــه .

والقلق نعمة فى صورة نقمـــة للشاعر الملهم . انه من ذخائره مـــن حيـث لايـــدرى ... وهو من هواتفه من حيث ينحنى عليه باللائمـة وهو من قبل ومن بعـد ، نار ونور ، يتلظى منها ساعـة ، ثم لايلبث أن تعكس حرقها نورا على ماينظمـــه من قصيـــد أو نشيد أو أغنيـــة . انه القائـــل :

نوحـى علـى قلق الغصـــون ورجعـــــى
ياطير آهـات الفؤاد الموجـــــــع
واستودعـى الألحان من حـــرق الجـــوى
وشجونـه ماشئت أن تستودعـــــــــى

xxxxxxxxx

والنفس اذا استبد بها القلق والحيرة ، نفس من عنائها بالغناء تنظمه في شعر يفيض بالموسيقا العذبة الشجية .

والطير والغريب والمحروم والعاني ، سواء في رقة مايتغنون به . وكأنما تشاء قدرة الله وارادته أن تعوضهم عما يعانون ، فتغدق عليهم من الملكات أروعها وهو الغناء والموسيقا .

وكان شعر أحمد فتحي في جملته يغني ، وترى ألفاظه وهي تصدح كأنها الوتر الحزين أو الكنار الشجي الباكي .

أنظره في هذه الموسيقا الشعرية :

قالوا يراعك قد تنكب في القوافي قلت أنه
ما فضله ان لم يخلد مجد صاحبه وفنه
بالقافيات الرائعات المحدثات فنونهنه

xxxxxxxx

كانت مأساة أحمد فتحي أنه لم يستطع أن يقيم توازنا بين أحلام قلبه وواقعه ... وكان دائما لديه احساس حاد بالاغتراب الروحي ، فعاش قلقا حزينا مشردا في الأرض ، لازوجة له ولاولد ، ولامال ولاصديق وفي ، لاترى حوله ان شقي أو مرض أحد من ذويه ولاصاحب الا الكأس ، يرشفها في نشوة ، وتصرعه في قسوة .

ويلقي شاعرنا الأضواء على سر انغماسه في اللذة فيعلل سر أبيقوريته المنتشية المرحة ، فيقول : (١)

" ان تنشئتي الموحشة قد ملأت قلبي ظمأ الى أنس المجتمع ، ومباهجه السافرة . " كانت أيام شبابي الأولى ضروبا من الوحدة والضعف والألم ، وليس معنى هذا أنني كنت أحيا بمعزل عن سائر خلق الله ، كما تحيا الشجرة

---

(١) أحمد فتحي / الله والشيطان / ١٩٣٩م / ص : ٨ .

النابتة فى جوف الصحـــراء ، ولامعنى ذلك أننى نشأت مهيض الجناح معقل البـــدن ، ولاأننى كنت أعيش فى بوتقة تنصهر فيها الدموع .... كـــلا ... ولكننى كنـــت فى محيط أشعر فى أعماقى أنه لايمنحنى من الحب بعض ما أمنحه ، وأرجو أن يمنحنى ، وكان هذا يشعرنـى دائما بأننـى ضعيف بمن حولـــى ، فما كان بوسعى اعتبارهـــم قوة أصمد بها فى وجـــه الأيـــام .

" وكان هذا الشعوريجعل حياتى معرضة لأحزان طائفة تغشى لحظات سعادتـــى على قلتهـــا " .

من هنا كانت مأساة شاعر الكرنـــك ...

هرب الى المرأة والكأس والسفر والحرب يحاول أن يجد فيها ملاذا من أحـــزان قلبـه وآلام روحـــه فتحطـــم ....

وكانت مأساة شاعر كبيـــر حســـاس .

وفى سنواته الست الأخيرة ( ١٩٥٤ - ١٩٦٠ ) بلغت مأساته ذروتهـــا ...

كان يذوب تدريجيـــــا ....

كان فى تلك الحقبـة يعانى من علة الكبد ،وكان ساخطا على الأدب والفـــن ، وقلة ذات اليـــد بالاضافة الى أنه بين كل هذه العواصف وحيد لازوجـة ولا ولـــــد ولا أهـــل .

وفى تلك الحقبـة كانت الصدمـة التى هزتـــه من أعماقـه هزا عنيفـــا ...

فقد قررت محبوبتـــه اللمسة الحانية فى حياتـه ولمحة الضوء فـى الأفـــق المظلـــم - قررت الافتراق عنه بعد حب دام ســـنوات ...

وأحس بالمرارة والضياع فلجأ الى الليل وأهمل نفســـه وصحتـه وهام بالعزلة وكلف بالوحدة وظفق يســـرف فى الشراب يدفن فيها أحزانه وانطوى علـى نفســـه بعيدا عن المجتمـــع فى وحدة قاسيـة ممضـة لارفيـــق له سوى المصباح والأقـــداح والذكريـــات :

يسهر المصباح والأقـــــــداح
والذكـــرى معـــــى
وعيـــون الليـــل يخبـــــو

نورهـــا فـــى أدمعـــــــى

ثم راح يذوب تدريجيـــــا ...

واشتدت عليه العلة ودخل المستشفى الايطالى بالقاهرة وبعد أن خـــرج من المستشفى فى شهر أكتوبـــر عام ١٩٥٩م خـــرج ومعه ذكرى لملاك أبيـــض رآه ... راهبـــة فى ثيابها البيضـــاء زاهـــدة الا من انسانية لاتمن بها وانما تحـــاول أن تعطيهـــا وهى تحنو عليـــه مع جمال روح ورضـــاء نفس وابتسامـــة نقـــاء...

وكان أحمد فتحى يعيش فى تلك الحقبة من حياته فى جو من الروحانية والصفاء فكتب وهو على فراش المرض قصيدة بعنوان " أراهبة أم مـــلاك " يقول فيها : (١)

أجل والمسيح الحى والجو الفانـــــى
لقد عاش فى قلبـــى ، مع الحب ، طيفـــان
رجاء وشيـــك البرء ، ترقص روحـــــه
بخفة مفتون ، ونشـــوة فتـــــــان
ويأس قرير العيـــن مايرنو خيالـــــه
الى جنة الفردوس ، فى العالم الثانـــى
فلا تجزعى ، ياأخت ، أنـــك خاطـــــر
يطل على حانـــى ، ليسمع ألحانـــــى
وما ألحان الا معبـــدى ، وبقدســـــه
أقيـــم صلاواتـــى ، وأخلو بايمانـــــى
وهبـــت صباه للسماء ، فطهـــــرت
جمال ، فلم يدنس ، بقـــــاس ، ولادان
وزهدك فى دنيا الـــورى ، ومتاعهـــا
تبلـــور نفســـى ترتفى كل حرمـــــان
ويا أخت : هذا الزهد آية نعمـــــة

---

(١) الأهـــرام / ٢٨ أكتوبـــر ١٩٥٩م.

من الله ، توحى باحتساب ، وغفران
فداوى سقام الناس ، وابتسمى لهم
بلطف سماح ، أو بشاشة احسان
فان الثواب الحق ، ليس ينالـه
سوى قلب واف مالا يضن بقربان

وعندما أقبل العام الجديد ... عام ١٩٦٠م كتب قصيدة يكاد يرثى فيها نفسه .... والغريب أنه توفى فى هذا العام بالذات ... يقول فى هذه القصيدة : (١)

قال لى ، والليل يسرى بيننا
نغم يسرى ، سؤالا ، وجوابا
ماترى الأيام ، فى آثارنا
مسرعات الخطو ، تنساب انسيابا ؟
مالنا ننكر من موكبها
انه يدهم شيبا ، وشبابا
قلت والفجر جبين مشرق
وجناح الليل فى الأنوار ذابا
هكذا الدنيا ، وفى حالاتها
حيرة الفكر ، يقينا ، وارتيابا
ذهب العام الذى روعنا
منه ، ماروع ، سقما ، وعذابا
ماترانى طمست آثاره
فى خيالى لوعة ، الروح ، عقابا
لم أعد أرجو ، ولاأخشى ، ولا

---

(١) الأهرام / أول يناير ١٩٦٠م.

أحسب اليوم ، لأعوامي ، حسابا

وعندما اشتدت عليه العلة بجانب أحزان روحه فى عامه الأخير ( عام ١٩٦٠ ) كتب قصيدة عن رحيل الشتاء تفصح عن روح حزين ونفسية شقية تكشف عن أبعاد المأساة لشاعر فى عنفوان رجولته ، يقول فيها : (١)

مال عنى الشتاء ، فى شفق العمر
ومالت بشمسه الأنواء
رعدة ، من برودة ، وذبول
من جفاف ، قد طال فيه العناء
وأعاصير ذكريات ، كما تعوى
ذئاب يخاف منها الفضاء
وسقام تدب فى جسد ذاو
عليل مايسعى اليه الغناء
قال لى صاحبى ، سلمت ، وهل
يسلم ، طيف ، أعضاؤه أشلاء؟
قلت : مالى وللربيع ،وروحى
غصن بان ، أوراقه صفراء
دع أزاهيره ، الغيرى ، وما أكثر
ماتنتشى بها الأهواء
ثم دعنى ، ووحدتى ، فلعلى
ترحم الأرض وحدتى والسماء
ليس عندى الا الصدى ، ولدى
الناس ، هتاف ، مجلجل ، وغناء
وبهم فرحتى اذا فرح القوم

---

(١) الأهرام / ١٤ مارس ١٩٦٠م .

سواء ان أحسنوا ، أو ، أساءوا

وفى صيف عام ١٩٥٩م زار شاعرنا ملاعب صباه بالاسكندرية وذهب الى شاطئ البحر يبثه همسات قلبه ونجوى روحه :

قلت لموج البحر ياموكبا
تراه عيني بين حين وحين
أمواجك الزرقاء تروى لنا
قصة حب عاش ملء السنين
هو الهوى الخالد يسعى به
الى ضفاف الشك همس اليقين
وهو - على قلة علمى به -
آية جبار الحظى مستكين
يوحى الى الزورق أحلامه
فيهجع الليل وراء السكون
ولى ، شراع ، سابح لونه
كلمحة الفجر يضيء العيون
يهمس للشاطئ في رقة
تذوب فيها عبرات الحنين
مابال هذا الرمل حباته
تسمع منا كل رجع السنين
نشكو اليها بادرات الأسى
فيما يكون اليوم أو لايكون
ونسكب السر على سمعها
وقد تصون السر أو لاتصون

ورغم أن شاعرنا حاول أن يدفن فى الكأس والشعر ذكريات غرامه الكبير لينسى الا أن طيف الحب كان يطارد خياله فى صحوه ومنامه ، فكتب

يعاتب محبوبته بعد الفراق يقول : (١)

أنا لست أعفو عنك ، أنك ظالم
والظلم لا أرضى ، ولا أخشاه
ان كان بى ضعف اليك ، فقد مضى
عهدى به ، وشقاشه ، ورضاه
أنت الذى أحرقت سفر غرامنا
بجماله ، وضلاله ، وهداه
ورسمت لى هذا الطريق ، فلم يعد
لى من طريق فى الحياة ، سواه
أمضى به وحدى فبعدك لم يكن
لى ، غير وحشته ، وطول ضناه
عثراته لاتنتهى ، وظلامه
لاينقضى ، وأقول : أين مداه ؟
مهما يطل بى السير فيه ، فاننى
مترقب لظلاله ، وصداه
ولك الثناء بما صنعت بمهجتى
فلقد كشفت عن الفؤاد ، عماه
وأعدت لى نفسى ، وكم من غاشب
قد ورد غربته اشتداد جواه

xxxxxxxxxx

ثم راح يذوب تدريجيا .. حتى تحطم كشاعر ثم كانسان .... وكما عاش وحيدا ... مات وحيدا فى الغرفة التى قضى بها أعوامه الأخيرة بفندق كارلتون بالقاهرة .

---

(١) الأهرام / ١٦ ابريل ١٩٦٠م .

وكانت العلة - علة الكبد من اثر الكأس - فقد اشتدت عليه في عامين الأخيرين ، وعاودته أكثر من نوبة حملته الى المستشفى أكثر من مرة ، حتى كانت ليلة الأحد ٣ يوليو عام ١٩٦٠م حين أوى الى غرفته بالفندق بعد منتصف الليل ، وعاودته النوبة ، فاستنجد بطبيب من أصدقائه ، وجاء الطبيب ، فوجده قد أسلم الروح واستراح ...

ووجدت بجانب فراشه صورة ابنته الوحيدة " عائشة " البعيدة في لندن كما وجدت قصيدة على مكتبه ... كانت هي القصيدة الأخيرة التي كتبها ولم يجف مدادها بعد قبل رحيله ... وكانت قصيدة حب .... وكما بدأت حياته بالحب انتهت به ، وحل الشاعر وهو يهمس لمحبوبته قلبه الهاجرة :

أحبك جهد الحب ، بل فوق جهده
وأطوي الى يوم اللقاء الليالي
أحب خيالي فيك ، أبيض ناعما
وأخضر ريان ، وأحمر قانيا

xxxxxxxxxxx

مكانك عندي ليس عندي سوى المنى
بذلت قصاراها على الوصل ، والهجر
... لك الدنيا ، فان عدت
لصبر

xxxxxxxxxxx

رمت بي الى دنيا هواك المقادر
فلا أنا معذور ، ولا أنا عاذر
على أنها الأيام دارت مدارها
فلا أنا منها ، ولا أنا آمر

xxxxxxxxxxx

وهكذا كان نصيبه من الدنيـــا ... الدنيا التى عاشها صفر اليديـــــن .. وخرج منها صفـر اليديـــن من كل شـــىء ... من المـال ، ومن الحب ، وحتـى مـــــن الذكـــــرى ...

ان الذين يذكرون أنشودتـــه " الكرنك " وقصيدة " قصة الأمس " الآن ، قـــــد لايذكرون اسمه .. أو يعرفون عنـــه شيئـــــا ...

لقد عاش أحمد فتحى لآخر لحظة من لحظات حياته - رغم أحزان قلبـه وآلام روحـه محبا للدنيـــا بكل مافيها وبلـغ توهجـه مداه فاحترق فانطفأ وبيت من الشعـــــر على شفتيـــــه ....

رحل شاعرنا فى الثالث من يوليو عام ١٩٦٠م وملء قلبه الحسرة والمـــــــرارة والأســـى ودفـــن بمقابـــر الامام الشافعـــى بالقاهـــــرة .

تلك كانت ملامح مأساة شاعر عاش للحب وظل يغنـى للحب حتى آخر نسمة فـــــــى حياتـــه الخصبـــة العريضـــة ...

لقد كان شاعر الكرنك ، أحمد فتحـــى من أرق شعرائنا الرومانسيين ، عـــــاش كالطائـــر الجريح : قلقا ، حزينا ، حائرا ، لايجد للاستقرار سبيلا أو للراحـــــة معنـــــى ...

ومن هنا كانت مأساته ...

وقد قدمنا فى الصفحـــات السابقـــة قصتـــه مع الليل والمرأة والسفر والاغتراب الروحـــــــى .

## " شاعر الرقة العاطفيـــة "

كتب عباس محمود العقاد فى مقدمة كتاب صالح جودت " ناجى ، حياته وشعره " يصف أسلوب ابراهيم ناجى بأنه ينتمى الى مدرسة الرقة العاطفية وقال أن مدرسة الرقة العاطفية كانت غالبة على بعض أصحاب الأقلام الناظمين والناثرين من أدباء تلك الفترة فى الثلاثينـــات ....

وهذه الصفـــة يشترك فيها كل الشعراء الرومانسيين الغزليين وجلهم ظهـــرت بواكير شاعريته على صفحات مجلة " أبوللـــو " فى الثلاثينات وبهذا تندرج هـــذه الصفـــة على شعر ناجى وصالح جودت وعلى محمود طـــه وكامل الشناوى .

وبهذا المقياس نقول أن أحمد فتحى كان شاعر الرقة العاطفية sentimentalism وخير مصداق على هذا قصائده الرقيقة الهامسة التى تذوب رقة وعذوبـــة وموسيقية يقول فى قصيدته " فجـــر " التى يغنيهـــا رياض السنباطـــى : (١)

كل شىء راقـــص البهجة حولـــى هاهنـــا
أيهـــا الساقـــى بما شئت اسقنا ثم اسقنا
واملأ الدنيا غناء ، وبهاء ، وسنـــا
نسيتنـــا ، لم لاننسى أفاريد المنـــى
علمنا أن تعرف النـــوم هنـــا أعيننـــا

وأبدع شاعرنا فـــى الأسلوب الشعـــرى poetic style فى قصائـــده فى نفس القصيدة نجد تلك التعابير الموحيـــة القويـــة مثل " هتافات الربـــى " و " جبيـــن الغـــد " وغيرهمـــا ، يقـــول :

ذهـــب الأمـــس بما راع ، ويومـــى ذهبـــا
يسرع الليل فرارا ، من هتافات الربـــى

---

(١) أحمد فتحـــى / قال الشاعـــر / ص : ٢٧ / القاهرة / ١٩٤٩م .

وجبين الغد يلقى ، عن سماه الحجبا
باعثا فى جانب الأفق بشيرا محسنا
تسبق الفرحة خطاه ، قبلما يبدو لنا

كما نجد الرمز الشعرى poetic symbol : فى القصيدة حين يهيب بالساقى أن يبعد الكأس عن فمه لأنه يريد أن يفيق من أوهام الخيال وشطحاته :

رد كأسى عن فمى يأيها الساقى ودعنى
كل ما مر بنا وهم خيال وتمنى
حسبنا وهما ، وحلما ، وخيالا ، حسبنا
أقبل الصبح ، فهل تدرى بماذا جاءنا ؟

وفى أسلوب أحمد فتحى نرى الاشراق والتوقد والعذوبة والرقة ، وكلها تندرج تحت صفة " الرقة العاطفية " وكل ذلك فى حسن نسق وجمال ايقاع وموسيقا هامسة رقيقة فى شعره موسيقا معبرة رقيقة تطبع شعره كله بجرس هامس وايقاع رقيق هادىء .

يقول فى قصيدته الوجدانية " ظنون " (١)

ألقاك مفتون الخيال معذبا
مابين شك حائر ويقين
أشكو اليك من الظنون وربما
سبقت اليك هواجسى ، تشكونى
وأرى السنى والطهر فيك فتنطوى
عنى خيالاتى ووهم ظنونى

---

(١) قال الشاعر / ص : ١٠٥ .

وفى قصيدته الغزلية الرقيقة " أنت " التى يتغنى فيها بسحر محبوبته واشراقها نجد رقة اللفظ وجمال الصياغة وطرافة المعنى فى أسلوب موسيقى هامس رقيق يقول : (١)

سالتنى عنك أشواقى وأحلام سهادى
وأمانى التى تصحبنى فى كل واد
وخيالاتى ، وما أكثر ماتغشى فؤادى

xxxxxxxx

أنت فى عينى ضياء لاترى عينى سواه
كلما أشرق حيانى شعاع من سناه
تبعث الفرحة والنشوة فى روحى خطاه

xxxxxxxx

أنت فى سمعى نشيد قداسى النغم
كلما طاف بآفاقى توارى ألمى
وتناسيت نواحى ، وجراحى ، ودمى

xxxxxxxxx

أنت فى قلبى معنى سره الباقى مصون
يملأ الدنيا ولاتدرك مرماه العيون
لو يقولون عرفناه ، فوهم ، وظنون

xxxxxxxxx

أنت فى عينى،وفى سمعى ،وفى قلبى،مقيم
أبدا أشدو بذكراك وأصبو وأهيم
هى فى بعدك أحانى ، وكأسى ، والنديم

---

(١) قال الشاعر / ص : ١٣٥ .

اننا نجد هنا المعنى العميق والموسيقا الهامسة والرقة العاطفية واللفظة الحية .

والرقة عند شاعرنا طبع أصيل عنده وقد ابتكر تعبيرات جميلة وأضاف الى قاموس الوجدان تعبيرات قوية ومعانى عميقة رائعة ، يقول فى قصيدته " اليها " : (١)

كيف أنساك ، وقد طاف الهوى أمس علينا
فشربنا صفوة حتى روينا وانتشينا
ونسجنا حولنا الأحلام من وشى يدينا

كما وفق فى استخدام الصورة الحية Living image فى شعره .

يقول فى نفس القصيدة :

كيف لا أسترحم الطيف اذا مر وحيا
وأناجيه بحبى ، وأناديه اليا
علّه يرحم ، أو يعطف ، أو يحنو، عليا

ولأحمد فتحى قدرة بارعة فى التصوير بالضوء والظل والصوت فهو من الشعراء التصويريين المبدعين الذين يجيدون اضفاء الظلال فى شعرهم مما يكسبه قوة وعمقا ومدقا وجمالا .

ان الصورة الشعرية عنده دقيقة ومعبرة ونابضة بالحرارة والصدق الفنى .

فى قصيدته التصويرية الوصفية " الكرنك " يبلغ أقصى غايات التصوير بالضوء والظل ، فهو فى أبيات القصيدة الأولى يرسم لوحة جميلة يبزغ فيها الشعاع الجميل الساحر : (٢)

---

(١) قال الشاعر / ص : ١٣٩ .

(٢) قال الشاعر / ١٩٤٩م / ص : ١٢٣ .

طاف بالدنيا شعاع من خيالـــــــى
حائر يسأل عن سيـــر الليالـــــى
يالـه من سرهـــا الباقـى وبالـــــى
لوعـة الشـادى ووهـــم الشاعـــــر

xxxxxxx

كيف لايدرى الى أين الشعـــــــــاع
وأماسيه لقـــــــــاء ووداع
وخطاه فى السبيليـــن متـــــــاع
راحـة المضنـى وهـــدى الحائـــــر

كما يتردد " الصـــوت " فى شعره ، فهو يصور منظـر الدنيـا حين صحت علـــى ضوء الصبح " الرطـــب " وكيف أصغى المعبد للحن القريـــب :

صحت الدنيا على صبح رطيبـــــــــب
وصفـــى المعبد للحن القريـــــــب
مرهنـا ينسـاب من نبع الغيـــــوب
ويغـاديـــه بفـــن الساحـــــــر

ويبلغ ذروة تصويـــره بالضوء والظل والصوت فى هذا المقطع الرائـع :

حين ألقى الليل للنور وشاحـــــه
وشكـــا الظل الى الرمـــل جراحـــه
ياترى هل سمع الفجـــر نواحـــــه
بين أنـــداء النسيم العاطـــــــر

بعد هذا التصوير الشاعرى بالضوء والظل : بالأبيض والأسود لليل والفجـــر وبعد تصوير صوت النواح .... يصور شاعرنا بريشته باللون الأحمر جراح الطائـــر لكنه يخفى جوا من البهجـة ويرســم لوحة شاعرية يسودهـا الضـوء المتألـق

والأنوار المبهجة ، فرغم جراح الطائر ( وهو هنا الشاعر ) ، فهو يرسل النغم طوا رقيقا ناعما وكأنى به صوت الشاعر نفسه الذى تصدر قيثاره أعذب الأنغام وأرق الألحان رغم جراح روحه وآلام نفسه :

ذلك الطائر مخضوب الجناح
يسعد الليل بآيات الصباح
ويغنى فى غدو ورواح
بين أفنان وورد ناضر

وبعد ، فأسلوب أحمد فتحى فى مجموعه صورة من نفسه الملهمة وطبعه الرقيق ، وان ملامحه الروحية والنفسية والوجدانية ممثلة فى شعره أصدق تمثيل وأعمقه ولذا جاء شعره انعكاسا صادقا لانفعالاته وأحاسيسه ويصدق عليه قول " بافون " ان الأسلوب هو الرجل نفسه .

هذا هو غاية الفن الأدبى الأصيل الصادق الخالد على مر العصور والأجيال .

# مختارات

# من شعر أحمد فتحى

## قصة الأمس

أنا لن أعود اليك مهما
استرحمت دقات قلبي
أنت الذى بدأ الملالة
والصدود وخان حبي
فاذا دعوت اليوم قلبي
للصفاء فلن يلبي

xxxxxxxxxxx

كنت لي أيام كان الحب لي
أمل الدنيا ودنيا أملي
حين غنيتك لحن الغزل
بين أفراح الغرام الأول

xxxxxxxxxxx

وكنت عيني وعلى نورها
لاحت أزاهير الصبا والفتون
وكنت روحي هام في سرها
قلبي ، ولم تدرك مداه الظنون

xxxxxxxxxxx

وعدتني ألا يكون الهوى مابيننا
الا الرضا والصفاء
وقلت لي ان عذاب النوى
بشرى توافينا بقرب اللقاء
xxxxxxxxxxx

---

* الأهرام / مارس ١٩٥٨م.

ثـــم أخلفـــت وعـــــــــودا
طـــاب فيهـــــا خاطـــــــرى
هـــل توسمـــت جديـــــــــدا
فـــى غـــرام نـافـــــــــر

xxxxxxxx

فغرامـــــــــــــــى راح
ياطـــول غرامـــــــى اليـــــه
وانشغالـــــى فـــــى ليالـــــــى
السهـــد والوجـــد عليـــــــه

xxxxxxxxx

كان عندى وليـــس بعدك عنـــــى
نعمـــة من تصوراتـــى ووجـــدى
ياتـــرى ماتقـــول روحك بعـــــدى
فى ابتعادى وكبريائى وزهـــــدى

xxxxxxxxx

عـــش كما تهـــوى قريبـــا أو بعيدا
حسـب أيامى جراحا ونواحا ووعـودا
وليالى ضياعـــا ، وجحـــــــودا
وعنـــاء يترك القلب وحيـــــدا

xxxxxxxxx

يسهر المصباح والأقداح والذكرى معى
وعيون الليل يخبو نورها فى أدمعـى
بالذكراك التى عاشـت بهـــــا
روحـــى علـى الوهـــم سنينـــــا
ذهبت من خاطـــــــــرى الا

صدى يعتادنـي حينـا فحينـــــا

xxxxxxxxx

قصـة الأمس أناجيها وأحلام غـــدى
وأمانـي حسان رقصـت في معبـــدى
وجـراح مشعلات نارها في مرقـــدى
وسحابات خيـال هائـم كالأبـــد

## النيل ... مجد الزمـــن

ثمـــــل الزهر ... هل سقيت الزهرحتى ثملا
كمل البدر ... هل رعيت البدر حتى كمـــلا ؟
وبـــدا فى نوره للأعيـــــــــــن
موكب الدنيـــــا ومجـــد الزمـــــن

xxxxxx

أيها النيـــــل تنـــــــــــى
بيـــن أحفـــان الليالـــــــــى
طـــرب المـــوج فغنـــــــــى
بأهازيـــج الرمـــــــــــال
وطوى الغـــم جنـــاح الأفـــــــق
وأقام الدوح عـــــرس المشـــــرق
فترســـل وتدفـــــــــــق
وأرو أحـــلام العصـــــــور
وتمهـــــل وترفـــــــــق
بنفاثـــــات الصـــــــدور
أيها السحر الذى طـاف بنـــــــا
راعنـــا بين الـــــروى ماراعنـــا
نغم رنح أعطاف الغصـــون بالجـــراح
عندما فاضت شكايات السنين للنـــــواح
أيها الليـــل ترقرق وتهـــــــادى
هتـــف الشـــادى فى الغيـــب ونـــادى
وسمعنا ... همســـات الزمن المنحـــدر
ورجعنا ... لليالى فى ضفاف النهـــر
فسقانـــا عبرة الأيـــــام ســـــاق
يكســـب الراح على شجـــو الرفـــــاق

xxxxxx

هل شربنـــــــــــا ...
ذكريات الأمـــــــــان؟
أم شربنـــــــــــا ...
حين دارت كأسها الأحـــــــزان؟

# الهمشـــرى

## شاعر الأعراف

(١٩٠٨-١٩٣٨)

لقد كنـــت فى الدنيـــا جمالا لايزينها
بما شاده شعـــرى على هذه الدنيـــا
خلقـــت لروحى سحرهـا ، لا لغيرهـــا
ومن أجلهـا أقضى ، ومن أجلها أحيـــا
اذا ذبل النارنـــج عـــاش عبيـــره
وكان لـــه فى الوهـــم من نفحه محيـــا
ويخلـــد بعد البدر فى الفكر رونـــق
يغـذى خيـــال الشعر والحب والوحيـــا

---

( الهمشـــرى )

## " شاعر من المنصـــورة "

(*) هاجر أحمد الهمشـــرى منذ مائة عام تقريبا من ألمانيا الى مصـــــر .... وتزوج وأنجب فيمن رزق من ولد ، بعثمان الهمشـــرى والد شاعرنـــــــا ....

تعلم عثمان الهندســة ، وأقام " وابور طحين " على مقربة من الأرض التـــى تركها له أبوه فى السنبلاوين ، وتزوج زيجة لكنه لم يرزق منها بولد فتـــــزوج من مصريـــة ، من المنصورة ، هى السيدة " عائشة محمد وهبـــه " شقيقة الكاتـــب الصحفى اللامع محمد التابعـــى .

ورزق منهـــا خمســة أولاد وبنتـــا هم على التوالـــى : محمد ، ويوســـــف ، وزينـــب ، وأحمـــد ، وسعـــد ، ومحمـــــود .

xxxxxxxxx

كان ذلـــك فى يوليـــــة عام ١٩٠٨م ....

حين خرج محمد عبد المعطى الهمشـــرى الى النور على شاطىء رأس البـــــر ، اذ كانت الأســـرة تصطاف هنـــــاك كما اعتادت كل صيـــف ...

وقد سمى عثمان الهمشـــرى أبناءه بأسماء ثنائية فسمى شاعرنا " محمـــــد عبد المعطـــــى " ...

وشب شاعرنا وترعرع بين ربوع السنبلاوين الخضراء ومنذ صغره شد انتباهـــه الكلمة المكتوبـــة ، ومنذ صغره حفظ القرآن الكريم فى كتاب القرية وجـــــدده وفى المرحلة الابتدائيـــة زادت قراءاته الشعرية وأعجبه شعر البحترى والمتنبـــى والشريف الرضى ثم استوقفه طويـــلا شعر أحمد شوقـــى وشد انتباهه لقوة معانيـــه وحلاوة جرســـــه .

ثم أنجز دراسته الابتدائية بالسنبلاوين ، فالتحق بمدرسة المنصورة الثانوية وهنا ظهرت مخايل عبقريته وموهبته الأصيلـــة فى نظم الشعـــــر .

xxxxxxxx

---

(*) كان ذلك عام ١٩٧٥م حين أنجزت هذا الكتـــاب .

وفى المنصورة كانت هناك ارهاصات لشعراء أربعة أصبحوا فيما بعد من أبرز فرسان شعرنا العربى المعاصر ...

فى الفترة مابين أعوام ( ١٩٢٧ - ١٩٣١ ) شهدت مغانى المنصورة وربوعها مولد هؤلاء الشعراء الرومانسيين .....

كان بالمنصورة فى تلك الحقبة الشاعر الدكتور ابراهيم ناجى وكان يعمل موظفا بمستشفى السكك الحديدية بالمنصورة والشاعر المهندس على محمود طه وكان يعمل مهندسا بهندسة مبانى المنصورة ثم صالح جودت والهمشرى طالبان بمدرسة المنصورة الثانوية .

والتقى جمعهم على شاطىء المنصورة ، فكانوا يجلسون فى نهاية كل يوم على شاطىء النيل ، يقضون أجمل ليالى العمر فى حديث دلأدب والشعر والجمال .

وكانت لهم صخرة يجلسون عليها وهى مكان نأء عن المنصورة بين النيل والصحراء فأطلقوا عليها " صخرة الملتقى " واستوحوا منها أجمل الأشعار وأعذبها .....

ومن المنصورة بدأوا يراسلون المجلات الأدبية بالقاهرة فتنشر لهم انتاجهم الشعرى

وشهدت المنصورة تألق عبقرية هؤلاء الشعراء الأربعة الكبار .... ثم مالبث أن انفض الجمع ....

وفى عام واحد هو عام ١٩٣١م زحف الأربعة نحو القاهرة ناجى الى وظيفته بالقسم الطبى بمصلحة السكك الحديدية ، وعلى محمود طه الى وظيفته كمهندس بوزارة الأشغال ، والهمشرى الى كلية الآداب ، وصالح جودت الى كلية التجارة ولكن الهمشرى كان يؤمن بتفرغ الشاعر لانتاجه الفنى فحسب فلم ترقه الدراسة بكلية الآداب فأهملها ولم يعمر بها سوى عامين وقطع دراسته ليتفرغ لرسالة الشعر والأدب .

## " مع جماعة أبوللـــو "

عندما قامت جماعة " أبوللو " عام ١٩٣٢م اتصل بها شاعرنـــا وأصبح مـــن كبار شعراء الجماعة رغم حداثـــة سنه اذ لم يكن فى تلك الحقبة قد تجـــاوز الرابعة والعشرين من عمـــره .

وشهدت صفحات أبوللو شعره الجديـــد الذى استحدث فيـــه معانى جديـــدة وأساليب وصورا حيـــة نتيجة لقراءاته الواسعة لآثـــار شعراء الرومانسيـــة الانجليـــز :وردزورث ، وشيللى ، وكيتس ، وبيرون ، وبليـــك .

وشد انتباه الأدباء والنقـــاد أنه استحدث صورا حية نابضـــة بالحـــرارة وتشبيهـــات رائعـــة غريبـــة مثل السكون المشمـــس وهيكل الأحـــزان وغيرها مـــن غرائب التعبيرات والصور الرمزيـــة الموحيـــة العميقـــة الدلالـــة .

## " مرحلة الوجدان الذاتـــى "

ونستطيـــع أن نسمى هذه المرحلـــة " مرحلة الوجدان الذاتى " وهى تمتـــد من عام ( ١٩٣٣ - ١٩٣٤ ) وانتج فيهـا الكثيـــر من انتاجه الفنـــى .

ومن مطالع انتاجه فى مجلـة أبوللو قصيدتـــه " عاصفـة فى سكون الليـــل يقول فيهـــــا : (١)

أشرقى كالصبـح غراء الجبيـــــن
وانشرى نورك يهـــدى العالميـــن
واطلعـى فى ليل حزنى كوكبـــــا
تعصمينـى من ضـلال العاشقيـــن
واطرحـى فى قفـر عمرى زهـــــرة
علها تنمو وتزكو بعـــد حيـــن
وابسمـى تبســم لنا بيفى المنـــى
واحنكى تضحك لنا غر السنيـــن
هاهـــو الليـل كما كـــان بـــدا
يحمل الحزن لقلبـى والحنيـــن
"هيكل الأحزان " فى مذبحـــــه (٢)
قرب العشاق قربان العيـــون (٣)
اننـى عاطفـة قـــد غالهـــــا
منـك فكـــر طيـــه الموت دفيـــن
حاولـت تعرف أسرار الأســـــى

---

(١) أبوللو / يناير ١٩٣٣م / ص : ٥٥٤ .

(٢) هيكل الأحزان : الليـــــل .

(٣) عربان الجيون : الدمـــوع والنـــوم .

منك يا ليل وأسرار الأنين
فاستحالت جدولا تعبره
فزعات الموت ليلا في سفين
هذه أغنيتي رتلتها
لك يا دنياي في دير السكون(١)
لحنها أنت ، وحزني وقعها
ونذير الموت بعض السامعين
لاتلومي مابها من حزن
انما الأحزان موسيقا الحزين
أعذب الألحان لحن أغرقت
فيه أنات الأسى طي الحنين
عانقيني في الدجى ... اقتربي
انني أفزع مما تفزعين
قربي خدك .... ضميني الى
صدرك الحاني ... الثمي هذا الجبين
عانقيني فيك أغنى مثلما
غنيت في الله روح الناسكين
انما نحن كركب ظل في
تيه صحراء يقوم تائهين

---

(١) دير السكون هو الليل .

## " ملحمة الأعـــراف "

ثم لم يلبث أن نشر ملحمته الرائعة " شاطىء الأعراف " التى تعد من معالم التجديد فى شعرنا المعاصر وقد بدأ يكتب هذه الملحمة وهو بالمنصورة وأتمها فى القاهرة ونشرها فى أبوللو كاملة فى فبراير عام ١٩٣٣م أى وهو لم يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره .

وقد كتب لها مقدمة قيمة شرح فيها فكرتها وكشف عن العوامل والمؤثرات فى خلق فكرتها وانجازها ، فقال : (١)

" هى ذكريات حزينة ، تحاول أن تحجبها أكفان سنوات أربع ، فتهتكها أشباح سوداء لاتزال تتراءى أمام عينى .

كنت آنئذ فى المنصورة ، وقد مرت علىّ فيها سنوات ثلاث تغيرت فى أثنائها نفسى ومالت الى صورة باهتة من الأمل المكتئب اليائس .

" ولست أدرى أكان جو المنصورة هو الباعث على ذلك ، وهل كان فى أمسيات شتائها الحزين المقبض مابعث فى نفس هذا الشعور الحزين المتشائم نحو الحياة ، أما كان ذلك على اثر خلجة ... أستغفر الله ... بل خلجات كثيرة خفق لها قلبى فى أدوار حداثة مرت بين التاسعة والخامسة عشرة ، التى انتهت الى الثامنة عشرة من عمرى .

" هى خلجات أنهكت قوى هذا القلب ، وأحالت شعاع الأمل الربيعى الضاحك الى خطفات باهتة من شفق شتاء ، ومازالت تخفق على ضعفها فى محراب قلبى " .

" ثم تركت القاهرة الى " نوسا البحر " وهى قرية تتكىء على النيل ، ويخيم عليها جو المنصورة أكثر مايكون وحشة وانقباضا .

---

(١) أبوللو / فبراير ١٩٣٣م / ص : ٦٢٧ .

" مكثت بهذه القرية خمسة أيام ، كنت أختلف فى أمسياتها الى مكان هادىء يشرف على النيل فى مشهد رائع ، طالعته على مبعدة أشجار باسقة من الصفصاف واللبخ والجميز وهائش الغاب ، فكانت تكسبه روعة فى الليل ضافية ، وكأنها بعض عباد البراهمة فنيت نفوسهم فى زهول العبادة ، وهم ينصتون بألف أذن الى مزامير الآلهة .

" ثم كانت بعد ذلك كله نواة قصيدة " شاطىء الأعراف " فالنيل لم يكن غير نهر الحياة والموت فى هذه الأعراف ، والظلمة المروعة التى كانت تألف نفسى اليها ، هى رهبة الأبدية فى هذه الأعراف أيضا " .

ثم يهدى فى النهاية ملحمة الأعراف الى الروح العالية التى يتغنى بها والتى ألهمته هذه الملحمة وهى حبه الكبير " جتا " فى السنبلاوين التى كتب عنها قصيدة أخرى يقول :

" لقد انتهت قصيدة " شاطىء الأعراف " ، ولكن هذه الروح العلوية التى غمرت سماء حياتى بنور جمالها الباهت الحزين وهى تصاحبنى فى شاطىء الأعراف ماتنفك تصاحبنى بعد شاطىء الأعراف فالى هذه الروح التى أرهفت أذنى لسماع أصداء مواكب الآباد ، الى هذه الروح التى تتغنى بها كل مشاعرى كما يتغنى الجدول بكل أمواجه ، الى هذه الروح العالية واليها وحدها ، أهدى هذه القصيدة " .

xxxxxxxxx

فى هذه الملحمة تتجلى رومانسية Romantic الهمشرى المجنحة التى تلوذ بالطبيعة فرارا من عذابات الحياة وهجيرها المؤلم ، فهو هنا يصور " عالم خيالى " يمتلىء بصور الموت والآخرة فى رحلة خيالية للشاعر بعد أن شرب كأس الفناء ، وحملته "سفينة الذكريات" الى شاطىء الأعراف ، وهو شاطىء خيالى تستقر عنده الألحان بعد شتات ، وتلوذ به الأرواح بعد طواف ، ساكن سكونا أبديا ليس فيه شىء جميل سوى الثلوج البيضاء فوق الصخور . (١)

---

(١) أبوللو / فبراير ١٩٣٣م .

فى انتحاء عن العوالم قاص
حيث يرقى السكون مرقى الفضاء
وطيور الفضاء تنعب فى الموت
نعيبا يزيد هول الفناء
غير أن السكون ينهشه نهشا
ويمشى الحفى على الفوفاء
سر مدى البقاء يحكم فى الموت
ويبقى على بقاء البقاء

xxxxxxxxx

يستريح الزمان والموت فيه
بعد طول التطواف والجولان
وكأن الزمان خامره الخوف
فأضحى مع الردى فى احتفان
وتلاشى به رويدا رويدا
ثم أهوى عليه كالوسنان
فاذا بالفناء يحكم فردا
فوضويا على جلال المكان

والشاعر يصطحب معه فى هذه الرحلة الهة الشعر ويشاهد سفن الموت وهى تسرى الى شاطىء الأعراف ، كما يشاهد مواكب الحياة ، ويطوف الشاعر بشاطىء الأعراف حيث يشاهد قبر الليالى ، ويرى الشاعر مواكب الحياة تمضى مسرعة الى ضريح الليالى ، ثم يسود السكون والعدم ويرى الشاعر مغنيا فى وادى الموت القريب من شاطىء الأعراف يحمل قيثارة صامتة ، يحاول أن يبعث أنغامها فلا تستجيب له [1] :

---

(١) جماعة أبوللو / ص : ٥٥٤ .

تستطيب الجلوس في ظـــل أيـــــك
رفرف الطيـــر فوقـــه أسرابـــــا
يتغنـــى بيـــن الثمـــار بلحـــن
هل سمعـــت الغيـــان غنـــت طرابـــا
من وحيديـــن يسجعـــان ســـــرورا
وشجيـــن يشـــدوان انتحابـــــا
وجـــرى الماء في الغديـــر رحيقـــا
وجرت فوقـــه الزهـــور حبابـــــا
جنـــة صاغهـــا الالـــه من السحـــــر
ففيهـــا صبابـــة السعـــــداء
نورهـــا من وشائـــع من هـــــواء(١)
فهـــي منه فـــي رقـــة القمـــــراء
وتغنـــى الأطيـــار فيهـــا اصطحـــاب
فصباهـــا من عبقـــري الغنـــــاء
من خيـــال الأشعار قد صاغهمـــا الله
ففيهـــا روائـــع الشعـــــراء

وقـــد ختـــم شاعرنـــا ملحمتـــه بصيحـــة يناجي فيهـــا " المغنـــي " فيقـــــول :

لهفـــي مـــا أراك تبعـــث لحنـــــا
فـأخبـــر الشعـــر مـــا وهـــي قيثـــارك
ســـوءة لليـــد التي عطلتهـــــا
وعفـــت في غنائهـــا أو تـــــارك

xxxxxx

---

(١) الوشائـــع : اللفائـــف .

ويذكر صالح جودت أن الهمشرى بدأ الاحساس لدية بنظم ملحمته عند احساسه باخفاق قصة الحب الكبرى فى حياته ، وهى قصة حبه لفتاة نوسا البحر " جتا " ، مما أضفى على نفسه أواخر عهده بالمنصورة كآبة ممزقة وابتعد عن حقل المأساة ، ونزح الى القاهرة للعلاج ولكنه لم يلبث أن عاد الى نوسا ، ليقضى فيها خمسة أيام ، كانت هى فترة التأهب الطويل للملحمة ، فخرجت نواة " شاطىء الأعراف " التى استكملها بصورتها النهائية ونشرها فى ابوللو فى فبراير عام ١٩٣٣م.

وهناك مؤثرات وراء انجاز الهمشرى لهذه الملحمة وكان أبرز المؤثرات القرآن الكريم ... ومما لاشك فيه أن هذه الصور القوية المعبرة فى القرآن الكريم فى سورة الأعراف قد أثرت فى نظمه للملحمة ، قال تعالى : (١)

" ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ماوعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ، وعد ربكم حقا . قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين الذين يصدرون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون . وبينهما حجاب وعلى " الأعراف " رجال يعرفون كلا بسيماهم . ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون .... واذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لاتجعلنا مع القوم الظالمين . ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم وقالوا ما أغنى عنكم جمعكم وماكنتم تستكبرون . أهؤلاء الذين أقسمتم لاينالهم الله برحمة .... أدخلوا الجنة لاخوف عليكم ولاأنتم تحزنون . ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على

---

(١) القرآن الكريم / سورة الأعراف .

الكافريـــــن . الذين اتخـــذوا دينهـــم لهوا ولعبـــا وغرتهـــم الحيـــــاة الدنيـــا فاليوم ننساهـــم كما نســـوا لقـاء يومهـــم هذا وماكانوا بآياتنا يجحـــــدون " .

كما أن الهمشـــرى قد تأثر بلا شـــك بقراءاتـــه لرسالـــة أبـى العـــــلاء المعـــرى " رسالـــة الغفـــران " وملحمـــة ميلتون " الفردوس المفقـــــــود " و " الكوميديـــا الالهيـــة " لدانتـــــى .

ولكن أكبر عامل فى نظمـــه للملحمـــة هو هروبـــه من عالم الواقع اثـــــر صدمـــة وجدانيـــة عاصفـــة فذهـــب على أجنحـــة الخيـــال الى شاطـــىء الأعـــراف يرســـم هذه اللوحات الغريبـــة المبدعـــة بريشتـــه المخلاقـــة الهامســـة .

xxxxxxxxx

## " شاطىء الأعراب فى مرآة النقـــاد "

آثارت ملحمة شاطىء الأعراف جدلا طويلا بين نقاد الأدب المعاصرين كلون منفرد فى شعرنا العربى المعاصر لما لها من سمات خاصة ودلائل مميزة تختص بها خاصة أن شاعرنا بدأ فى نظمها عام ١٩٢٩م وهو لم يتجاوز الحادية والعشرين من عمـــره وأنجزها عام ١٩٣٣م وهو فى سن الخامسة والعشرين ، فما هو رأى النقاد فى ملحمة الأعـــراف ؟

يقول الدكتور محمد مندور عنهـــا : (١)

" نحس أن هذه المطولة انما هـــى فرار بالشاعر على أجنحة الخيال منـــن عالم الواقع المرير ، حتى لنكاد نلمس أن لها وظيفة نفسية عند قائلها عندما نقـــرأ قولـــه فيهـــا :

عندما خـــدر الفنـــاء شكاتـــى
وسقانـــى كئوســـه المنسيـــات
بعث الشعـــر من لدنـــه نسيمـــا
فـاح العطـــر طيـــب النغمـــات
هز قلـــع الصبـــا فأيقظ فكـــرى
فهفـت بى سفينـــة الذكريـــات
فى خضـــم الأفكار تطوى بى الوقـــت
وتهفـــو الى ضفـــاف الحيـــاة

ويقول صالح جودت : (٢)

" كان المناخ الذى تأهب فيه الشاعر لنظم هذه الملحمة ، مناخا كله حـــب

---

(١) الدكتور محمد مندور / الشعر المصرى بعد شوقـى / ١٩٥٨م / ص : ١٧ .

(٢) الهمشـــرى / حياته وشعـــره / ص : ٦٤ .

ويأس ونزوع الى الخلاص والنأى ولو الى حقل أشد قتاما من حقل الحياة. وهكذا ذهب الشاعر فى رحلة خيالية بين هوج العواصف الى شاطىء الأعراف ، الفاصل بين الحياة والموت ، ويخالف صالح جودت رأى الدكتور مندور حين يصف شاطىء الأعراف بأنها مطولة لاملحمة فيقول الأستاذ صالح : " الواقع " أن الأعراف ملحمة لامطولة ... ملحمة ينطبق عليها كل مايتطلبه الأدب فى شعر الملاحم من شرائط " .

وتقول الدكتورة نازك الملائكة عنها : (١)

" والهمشرى لايقل عن كتيس تولعا بالغناء، حتى انه كتب ملحمة كاملة سماها " شاطىء الأعراف " وتحدث فيها عن رحلته الأولى بعد الموت نحو الحياة الأخرى .

" والقصيدة تكاد تكون أغنية حب موجهة الى الموت ، لاأثر فيها للحسرة ولا للذكرى ، وكأن الشاعر يلتذ بكل لحظة من لحظات موته ، أن صح التعبير " .

xxxxxxxx

وبعد ، فملحمة الأعراف تعد من أعظم الآثار الشعرية فى تراثنا المعاصر وأخصبها وأكثرها فنية وعمقا وأصالة وهى انعكاس صادق وأمين لحقبة خصبته من حياة شاعرنا تتسم بالحزن والكآبة والضياع الروحى .

---

(١) نازك الملائكة / قضايا الشعر المعاصر / ص : ٢٧٤ .

## " بين الحب والطبيعة والبأس "

ونشر أبياتا بعنوان " حياتي " فيها سوداوية وقنامة يقول : (١)

كأن حياتي فنوة جاهلية
شدتها الليالي للقرون بلا معنى
كأني أنا فيها شجى غنائها
أقام لها ذكرى تغنى بها الأذنا

وكتب عن الحب والطبيعة يقول في نفس العدد :

ألم تر للحب كيف أنبرى
يصور في الكون أبهى الصور؟
وكيف ترقرق منه النسيم
وكيف ترقق منه القمر؟
وكيف تهذب منه الحمام؟
ولم ير في البوم هذ الأثر؟

ثم كتب قصيدة غزلية وجدانية رقيقة بعنوان " مملكة السحر " فيها معاني مستحدثة وصور شعرية جميلة منها هذه الأبيات : (٢)

| | |
|---|---|
| يا واحدا في علاه | تحية في علاكا |
| لقد ترقفت حتى | شابهت مني هواكا |
| فلو تحولت نورا | لكان طرفي أحتواكا |
| ولو تحولت قمرا | لكان ثغري احتساكا |
| ولو تحولت روضا | وقد نشرت شذاكا |
| لكنت فيه فراشا | أرف حول سناكا |
| وكنت قضيت عمري | أحسو رحيق جناكا |

(١) أبوللو / فبراير ١٩٣٣م.
(٢) أبوللو / يوشية ١٩٣٣م/ ص : ١١٤ .

## " قصة جتـــا الفاتنـــة "

نشر الشاعر محمد عبدالمعطى الهمشرى قصيدة رقيقة بعنوان " الى جتـــا الفاتنة فى مدينة الأحلام " بمجلة أبوللـــو فى عـــام ١٩٣٣م وعندمـــا أرخ الأستاذ عبدالعزيز الدسوقى فى كتابه " جماعة أبوللو وأثرها فى الشعـــر الحديث " لشعراء الجماعة قال عن ملهمة هذه القصيدة الرقيقة الفاتنـــة : (١)

" لسنا ندرى هل كانت حبيبته " جتـــا " هذه حقيقة واقعة أم لأنهـــا رمـــز للحبيبة اتخذه اطارا يصب فيه أشواق روحـــه الملتهفـــة ، وظمأ نفســـه الى الحب "؟

فما هو ســـر جتا الفاتنـــة ؟

هل هى ملهمة حقيقية أحبها الهمشرى وعذبه الحنين اليها وناجاها بحـــرارة وصـــدق ؟

أم أنها مجرد خيـــال أسطورى موهـــوم ؟

ان هذه السطور ستكشف لأول مرة القصـــة الحقيقية لغرام الهمشرى مـــع " جتـــا " الفاتنـــة .

xxxxxxxxx

كان ذلك حوالـــى عام ١٩٢٩م ....

فى مدينة السنبلاوين الخضراء بمحافظة الدقهليـــة ....

وكان يحلو للهمشرى الذى كان يقترب من الحادية والعشرين من عمره أن يسير وحيدا متأملا على شاطىء ترعة " البوهيـــة " القريبة من منزلهم ويتوغل فـــى الحقول الخضراء سابحا مع الأطياف والأحلام والرؤى الخيالية الحالمـــة .

وكان فى ذلك الوقت مرهف الحس خالى القلب ينظم قصائده بحب وغزل لحبيبات

---

(١) جماعة أبوللـــو / ص : ٤١٥ .

من وحـــى الخيـــال الجامـــح . حتى وقع بصره على جنا الفاتنة فتغير الحال.

أصبح الهمشرى عاشقا متيما لاينام الليل ... انقلب ليله نهارا ونهـــاره ليـــــلا ...

كانت جنا فتاة حسناء بارعة الجمال مرهفة المشاعر ، وكانت ابنة لطبيب أسنان من أصل يونانى يعمل كمدير لعيادة طبية بالسنبلاوين بشارع السكة الحديد تدر عليه ربحاً طيباً وأحبه أهل البلدة وأولوه ثقتهم، فتجنس بالجنسية المصرية واتخذ مصر وطنا له .

كانت جنا فى تلك الحقبة تبلغ السابعة عشرة من عمرها ، وكان شاعرنـــــا قد ودع أيام الصبا ، ودخل فى طور الشباب ، فكان يبلغ الحادية والعشرين مـــن عمره ، وكان مشبوب العاطفة ، مشتعل الوجدان ، ينظم شعرا عاطفيا ملتهبـــا ، يغرقـــا فى الصبابـــة والوجد وعبادة الجمـــال المجـــرد .

والتقت نظرات الشاعر بفاتنة السنبلاوين ، فكانت قصة حب كبيرة ...

تعلق بها قلبه وأصبح يكثر من السير تحت نافذة منزلها ليتزود منهـــــا بنظرة وابتسامة تلهمه أجمل أفاريـــده .

وكان الهمشرى يسعد بابتسامتها الحلوة ويقنع بها ثم أتيح للمحبيـــن أن يلتقيا فى مناجاة حارة طويلـة بمصيف رأس البر حيث كانت تصطاف أسرة كل منهما .

وبنى العاشقان آمالا كبارا وأحلاما شامخة للمستقبل الباسم ولعشهمـــــا السعيد الذى سيجمعهمـــــا .

ثم عاد الى السنبلاوين ... ولم يلبث الهمشرى أن انتقل الى المنصورة حيـــث التحق بمدرستها الثانوية ولم تعد تتاح له فرصة رؤيتها والتزود بابتسامتهـــا سوى لحظات قليلة كل أسبوع ... حيث كان يقضى عطلة نهاية الأسبوع - يومى الخميس والجمعة - فى بلدته يعود بعدها الى المنصورة حيث يروى لصديقه وزميله صالـــح جودت أحاسيس قلبه وهمسات روحه وفتنته العارمة بهذه الحسناء الفاتنة وكيـــف مر تحت نافذتها ، وكيف ابتسمت له ، وكيف بنى من ابتسامتها أحلاما كبارا ...

xxxxxxxxxx

ظل الهمشرى خافق القلب ، مشبوب العاطفة نحو هذه الحسناء الفاتنة المثقفة التى كانت تقرأ الشعر الانجليزى وتهيم به خاصة الشعر الرومانسى الحالم مثل شاعرنا تماما .

وظلت صورتها الفاتنة وابتسامتها الساحرة تضىء لياليه وتسعد أيامه الموحشة وتبعث النشوة فى كيانه كله ، وأصبحت تملك عليه حياته ...

ولكن الأيام صهرته بالعذاب فى تلك الحقبة ، بمأساة قاسية ، ففجعته فى حبه الكبير .

كانت آمال شاعرنا أن تتوج قصة حب بعلهمته بالزواج ... ولكن نشأت عقبات بسبب صغر سنه والعامل المادى واختلاف الدين ... اذ كانت " جتا " يهودية وهو مسلم متدين يكثر من قراءة القرآن ويسبح فى أجوائه وتحت ظلاله .

وسرعان ماتزوجت جتا من أحد تجار المجوهرات الأثرياء من قرية مجاورة ، فكانت صدمة حياته (١) .

واعتكف الهمشرى فى وحدته بين حقول السنبلاوين يبكى حبه الضائع وأمله الذى تحطم على صخرة الواقع ....

وكان الهمشرى يمكث الساعات الطوال فى وحدته فى أطراف السنبلاوين بين الطبيعة والحقول الخضراء ....

وألهمته " جتا " قصيدة من أجمل قصائده العاطفية وأرفها على الاطلاق هى قصيدته " الى جتا الفاتنة فى مدينة الأحلام " .

وأهدى القصيدة اليها ، حيث قال " مهداة اليها مع أزهار سحرية من حدائق الخيال وبساتين الشفق " .

وقد مهد للقصيدة بنص من التوراه — باعتبارها يهودية — فأورد جزءا من

---

(١) أخبرنى بهذه المعلومات شقيق الشاعر الأستاذ المستشار محمود الهمشرى والأستاذ الشاعر محمد محمود عبدالعال وهو من أبناء السنبلاوين .

أصحاح راعوث قبل مطلع القصيدة ، يقول :

" لاتلحى على أن أتركك وأرجع عنك ، لأنى حيثما ذهبت أذهب ، وحيثما بت أبيت .

" شعبك شعبى ، والهك الهى ، حيثمامت أموت ، وهنالك أدفن ، هكذا يفعل الرب فى ، وهكذا أريد ، انما أموت يفصل بينى وبينك "

وهكذا كان هذا النص من التوراه رسالة عبادة حتى الموت موجهة الى جتا .

ان قصيدة " جتا الفاتنة " هى مزيج من النزعة الرمزية والنزعة العاطفية ، وقد أودعها الشاعر خفقات قلبه وهمسات روحه ، فيرسم فى الأبيات الأولى هذه اللوحة الفنية الرائعة بريشته الساحرة ، حين يناجى محبوبته فى عالم الرؤى والخيال :

هاهو الليل قد أتى فتعالى
نتهادى على ضفاف الرمال
فنسيم المساء يسرق عطرا
من رياض سحيقة فى الخيال

xxxxxxxx

صور المغرب الذكى رباها
فهى تحكى مدينة الأحلام
نفحت فى الخيال منها زهور
غير منظورة من الأوهام

xxxxxxxxx

ووراء السياج زهرة فل
غازلتها أشعة فى المساء
نشر النسم سرها وهو يسرى
فى مروج مطلولة الأفياء

xxxxxxxxx

ودهاليز من ظـــلام بونـــــــــور
صـــورت سحرهـــا يد الأطيـــــــاف
عشـــش البلبـــــل الخيالـــى فيهـــا
ساكبـــــا لحنـــه الحنون الصافـــــى

xxxxxxxxx

ان هـــذى الأزهـــــار تحلم فى الليـــل
وعطـــر النـــارنـــج خلف السيـــــاج
وخريـــــر المياة والشفق السحـــــر
وهمـــــا من النسيـــــم الساجـــــى

xxxxxxxx

والنـــدى والظـــلال تنعس فى المـــاء
وهذا الشعـــــاع خلـــف الغمـــــــام
بعض ألحانه تـأنـــــق فيهـــــــــا
فتراءت فى هذه الأجســـــــــام

هكذا يصور الشاعر فى هذه الأبيات الأولـــى من قصيدتـــه ذلك الجو الخيالـــى الرومانسى الفاتن الذى يعيش فيه ، ويناجـى ملهمته فى ظلالـــه ...

ان لقاء شاعرياً تم بين الشاعر وملهمته عند الغروب فى ظلال الطبيعة الفاتنة فأوحى اليه ذلك اللقاء صورا وظلالا جديدة من طريق الايحـــاء ، فصور مشاعـــــره وأحاسيســـه بالرمز والصور الخياليـــة المغرقـــة فى الشفافية والرقة فى لوحـــات جميلـــة نابضة بالحرارة والرقة والعذوبة ، فجعل النسيم يسرق العطر من ريـــــاض شحيقـــــة فى الخيـــــال ...

وقد أثارت تعبيرات الهمشرى المبتكرة وتراكيبه الغريبة فى هذه القصيـــدة والتى تتألق فى الظلال والأضواء فضلا عن الاغراق فى الرمزية حيرة النقـــــــاد ومساجلاتهم حول قرابة هذه التعبيرات والتراكيب وايغالها فى الرمـــز والغمـــــوض

والخيال الجامح ... كما أنها أثارت الشك فى نفوس الكثيرين منهم حول تلك الملهمة الغامضة المجهولة التى تسبح فى بحار الضوء والعطر والموسيقا مع عطر النارنج وخرير المياه وهمس النسيم ...

ثم يواصل الهمشرى مناجاته الحارة المتقدة لملهمته " جتا " فيذكر لها أنه أفنى دموعه وعفر جبهته وقدم روحه على مذبح غرامها ، فيقول :

قبل هذى الحياة كنت أصلى
ياحياتى لحسنك المعبود
فيك أفنيت أدمعى فى فنائى
فيك عفرت جبهتى فى سجود

xxxxxxxxx

وعلى مذبح الغرام تقربت
بروحى فى ذلة وخشوع
غير أنى رأيت هذا قليلا
فتقربت بعدها بدموعى

ويبلغ ولهه بها ذروته فيتخيلها إلها علويا فى معبد الخيال وهو يتعبد لها ويرتل لها أشجى الألحان وأحفلها بالحب والشجن كما يتخيلها فجرا وضيئا مشرقا وهو ضباب قد تاه فى أفقه المنور المضىء فلا يملك الا أن يمضى فى تراتيله لهذه الشعلة المقدسة التى هبطت الحياة إلها معبودا لقلبه الواله المحب :

كنت فى معبد الخيال ترفين
الها ، وكنت من عبدانك
كم بعثت الأشعار فيه مزامير
تجيب الحزين من ألحانك

xxxxxxxxxx

كنت فجـــرا ، وكنت فيـه ضبابـــــا
شـــاع فى أفقـــه الوضىء فتاهـــــا
وهبطـــت الحياة شعلـــة تقديـــــس
وجئـــت الحيـــاة أنـــت الهـــــــا

xxxxxxxx

ثم يبدأ الهمشرى فى اضفاء جو من حرارة العاطفـــة ودفئهـــا فى قصيدتـــــه حين يخاطب ملهمته بكلمة " أنت " فى مناجاة حارة ملتهبة لايمل من تكرارهـــــا وترداده ـــا كما يضفى على ملهمته صفات موغلة فى الخيال والسمو حتى أنـــــه يصفها بأنها " حلم منور ذهبى " وبأنها " عطر مجنح شفقى " وسر ذلك يعـــــود الى حرارة حبه لها ووجده بحسنها مما جعله يراها كملهمة ملائكية من عالم آخـــر غير عالم الأرض والحقيقـــة .

اسمعـه وهو يرتـــل لها فى معبـــد الحسن والجمـــال :

أنـــت لحن مقـــدس ملـــــــوى
قـــد تهـــادى فى عالـم نورانـــى
سمعـت وقعـــه السماوى روحـــــى
فـأفـاقـــت فى معبـــد الأحـــــزان

xxxxxxxxx

أنت حلـــم منـــور ذهبـــــــى
طـــاف فى أفـــق عالـــم مسحـــــور
وتجلـى على فياهـــب روحـــــــى
بجناح من الضيـــاء البشيـــــر

xxxxxxxxxx

أنت عطـــر مجنـــح شفقـــــــى
فـاوح الـــــرزح فى همـــود الذهـــول

قـــد ســـرى فى الخيال طيب شـــذاه
من زهـــور فى شاطـــئ مجهـــــول

xxxxxxxx

أنـــت ظل مقـــدس ، أنت كهـــــف
طائفـــى فى ربـــوة أحـــــلام
غمـــر الروح فى سكينتهـــا السحر
فتاهـــت عن عالـــــــم الآلام

ثم يوغل شاعرنا المولـه المفتون فى مناجاة ملهمته الساحرة ، ويغرق فـــى الرمزية فيبتكـــر التعبيرات الجديدة الغريبـة ويوغل فيها حين يصف الصمـــت بـأنـــه " مقمـــر " ، والكوخ بأنه "سرمدى الخيـال" ولعل ذلك يعود لما فى هـذه التعبيرات من شحنات وجدانيـة خياليـة أثارتها فيه عاطفته المولهة الحارة نحو ملهمته ذات النظرات الآســرة .

ويمضى الشاعر فى مناجاة ملهمته ، فيضفى عليها الكثير من سحر الخيـــال وجمال الرمز وحسن الطبيعـة التى يتعشقها فى رومانسية حالمة مجنحة ، فيقـــول مناجيا لها فى وجد وخشـــوع :

أنت كـوخ معشـوشـب فى ربـــاة
مقمـــر الصمت سرمدى الخيـــال
نعســت روحى الكليلة نشـــوى
فيـــه ترعى فجرى هذا الجمـــال

xxxxxxxxx

أنـــت صمت مخيـــم ، ففضـــاء
فظـلام مكوكـب ، فنهـــار
فهمـــود تدب فيـــه حيـــاة
ويغنـى فى فجرهـا " النوبهـــار"

xxxxxxxxx

أنت كل الحياة أنـــت كيانـــــى
أنت روحـــى أبصرتها فى سباتـــــى
أنـــت وحيـــى مجســـد أنـــت لحنـــى
ياسمـــــاء علـــى سمـــاء حياتـــــى

xxxxxxxx

وتبلغ ذروة رمزيته وخياله المجنح ورومانسيته المرهفة حين يرسم صـــورة تطلب فيهـا ملهمته أن يكون اللقاء بينهما وراء أسوار الحيـــاة .

كما يناجـى ملهمتـــه ويطلب منها أن تغمـــر حياتـــه بالدفء والضـــوء والحـــب :

أنت أغويتنـــى بأن ألقـــــاك
خلـــف ســـور الحياة ... فوق رباك
غير أنى بحثت عنـك طويـــــلا
وأخيـــرا نعست تحـــــت ذراك

xxxxxxxxx

أيقظينـــى من الذهـــول وغنـــــى
ياملاكـــى علـــى طول حياتـــــى
وارشدينـــى الى الضيـــــاء.. والا
فاتركينـــى أهـــوى الى ظلماتـــــى

xxxxxxxxx

وعلى عالمـــى الشتائـــى فيضـــــى
نـــور دفء يغنـــى ظلامى الحالـــك
وارفعينـــى كمعبـــد قدســـــــى
تتهـــادى به طيـــوف جمالـــــك

xxxxxxxxx

ثم فى النهاية يذكر لملهمته أنه سيظل يغنى لها فى وحدته الموحشة الحزينة رغم الظلام المطبق على روحه وهو بعيد عنها ، فيقول فى أسى ووجد :

أننى فى الظلام أنصب وحدى
خيمة الغناء من آلامى
فاسمعينى ، فأننى سأغنى
لك " جتا " فى وحدتى وظلامى

وقد كتب الهمشرى هذه القصيدة الشجية التى تتماوج فيها أنغام الرضا والعتاب والوحشة واليأس والأمل والحنين والوجد الأسر بعد يأسه من تحقيق آماله فى الزواج من هذه الحسناء الفاتنة بسبب صغر سنه واختلاف العقيدة الدينية ، فانطوى فى وحدته الصامتة فى ظلال الطبيعة الخضراء الساحرة على ترعة اليوهية عند أطراف السنبلاوين يناجى ملهمته الملائكية النورانية ويهدى لها نتاج تأملاته الحزينة فى عالم الخيال ، فكانت تلك القصيدة الغزلية الشجية التى أهداها اليها " مع أزهار سحرية من حدائق الخيال وبساتين الشفق " .

## التجديد فى " جنا الفاتنة "

فى هذه القصيدة الوجدانية العاطفية الرقيقة يتجلى اجتماع الرمز الشعرى poetic symbol بالعاطفة Emotion فى صورة متوازنة مبدعة .

ونلاحظ فيها مجموعة من التعبيرات المبتكرة والتراكيب الغريبة التى استحدثها الهمشرى فى هذه القصيدة وأضاف جديدا لقاموسنا الشعرى التقليدى وفى شعرنا العربى المعاصر فهى تلك التعبيرات والتراكيب : " معبد الأحزان " و " طيوف الجمال " و " خيمة الغناء " و " رياض سحيقة فى الخيال " و " معبد الخيال " و " مقمر الصمت " و " ظل مقدس " و " ضفاف الخيال " و " الدفء المنور " و " يد الأطياف " وغير ذلك من تعابير مستحدثة جميلة أضفى على القصيدة نوعا من الغموض الفنى Ambiguity اكسبها جمالا وطرافة وأصالة .

وهذه الألفاظ والتعابير والتراكيب يغلب عليها طابع التلوين والظلال والأضواء وهى من ابتكارات خيال شاعرنا المحلق ويتناول الدكتور عبد العزيز الدسوقى هذه القصيدة بالدراسة والتحليل فيقول عنها : (١)

" مضمون القصيدة وجدانى تغلب عليه مسحة من التصوف والشوق الروحى والظمأ الى الحب ، وللشاعر مقدرة على خلق صور خيالية كثيرة ، وعوالم متعددة ينفث فيها الحرارة والحياة ، بل يشير الى أنه كان موجودا قبل هذه الحياة ، وكان يصلى فى ذلك الوقت لحسن حبيبته فى دنياه .

" وتصور القصيدة نزعة عاطفية عميقة الغور فى نفس الشاعر ، فرسم صورا بديعة للريف والطبيعة ، حتى لنشم رائحة النارنج ونرى الحديقة وسورها وزهرة الفل ، والمروج ، ونكاد نلمس الندى على الأوراق ، ونشاهد الشعاع

---

(١) الدكتور عبد العزيز الدسوقى / جماعة أبوللو وأثرها فى الشعر الحديث / ١٩٧١م - القاهرة .

والظـــــلال والغمـــــــام " .

وبعد فان الهمشـــرى فى قصيدتـــه اندمـج فى الطبيعـــة كروح هائمـــــة ظمـــأى للحـــب والجمـــال وأبرز لنـــا جمال الطبيعـة الريفيـة بصـــــدق وعذوبـــة وأصالـــــة .

---

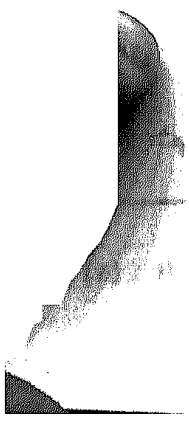

## " شاعر النارنجة الذابلة "

بعد أن قطع الهمشرى دراسته بكلية الآداب بعد قضاء عامين بها التحق بوظيفة متواضعة ... " محرر بمجلة التعاون " وسرعان ما آمن برسالة التعاون ، فأحب الوظيفة ، ووهبها كل حياته وكانت تلك مرحلة جديدة فى حياته وشعره ...

اذا سمينا مرحلة أبوللو"فى حياة الهمشرى مرحلة الوجدان الذاتى"فان هذه المرحلة الجديدة يمكن أن تسمى " مرحلة الوجدان الاجتماعى القومى وكان فيها شاعرنا " شاعر الحضارة الريفية " ...

بدأت هذه المرحلة عام ١٩٣٥م.

وكان فى عمله يتنقل بين القرى فى مختلف مدن وقرى مصر ، ليزور الجمعيات التعاونية القائمة فيها ، ويكتب عنها فى مجلة التعاون وأمد ذلك شعره بفيض جديد من المشاعر والأحاسيس والصور الشعرية الجميلة من معايشة للريف المصرى وطبيعته الجميلة الساحرة ...

يرسم شاعرنا لوحة بعنوان " أغنية الفلاح المصرى للجاموسة الراعية " يقول فيها : (١)

تنقلى تنقلى من جدول لجدول
جاموستى ياساحره جوبى الحقول الناضره
تنقلى ... تنقلى

xxxxxxxx

يشدو لك العصفور ويهمس الغدير
تنقلى ... تنقلى

ثم يرسم صورا لبعض طيور القرية وزهورها وأشجارها ، فيجسم لنا ملامح

---

(١) التعاون / ابريل ١٩٣٦م.

الفراش الأصفر فى قصيدة مطلعها : (١)

| | |
|---|---|
| ياطائرا لايكاد | هل أنت نجم يطرف ؟ |
| أم أنت خطفة نور | أم أنت قلب يخفق ؟ |

ويصف اليمامة فى قصيدة مطلعها يقول :

| | |
|---|---|
| رددى فى السكون ذكرى الهديل | وتغنى ياشهر زاد النخيل |
| أى ذكرى تشجيك ؟ أى خيال | راح يضنيك من فراق خليل؟ |

ويصف الطائر الجميل " المفرد " بقوله :

| | |
|---|---|
| ياراحة فى ظلمة اليأس | فيها صفاء القلب والنفس |
| أرقصت قلبى من مرقرقة | خمر تصفق فى مهدى الحس |
| وتدب فى قلب ابن نشوبها | حتى يبيت وسرمد الأنسى |

ويصور مناجاة فلاح لنخلة يستريح تحتها من وعثاء الطريق فى قصيدته " شجر النخيل " فيقول : (٢)

| | |
|---|---|
| قد طاب لى مقيلى | فى سهلك الجميل |
| فى ظلك الظليل | ياشجر النخيل |

xxxxxxxxx

| | |
|---|---|
| عروسة الصحراء | ياكعبة الرجاء |
| وياهدى التيهاء | ياشجر النخيل |

وهناك لوحة جميلة لحلول المساء على القرية بعنوان "ليلة" يقول فيها : (٣)

---

(١) التعاون / مارس ١٩٣٧م .

(٢) التعاون / يوليو ١٩٣٦م .

(٣) التعاون /ديسمبر ١٩٣٨م .

ولى النهار وأقبل الغسق ... والصمت يجثم خلفه الأفق
والروض ينشر فيه موكبه ... هذا الضباب ويلمع الشفق
والدوح مرتعش يخالسه ... بين السحائب كوكب خفق
والروض رنق للنعاس فلا ... طير يرف به ولا ورق
أرخى الظلام عميق وحشته ... فوق الديار وأخلت الطرق

ثم تأتى أجمل قصائده فى مرحلته الجديدة وهى قصيدة " النارنجة الذابلة. " التى تفصح عن نفسية حزينة قلقة تأسى على الماضى الجميل وتتحسر على ضياعه فى صورة اختلطت فيها العاطفة بالرمز الفنى والتشخيص Personification لمظاهر الطبيعة .

فالهمشرى تبلغ ذروة رومانسيته الحالمة فى تلك القصيدة حين يصف الطبيعة الحالمة والاستغراق فيها واصفا براءة طفولته وجمال ذكرياتها حين كان يعدو وراء الفراشات يصطادها مع محبوبته الصغيرة ، فاتنة نوسا البحر ثم يستريحان عند شجرة حالمة عند السياج وتغريد "الزرزور " يداعب أذنيهما ...

واستعاد شاعرنا عندما كبر هذه الصور الشاعرية الحالمة لبراءة الطفولة وجمال أيامها فكانت هذه القصيدة الغارقة فى الرومانسية الحالمة : (١)

كانت لنا عند السياج شجيرة
ألف الغناء بظلها الزرزور
طفق الربيع يزورها متخفيا
ويفيض منها فى الحديقة نور
حتى اذا حل الصباح تنفست
فيها الزهور وزقزق العصفور
وسرى الى أرض الحديقة كلها
نبأ الربيع وركبه المسحور

---

(١) التعاون / مايو ١٩٣٦م / ص : ٤٣٢ .

كانت لنا ياليتها دامت لنا

أو دام يهتف فوقها الزرزور

xxxxxxxx

قد كنت أجلس صوبها فى شرفتى

أو كنت أجلس تحتها فى ظلتى

أو كنت أرقب فى الضحا زرزورها

متهللا يغشى نوافذ غرفتى

طورا ينقر فى الزجاج وتارة

يسمو يزرزر فى وكار شقيقتى

فاذا رآنى طار فى آفرودة

بيضاء واستوفى فصون شجيرتى

كانت لنا ، ياليتها دامت لنا

أو دام يهتف فوقها الزرزور

xxxxxxxxx

هيهات لن أنسى بظلك مجلسى

وأنا أراعى الأفق نصف مغمض

خنقت جفونى ذكريات حلوة

من عطرك القمرى والنغم الوضى

فانساب منك على كليل مشاعرى

ينبوع لحن فى الخيال مفض

وهفت عليك الروح من وادى الأسى

لتعب من خمر الأريج الأبيض

كانت لنا ، ياليتها دامت لنا

أو دام يهتف فوقها الزرزور

xxxxxxxxx

وهنا تحركت الشجيرة فى أسى

وبكى الربيع خيالها المهجور

وتذكرت عهد الصبا فتأوهت
وكأنها بيد الأسى طنبور
وتذكرت أيام يرشف نورها
ريق الضحى ويزرزر الزرزور
وعرائس النارنج تحلم فى الندى
فيرف فيها طيفها المسحور
كانت لنا ، ياليتها دامت لنا
أو دام ينشر لحنه الزرزور

ثم يختتم هذه القصيدة بجوها الرومانسى الحالم ونغمتها الآسية المتحسرة على الماضى بجماله وبرائه فيقول :

قد كنت أرجو أن تكون نهايتى
فى ظل هذا السور حيث أراك
ويكون آخر مايخدر مسمعى
زرزورك الهتاف فوق ذراك
ويطوف فى غيبوبتى فيفيقنى
فجر قصير البعث من ريّاك
والآن اذ عجل القضاء فأنا
سيقوم فى الذكرى خيال شذاك

أنظر الى مدى حسرته على الماضى فى تكراره لقوله :

كانت لنا ، ياليتها دامت لنا
أو دام يهتف فوقها الزرزور

حيث يرسم جو الطبيعة الحالمة والزرزور والشجيرة والنارنج الى غير ذلك من صور الاندماج فى الطبيعة وهى من أبرز سمات الرومانسيين .

وقد استحدث شاعرنا فى هذه القصيدة تراكيب وتعبيرات جديدة تمد شروة نفيسة

فى قاموس شعرنا العربى المعاصر مثل : " العطر القمرى " و " النغم الوضى " و " الخيال المفضض " و " خمر الأريج " و " عرائس النارنج " الى غير ذلك من التراكيب والتعبيرات الجديدة التى أضافها لقاموسنا الشعرى والتى أثارت جدلا حاميا بين الشعراء والنقاد ، كما أثارت القصيدة نفسها اعجاب الكثير من النقاد

يقول الدكتور مندور عن هذه القصيدة : (١)

" فى هذه القصيدة نجد معظم الخصائص الروحية الفنية التى تتميز بها الرومانسية عند الغربيين .

وأولى تلك الخصائص هو الحنين الى شىء غير حاضر الشاعر وواقع حياته ، ونحن هنا نطالع هذا الحنين منذ مطلع القصيدة ، وهو حنين الشاعر الى شجيرته فى الريف ، وأساه على فراقها " .

xxxxxxxxx

ولكنى أستطيع أن أقول أن هذه القصيدة تمثل الاحساس بالماضى sense of the past عند شاعرنا فتمثل ذكريات غرامه البرىء الطاهر وقصة حبه الأول مع " جنا " بين ربوع السنبلاوين وتحت شجيرة حالمة وكان شاعرنا هو " الزرزور " المرح المغرد على شجيرة الحب ....

وقد أبهم على البعض معانى القصيدة الخفية لاستخدام شاعرنا الرمز الشعرى poetic symbol فظنوا أنه يقصد الأسى على الشجيرة وزرزورها ولكنه كان يأسى على غرام ذهب وحب ضاع !...

---

(١) الدكتور محمد مندور / الشعر المصرى بعد شوقى .

## " زهرة خالدة العبير "

ترددت فى شعر الهمشرى أبعاد مأساة رحيله المبكر من الحياة ، فقد أكثر من ذكر الموت والعدم والنهاية فى جل شعره .... وملحمة " شاطىء الأعراف " فيها الكثير من المعانى التى تدور حول هذه الفكرة ... ففيها تصوير لسفن الموت وشاطىء الأعراف وجنة الشعراء .

ولعل من أبرز قصائده التى تعكس احساسه المبكر برحيله مثل شعرائه الأثيريين شيللى وكيتس وبيرون قصيدته " حياة الشاعر " التى نشرت قبل رحيله بحوالى أربعة أعوام فقط ...

يقول فيها : (١)

فدا ياخيالى تنتهى ضحكاتنا
وآلامنا تفنى ، وتفنى المشاعر
وتسلمنا أيدى الحياة الى البلى
ويحكم فينا الموت ، والموت جائر

وفى جلسة له هادئة على " صخرة الملتقى " فى المنصورة وهى تقع بين البحر المغير والصحراء فى بقعة نائية من المنصورة تراوده أحزان روحه وآلام نفسه :

جلست على الصخر الوحيد وحيدا
وأرسلت طرفى فى الفضاء شريدا
وكفكفت دمعا لايكفكف غربه
وواسيت قلبا فى الضلوع عميدا
أرى صفحة الآمال قد ضاق أفقها

---

(١) أبوللو / ابريل ١٩٣٤م / ص : ٦٨٣ .

ولاح على اليـــأس البعيـــد مديـــــدا
لقد عشـــت فى دنيـا الخيـــال معذبـــا
فيـاليت شعرى ، هل أموت سعيـــــــدا ؟

xxxxxxxxxx

كأن حياتـى غنـــوة بدويـــــــــــة
شدتهـــا الليـالـــى للقرون بلا معنـــى
كأنـى أنا فيهـــا شجـى نغماتهـــــا
أقامت لهـــا ذكرى تحف بها الأذنـــــا

xxxxxxxxxxx

لئن فاتنى عهـد الشـــباب ولهـــــوه
فانـى بعمرى لست آبـــه أو أعنـــــى
فرب هـــواء طاف فى اللجـــن وامحـــى
يخلـــد من ريـح معمـــرة قرنـــــا

ثم يطمئـــن نـفســـه على رحيلـــه المبكر من الحيـاة بخلود شعره الـــــذى سيبقـى يروى للأجيـــال مأساة شاعر رحـــل فى عمر الزهور وبقـى عبيـــره شذيـــا فواحـــــا :

لقـــد كنت فى الدنيـــا جمالا يزينهـــا
بما شاده شعـــرى على هذه الدنيـــــا
خلقـــت لروحـى سحرهـا ، لا لغيرهـــــا
ومن أجلهـا أقضـى ، ومن أجلها أحيـــا
اذا ذبل النـارنج عـــاش عبيـــــره
وكان له فى الوهم من نفحـــه محيـــا
ويخلد بعد البدر فى الفكـــر رونـــق
يفدى خيالـــى الشعر والحب والوحيـــا

هذه صور من عشرات الصور الحزينة القاتمة التى يلفها السواد والتشاؤم واليأس والتى تفصح عن نفسية حزينة قلقة تسعى الى الموت وتلح على ذكره لاحساس قوى بالرحيل فى سن مبكرة ولكننا نكتشف أن شاعرنا فى حياته كان من أكثر المحبين للحياة ، وأكثر فرقا من الموت يروى لنا صديق صباه ومطالع مشاعر الشاعر صالح جودت هذه الحقيقة الغريبة عنه فيقول : (١)

" كان الهمشرى أكثر الشعراء حبا للحياة ، وفرقا من الموت .

" لقد يغلب من أمره أنه كان يكثر من ذكر الموت فى شعره ، ويتوقعه فى كثير من قصائده .

" أما فى واقع حياته ، فقد كان حريصا على الحياة ، كبير الآمال فيها ، الى حد أنه لم يكن يحب ركوب البحر حتى لايغرق ، وكان اذا سار فى شارع آثر أن يسير فى وسطه لا على الرصيف ، خشية أن تسقط احدى العمائر فتدفنه تحت أنقاضها " .

xxxxxxxxxx

لم يمهل القدر هذا الشاعر النابغ ليكمل رسالته فى مجال التعاون وفى خلال أربعة أيام رحل شاعرنا الأعراف ، الهمشرى على اثر جراحه أجريت له الاستئصال الزائدة الدودية ، فأصيبت أمعاؤه بالشلل فى أثناء العملية ، ولقى وجه ربه فى ١٤ ديسمبر عام ١٩٣٨م .

وكأنه كان يحس بدنو أجله فزار السنبلاوين مسقط رأسه قبل رحيله بفترة وجيزة ليستعيد ذكريات صباه بين ربوعها ... وعرج على نوسا البحر مهد ذكريات غرامه الأول البرىء مع " جتا " وتحسر على تلك الأيام الجميلة وكتب عن عودته الى مهاد الحب وموطن الذكريات يقول : (٢)

رجعت اليك اليوم من بعد غربتى

---

(١) صالح جودت / الهمشرى ، حياته وشعره .

(٢) التعاون / فبراير ١٩٣٨م / ص : ١٤٦ .

وفى النفس آلام تفيض توائر
رجعت وعقلى تائه الفكر شارد
وأبت وقلبى واهن الخفق حائر

xxxxxxxxxx

فيا أرض أحلامى ، ألقى طفولتى
ويسعدنى يوم من العمر آخر؟
تعسفت فيك الليل والريح صرصر
وخفت اليك الموج والنهر ثائر
أتيت لألقى فى ظلالك راحة
فيهدأ قلبى وهو لهفان حائر
أموت قرير العين فيك منعما
يخدرنى نفح من المرج عاطر
ويلحفنى هذا البنفسج ، ولتكن
مسارح عينى ... الربا والمحاضر
وآخر ما أصغى اليه من الصدى
خريرك يغنى وهو فى الموت سائر

ثم كأنه ينعى نفسه ويرثيها قبل الرحيل فيقول فى نهاية القصيدة :

لقد خف نسم الصبح يهمس ناعيا
الى السهل أن قد فارق الكون شاعر
لذا نفس (١) النحل الزهور فجلجلت
ونابت عن الأجراس هذى الأزاهر

ثم كان رحيل شاعر الأعراف ، م . ع . الهمشرى .

---

(١) نفسى : دق الناقوس .

وكتب صديق صباه صالح جودت يصفه بقوله :

كان يفيض قوة وشبابا وحيوية ، فهو عملاق ، عريض المنكبين ، تكاد حمرة الشباب تقفز من خديه ، لايشكو شيئا فى جسده ، ويحب أن يتانق فى ملبسه ، ويتخير رباطات عنق ذات ألوان ذاهية كألوان مناديل صدره ، ويزين عروة سترته دائما بوردة كبيرة حمراء ، ويمشى فى الأرض مرحا ، ويملأ الجو حوله بضحكاته العالية ، ويشق طريقه فى ثقة وكبرياء واعتداد " .

xxxxxxxxx

وبعد ، فقد رحل شاعر الأعراف ، م. ع. الهمشرى وهو لم يتجاوز الثلاثين الا قليلا ولكنه أعطى لشعرنا العربى تراثا خصبا عميقا يجعله فى طليعة شعرائنا الرومانسيين فى شعرنا العربى المعاصر .

لقد اهتصرت الزهرة فى عنفوان تفتحها وتألقها ولكن عبيرها مازال عبقا فواحا شذيا خالدا على مر العصور والأجيال .

# مختارات

# من شعر الهمشرى

١ - الى نوســـــــــــا .

٢ - عاصفة فى سكون الليـــل .

٣ - أحلام النارنجة الذابلـة .

## ١ - الى نوســـــا

منك الجمال ومنى الحب يا" نوســـــا "(١)
فعللنى القلـــب ، ان القلب قد يئســـا
ياحبذا نسمة من " توجة " (٢) خطـــرت
أطالـــت النفـــس من أسبابهـا النفســـا
أضمهـا ضم مشتـاق بـــه خبـــــل
قـــد رام كتم هـوى أحبابـه فنســـا(٣)
ان تسمعـى قـــرع ناقـوس بقريتكـــــم
فى مطلـع الفجر ينعـى الليل والغلســـا
فانـــه قلبـى المنكـــود يذكركـــــم
فهـل سمعت بقلب قد فـــدا جرســـــا ؟
وان تألـق برق فـــى سماوتكـــــم
فانـــه من لهيـــب القلـــب قد قبســـا

xxxxxxxxxx

الـــــروح ان ظمئت يوما ، فحاجتهـــــا
خمـــر سماويـــة فاضتهـا بها قدســـا
وأنـــت " ياتـــوح " روحانيـــة خلقـــت
لكـــى ترينـــا علا الجنـــات منعكســـا

xxxxxxxxxx

---

(١) نوســـا : قرية تتكىء على النيل قريبـة من المنصورة واسمهـا " نوسا البحر " وكانت للهمشـــرى فيهـــا قصة حب كبيـــرة .

(٢) الاســـم المدلل للمتغزل فيهـــا .

(٣) نســـا : قصـــر .

هـــذا جمالـــك يدعونـــى لأمشقـــــــــه
لكـــن ثغـــرك يادنيـــاى مانيســـــــــا
اللـــــه يشهـــد أنـى حين أذكركـــــــم
أديـــل دمعـــا على الخديـــن محتبـــــا
عسى نسيـــم الصبـــا يســـرى فيسعف بـــى
قلبـــــا يموت حزينـــا فى الغرام .. عسى
فـان بعثـــت لنـا من " توحـــة " خبـــــرا
فكـــم يحبـك هذا القلب يا " نوســـــا "

## ٢ - عاصفة فى سكون الليل

أشرقى كالفجر فراء الجبين
واتركى نورك يهدى العالمين
واطلعى فى ليل حزنى كوكبا
تعصمينى من ضلال العاشقين
واطرحى فى قفر عمرى زهرة
عليها تنمو وتزكو بعد حين
وابسمى تبسم لنا بيض المنى
واضحكى تفحك لنا عن السنين

xxxxxxxxxx

ها هو الليل كما كان بدا
يحمل الحزن لقلبى والحنين
هيكل الأحزان ... فى محرابه
قرب العشاق قربان العيون
عطره أحزان أزهار الربا
ونداه عبرات البائسين
وسرى النسم فى أحشائه
مهج ذابت وأرواح فنين
كل شىء هان فى شرع الهوى
ياملاكى ... والهوى ليس يهون

xxxxxxxxxx

لم يمر الليل سوى بنت هوى

---

(١) مجلة التعاون / ١٩٣٨م.

قـــرأت ماستعانـــى فى الجبيـــــــن
لبســـت فى بدئـــه ثـــوب الهـــــوى
وبأخـــراه ثيـــاب النادميـــــــن
وعميـــد بات مطـــوى الحشـــــا
فى سكـــون الليل مبجـــوح الأنيـــن
قـــام فى الليل كطيـــف غابـــــر
وكأن الليـــل محـــراب القـــــرون

xxxxxxxxxxx

ومفـــن قلـــب الحـــزن علـــــى
وتـــر اللهو لديـــه والمجـــــون
ليـــس يـــدرى فكـــره مالحنـــــه
وهو رجـــع الســـحـــر من ماض شطـــون

xxxxxxxxxxx

أيهـــا الليـــل أتينـــا نشتكـــــى
فاستمع شكـــوى الحزانـــى المتعبيـــن
هدنـــا الحـــزن وأضنانـــا الأســـــى
وبرانـــا الوجد فى دنيـــا الشجـــون
قـــد شكوناك وجئنـــا نشتكـــــى
لـــك شيئـــا من خيال الذاهليـــــن

xxxxxxxxxxx

اننـــى ياليـــل أحكـــى غنـــــوة
فنيـــت فيـــك على مـــر السنيـــــن
واستحالـــت فـــى البلـــى قبـــــرة
تتغنـــى فى دجـــى وادى المنـــــون

xxxxxxxxxxx

هـــذه أغنيتـــى رتلتهـــــــــا
لك يادنيای فی دیـــر السكـــــــون
لحنهـا أنت ... وحزنـــى وقعهـــــا
ونذيـــر الموت بعض السامعيـــــــن
لاتلومـــى مابهـــا من حـــــــزن
انمـــا الأحزان موسيقـــى الحزيـــــن
أعـــذب الألحان لحـــن أفرغـــــــت
فيـــه أنات الأســـى طـــى الحنيـــــن
عانقينـــى فى الدجـــى اقتربـــــى
اننـى أفـــزع مما تفزعيـــــــــن
قربـــى خدك ... ضميننـــى الـــــى
صـــدرك الحانى .. ألثمـــى هذا الجبين
انمـــا نحن كركب فـــل فـــــــى
تيـــه صحـــراء ... يقوم تائهيـــــن
قد نسينـــا كل ماكـــان لنـــــــا
وتركنـــا فى فـــد ماسيكـــــــون؟

## ٣ - أحلام النارنجة الذابلة

كانت لنا عند السياج شجيرة
ألف الغناء بظلها الزرزور
طلق الربيع يزورها متخفيا
فيفيض منها فى الحديقة نور
حتى اذا حل الصباح تنفست
فيها الزهور وزقزق العصفور
وسرى الى أرض الحديقة كلها
نبأ الربيع وركبه المسحور
كانت لنا ... ياليتها دامت لنا
أو دام يهتف فوقها الزرزور

xxxxxxxxxxx

قد كنت أجلس صوبها فى شرفتى
أو كنت أجلس تحتها فى طلتى
أو كنت أرقب فى الضحى زرزورها
متهللا يغشى نوافذ غرفتى
طورا ينقر فى الزجاج وتارة
يسمو ويزرزر فى وكار سقيفتى(١)
فاذا رآنى طار فى أغرودة
بيضاء واستوفى(٢) غصون شجيرتى
كانت لنا ... ياليتها دامت لنا
أو دام يهتف فوقها الزرزور

xxxxxxxxxxxx

(١) جمع وكر - سقف الغرفة .
(٢) استوفى - اشترف .

فمتى يؤوب هتافه ؟ ومتى أرى
نوارك الثلجى يانارنجتى
ومتى أطير اليك ترقص مهجتى
فرحا وآخذ مجلسى من شرفتى

xxxxxxxxxxx

هيهات لن أنسى بظلك مجلس
وأنا أراعى الأفق نصف مغمض
خنقت جفونى ذكريات حلوة
من عطرك القمرى والنغم الوفى
فانساب منك على كليل مشاعرى
ينبوع لحن فى الخيال مفضض
وهفت عليك الروح من وادى الأسى
لتعب من خمر الأريج الأبيض
كانت لنا ... ياليتها دامت لنا
أو دام يهتف فوقها الزرزور

xxxxxxxxxxx

هيهات ... لن أنسى " فحى سبتمبر "
والنحل يغشى نورك المتلالى
ومساء " مارس " كيف يهبط تلة
شفقية محدودة الأظلال
نزل الحديقة تحت أوهام الندى
وضفا عليك معطر الأذيال
فهناك كم ذهبية بها
روحى فتاهت فى مروج خيال
وهنا تحركت الشجيرة فى أسى
وبكى الربيع خيالها المهجور

وتذكـــرت عهـــد الصبا فتأوهـــــــت
وكأنهـــا بيـــد الأســـى طنبـــــــور

xxxxxxxxxx

وتذكـــرت أيـــام يرشـــف نورهـــــــا
ريـــق الضحـــى ويـــزرزر الـــــزرزور
وعرائـــس النـــارنج تحلم فى النـــــــدى
فيرف فيهـــــا طيفهـــــا المسحـــــــور
كانت لنـــا ، ياليتهـــا دامت لنـــــــا
أو دام يهتف فوقهـــــا الـــــــزرزور

xxxxxxxxxxx

وتذكـــرت عند الســـياج أزاهـــــــرا
صفـــراء رفـــت فى ظـــلال العوســـــــج
زهـــر القطيفـــة كيف خان عهودهـــــــا
نســـى الهوى فى عطرهـــا المتبلـــــــج
وتذكـــرت فى رعشـــة لما ســـبـــــــا
زرزورهـــــا منها ولـــــم يتحـــــــرج
وهنـــا تمشـــت فى الشجيـــرة خلجـــــــة
وبكـــت حنينـــــا للشـــذى المتـــــآرج
كانت لنـــا ، ياليتهـــا دامت لنـــــــا
أو دام يهتـــف فوقهـــــا الـــزرزور

xxxxxxxxxxx

وتذكرت شفقـــا توهـــج حمـــــــرة
خلـــل الغيـــوم على ربى الآصـــــــال
وبدت عصـــون الجزورين كأنهـــــــا
لللـــع ترفـــرف فى بحـــار خيـــــــال

xxxxxxxxxxxx

وهنا تحركت الشجيرة فى أســـــى
وبكى الربيع خيالها المهجور
وتذكرت عهد الصبا فتنهدت
وكأنها بيد الأسى طنبور
وتذكرت شجر النخيل وهدهدا
قد كان يقصدها صباح مساء
وتذكرت فى اليوسفى يمامة
كانت تنوح الليلة القمراء

xxxxxxxxxx

وهنا تحركت الشجيرة فى أســـى
وبكى الربيع خيالها المهجور
وتذكرت عهد الصبا فترنحت
وكأنها بيد الأسى طنبور

xxxxxxxxxxx

وفدت على كل الغصون سحابة
وزكا الغصين وفتح النوار
وتهلل الزرزور فى أوراقها
وزها السياج وفاحت الأعطار

xxxxxxxxxxx

طمت بأرض فى الخيال سحيقة
فى ذلك الأفق القصى النائى
وهناك تحت " سمانجون " سمائها (١)
ناقت الى أحلامها الزرقاء
خلدت الى صمت هناك مخيم

---

(١) سمانجون : لفظة فارسية يقصد بها الزرقة العميقة .

تسجـــو عليـــه خوافـــق الأنيـــــاء
هـــى جنـــة الأشجـار والأظـــــــلال
والأعطـــار والأنغـــام والأنـــــداء

xxxxxxxxxxxxx

يتزاهـــر " البشنين " فوق شطوطهـــا
ويغازلـى الدفلـــى زهـــر اللوتـــس
وعرائـــس النارنج فـــاح عبيرهـــا
بالنحل تحلـــم فى السكـون المشمـــس
وهنـــاك زرزور يغـــرد دائمـــــا
ويقـــص أحـــلام الزهـــور النعـــس
يروى لهـــا أسطـــورة سحريـــــة
مما يفـــوح بـــه خيـــال النرجـــس
كانـــت لنـــا ... ياليتها دامت لنـــا
أو دام يهتف فوقهـــا الـــزرزور

xxxxxxxxxxx

نارنجتى ... والله قد فارقتنـــــى
وأنا حليف كآبـــة خرســـــــاء
أصبحت بعدك فى انقباض موحـــش
وكأننـى منـــه مســـاء شتـــــاء
تتناثـــر الأعطـــار فى آفاقهـــا
روحـــى اليـــك وراء كـــل فضـــاء
وترف فى دهليـــز كل أشعـــة
قمـــراء أو ترنيمـــة بيضـــاء

xxxxxxxxxxxx

قد كنـــت أرجـــو أن تكـــون نهايتـى

فى ظل هذا السور حيث أراك
ويكون آخر مايخدر مسمعى
زرزورك العتاف حيث أراك
ويطوف فى غيبوبتى فيفيقنى
فجر قصير البعث من رياك
والآن اذ عجل القضاء فانما
سيقوم فى الذكرى خيال شذاك

xxxxxxxxx

كانت لنا عند السياج شجيرة
ألف الغناء بظلها الزرزور
طفق الربيع يزورها متخفيا
فيفيض منها فى الحديقة نور
حتى اذا حل الصباح تنفست
فيها الزهور وزقزق العصفور
وسرى الى أرض الحديقة كلها
نبأ الربيع وركبه المسحور

xxxxxxxxxx

كانت لنا ... ياليتها دامت لنا
أو دام يهتف فوقها الزرزور

# محمد رضوان

* ولد محمد محمود رضوان بمحافظة الدقهلية بمصر فى ١٥ سبتمبر عام ١٩٤٨ م
* حاصل على ليسانس كلية دار العلوم جامعة القاهرة عام ١٩٧١ م.
* صحفى بدار الهلا ل - عضو نقابة الصحفيين - عضو اتحاد كتاب مصر.
* يتبع المنهج النفسى فى أدب السير والتراجم وله عدة تراجم أدبية.
* من الأدباء والنقاد الذين تناولوا مؤلفاته بالدراسة والنقد والتحليل (صالح جودت - انيس منصور- أحمد عبدالمجيد- ابراهيم عيسى- عبدالعليم القبانى- د. مقداد يالجن- سعد حامد- كمال النجمى)
* له خبرة فى الصحافة الأدبية، حيث عمل فى سلطنة عمان رئيسا لتحرير مجلة «السراج» ومديرا لتحرير مجلة «النهضة» ويعمل حاليا كاتبا صحفيا بمجلة «الهلال» القاهرية.

* **من مؤلفاته التى صدرت:**

١ - صفحات مجهولة من حياة زكى مبارك
٢ - مأساة شاعر البؤس، عبدالحميد الديب
٣ - شاعر الذيل والنخيل، صالح جودت
٤ - السندباد الطائر، أنيس منصور
٥ - رحلتى مع القلم
٦- اعترافات شاعر الكرنك، احمد فتحى
٧ - قصائد العب الممنوعة
٨ - قصائد سياسية ممنوعة
٩ - ليالى هارون الرشيد بين الحقيقة والاسطورة

* **له تحت الاعداد والطبع:**

١ - نساء فى حياة فاروق
٢ - فيلسوف الصعاليك : عبدالحميد الديب
٣ - يوسف السباعى : الفارس لشهيد
٤ - شاعر الأطلال، ناجى
٥ - شاعر الجندول، على محمود طه
٦ - شعراء العب

# الفهرست

صفحة


- منهج محمد رضوان فى أدب السير والتراجم للسفير الشاعر أحمد عبدالمجيد ٤
- مقدمة المؤلف ..... ١١
- مع شعر الحب والجمال ..... ١٣
- شاعر الأطلال ، ناجى ..... ٢٥
- شاعر النيل والنخيل ، صالح جودت ..... ٨٠
- شاعر الجندول ، على محمود طه ..... ١١٧
- شاعر الكرنك ، أحمد فتحى ..... ١٤٧
- شاعر الأعراف ، الهمشرى ..... ٢٠٧

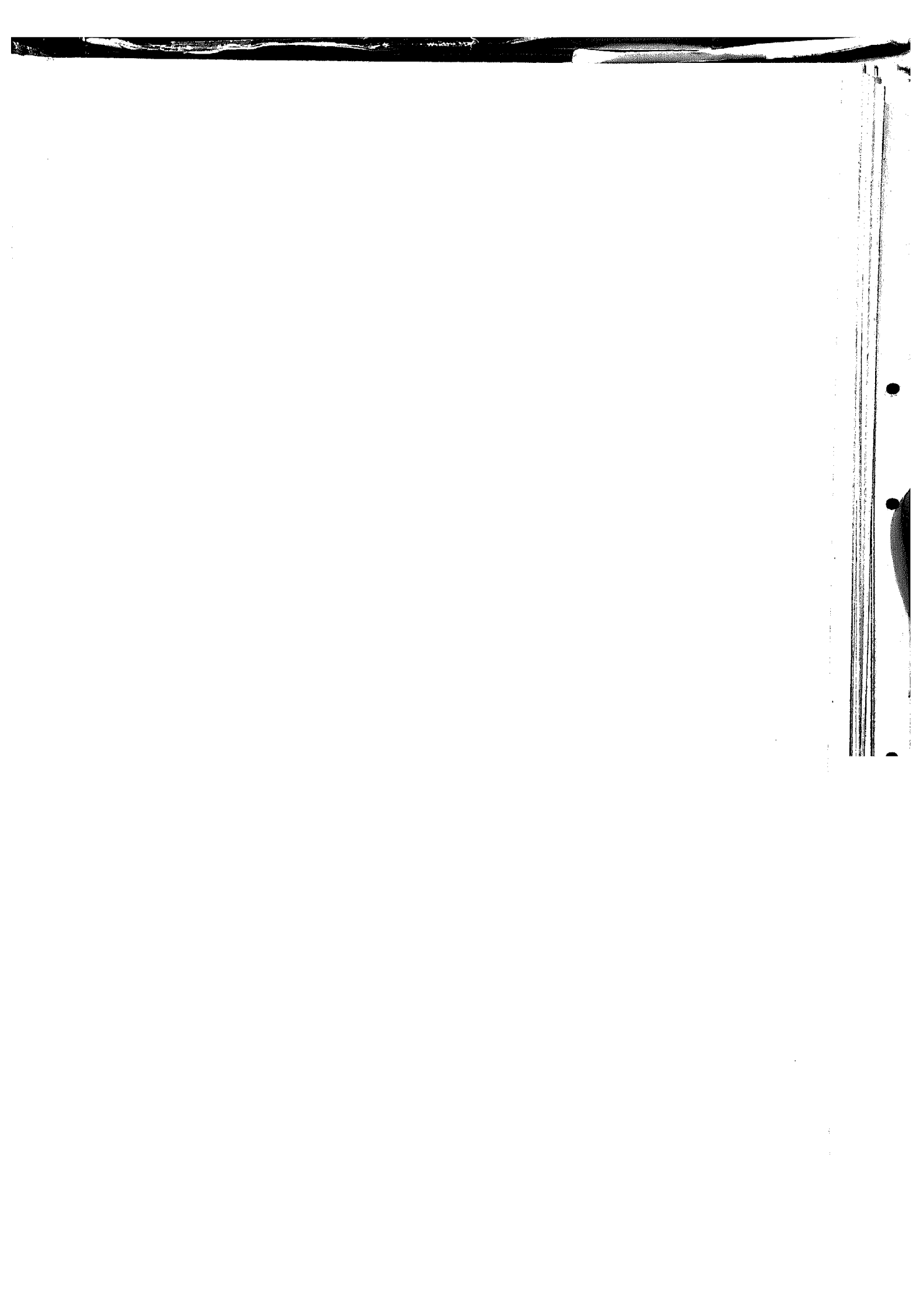

# شعراء الحب

* ظل الحب هو الواحه الغناء للشعراء العشاق الذين جعلوا من التغنى ببدائع الحسن وروائع الجمال دستورا لهم يعزفون على قيثارتهم أحلى اغاريد الحب والجمال .

* وفى هذا السياق الجديد للكاتب الصحفى محمد رضوان يقدم لنا نخبه من ارق شعراء الحب والجمال ، الذين عاشوا تجارب الحب ورتلوا فى محراب الحبيبة نغمات تفصح عن أسرار قلوبهم وسرائر أرواحهم ، وجعلوا من الحبيبة المنار العالى الذى يضئ حياتهم بالنور والنار ويملأ حياتهم بعبير الحب الفواح .

* إنها أغاريد الحب والجمال لهؤلاء الشعراء الرومانسيين الذين أحبوا وعانوا من ليالى الحب والعشق وآلام الحنين والسهاد !

# شعراء الحب

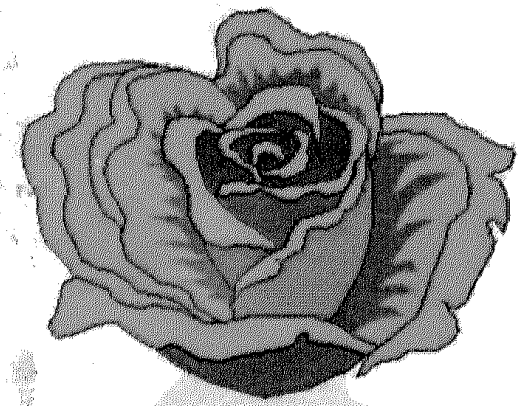

الحب واحة العشاق وشعراء الحب كثيرون
منهم من طغى الحب على قصائده ومنهم من
عرب بقصائده من الحب وعذابه وآلامه ومنهم
ن يجمع بين الاثنين ويناجى الحبيب بأبيات
عبر عما فى قلبه من خفقات الهوى ، وآهات
الجوى والسهاد ، إنها رحله ممتعه داخل قلوب
الشعراء يمر فى محطاتها أديبنا محمد
رضوان فى رحله مثيره وممتعة .

الناشر
محمد فكرى

21 1 2000
الأهرام AL-AHRAM

مركز الراية للنشر والإعلام
مركز الراية للنشر والإعلام

تطلب إصداراتنا من
مكتبة فكرى
٣٠ ميدان الحسين - القاهرة - ت ٢٦٢١٩